الموقع

رواية

مصطفى أبو طالب

دار كليوباترا للنشر والتوزيع

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية
أبو طالب/ مصطفى
الموقع / مصطفى أبو طالب
ط١ . / القاهرة : دار كليوباترا للنشر والتوزيع.
ص ١٤٢، المقاس ١٤*٢٠
الترقيم الدولى : ٦-٣٢-٦٦١٩-٩٧٧-٩٧٨
رقم الإيداع: ٢٠١٧/٢١٧٤٣
تصنيف الكتاب :
رواية

الناشر دار كليوباترا للنشر والتوزيع

إشراف عام: عفاف محمد على
المدير التنفيذي: ضحى جبر

تصميم الغلاف : محمد جمال

عمليات الإخراج الداخلى والتصحيح اللغوي

(دار كليوباترا للنشر والتوزيع)

المراسلات:

لإتصال: / ٠١٠١٩٩٨٣٣٧١/٠٢٢٥٢٤٤٥٣٤ . / ٠١١٢٥٥٧٤١٢٩ .

dar.cleopatra@gmail.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف والناشر، ويحظر نشر أو اقتباس هذا العمل ، ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية.

المقدمة

تلك هي الحياة، صراع مستمر بين الخير والشر، ولكن نزعتنا الإلهية في الميول ناحية الخير قد تدفعنا إلى الاختيار الخاطئ، أو بمعني أصح: أن نختار الشر ونحن في كامل اعتقادنا أنه الأمر الصحيح.

في تلك الحالة ندافع عنه دفاعًا مستميتًا دون النظر إلى العواقب أو إلى أي شي يحدث، ما يهمّنا هو انتصار الحق على الباطل.

بعد أن تنتهي الأمور وتظن أنك انتصرت تجد أنَّ ما كنتَ تفعله ما هو إلا مجرد عبث في الطبيعة أنك كنت على خطأ، وأن كل ما كنتَ تفعله كان في صالح الشر.

إن الشيطان هو مَنْ يقودك في تلك اللحظات، وبعد الانتهاء منها وعندما تجد نفسك أنك كنت ساذجًا, تجده يقف من بعيد ويبتسم، لا إنه لا يبتسم، إنه يضحك ويقهقه عليك، لقد كنت لعبة في يديه، وعندها يجب عليك الانتقام.

نعم الانتقام من كل شيء حتى من الشيطان نفسه، فلتدر حول العالم ولتتعلم جميع الديانات سواء السماوية منها أو غير السماوية، فلتقرأ في كل الكتب، فلتر كل الطرق الممكنة لتتمكن من أخذ انتقامك.

ابحث وابحث جيدًا جدًّا، فلتذهب للجبال والصحاري والغابات، فلتتعلم الفلك والأجرام السماوية والطبّ والهندسة، اذهب إلى البحار، فهناك من يقول أنَّ عرشه هناك.

هل انتهيت بعدُ أم ما زلت تتعلم المزيد، إذا كنت لم تنته فلتستمرّ بالبحث حتى تتيقن أنه لم يبق أي معلومة لم تعرفها، حتى تصبح على معرفة بكل العلوم وبكل أمور الحياة، الآن هل تعتقد أنك أصبحت مستعدًّا للانتقام؟

حسنًا هناك بعض الشروط التي يجب أن تُفعل حتى تتم انتقامك.

الأول: استعد لتعلم المزيد من الدروس، فأنت لن تخرج منه على خير ما يرام.

الثاني: سوف تكون هناك خسائر هائلة، فأنت ستكون الفعل وهو سيكون ردة الفعل.

الثالث: ردة فعله لن تكون كما كنت تتوقع، بل ستكون أشد قسوة من فعلك لذلك توقع الأسوأ.

الرابع: لا تعتمد على الاستسلام، فهو لن يستسلم لذلك، يجب أن تكون ضربتك قاضية بحيث لا يستطيع الوقوف بعدها أبدًا.

الخامس: القتل نعم كما قرأت جيدًا يا عزيزي إذا جاءتك الفرصة للقتل فافعل ولا تتردد، فلن تأتيك الفرصة مجددًا لتتخلص منه ومن جميع المشاعر المتناقضة التي بداخلك: الكره، والغلّ، والحقد، وأيضًا الانتقام.

السادس: مرحبًا بك يا عزيزي الآن أنت تعرف كيف تستطيع القضاء عليّ الآن، ولكن هناك شيء واحد لم أطلعك عليه؛ أنك مهما فعلت فلن تستطيع أن تقضي علي، فأنا الشيطان، أنا ابن الجحيم أستطيع أن أدمرك بسهولة، فقط لأني أعرف أكثر منك، أنا لا أحتاج لمعرفة كل تلك المعلومات، أو أن أصبح بكل تلك القوة، فبمجرد معرفة أي شيء عنك يجعلني أكثر قوة، فأنا أعرفك أكثر منك، فأنت أنا وأنا أنت.

بداية يوم جديد من حياتي، أحد الأيام المهمة جدًا، لا يوجد بها أي مجال للخطأ بعد أن تحولت لمجرد كائن يعيش ليتنفس فقط لا أكثر ولا أقل. من يوم مولدي وأنا الأقل حظًا بين إخوتي، ولكني لم أستسلم، ولذلك الآن الجميع يحبونني، ولكن ليس لشخصيتي، ولكن لأني أعطيهم ما يفتقدونه جميعًا وبالأخص المال.

نسيتُ أن أعرفكم بنفسي، أنا (آدم سليم) الابن الثالث لأسرة متوسطة الحال مثل جميع المصريين، لا يوجد عندهم ما يضيفوه لي، مكوّنة من ستّة أفراد لا يملكون سوى الستر كما يقولون دائمًا، وكانت جملتهم الشهيرة: «لقد أفنينا عمرنا في تعليمكم، وجعلكم أطباء ومهندسين، الآن عليكم أن تتحملوا المسئولية قليلاً».

هذا الكلام -بالطبع- لم يكن لي، فأنا الابن الوحيد الذي التحق بكلية الآداب، وهى كما تعلمون لا تنتمي لكليات القمة في قاموس الشعب المصري، بالإضافة إلى هذا لا أستطيع نسيان أصدقائي الذين لم يكملوا مراحل التعليم وامتهنوا مهنًا؛ منها الشريفة، ومنها التي أدت إلى سجنهم.

- مستر (آدم).

- تفضلي يا أستاذة (أسماء).

- الوفد الكرواتي في انتظارك من أجل الاتفاق على القرية السياحية الجديدة.

- حسنًا فلتجعليهم ينتظرون في قاعة الاجتماعات.

- حسنًا مستر (آدم).

- أستاذة (أسماء). هل يمكنني سؤالك: كم رقم هذه القرية في مجموعتنا؟

- إنها العاشرة.

- شكرًا لك. اذهبي للوفد الآن وأنا قادم.

بعد خروج (أسماء) أخذتْ الذكريات بالتسلسل في رأسي...

الكلية أكرهها، نظرة احتقار في عيون الجميع عندما يعلمون أني في كلية الآداب، ولكنهم لا يعلمون شيئًا، لا يعلمون لماذا لم أصبح مثل إخوتي، لا يعلمون ما مررتُ به، لا يعلمون مَنْ أنا؟ ولربما لو عرفوا مَنْ أنا لهربوا مني، ولابتعدوا، وربما أيضا قد يقتلونني لما فعلتُه بأبنائهم.

...البداية نعم هي البداية، وبعدها يمكنك أن تفعل أي شي بمجرد البداية.

مساعد صيدلي تلك لم تكن البداية، لكن كانت هي بداية النهاية، وظيفة عادية لمَنْ ليس له وظيفة، أما أنا فكانت بالنسبة لي طريقي وهدفي، أو كما عرفت فيما بعد طريقي للنهاية.

نعم مساعد صيدلي البداية للنهاية التي اعتقدت لوهلة أنها محسومة أو قد حُسِمت، ولكن خلال فترة العيش على هذه الأرض لا توجد نهاية إلا بالموت.
حتى الموت ليس النهاية الكبرى، فهناك الحياة الأخرى التي لابد من عمل حساب لها؛ لتعيش في الجنة أو النار، تلك التي لابد أن نعبر عليها أثناء ذهابنا للجنة.
وفي حالتي أنا اعتقد أني لن أبرح النار، فأنا كما يقولون تكبرت على حياتي السابقة، أصبحت أكرهها لا أريدها، فأنا الآن أفضل بمئات المرات، ولن يجعلني أحد أن أتخلى عنها.

وُلد (آدم) في منطقة شعبية، لا هي بالمنطقة الراقية، ولا هي بالمنطقة الفقيرة، بل مثل ما تسمى بالمنطقة الشعبية كما تُسمى تلك المنطقة، عبارة عن بيوت متراصة بجانب بعضها البعض، وجميع بيوته من الطراز القديم، ويمكن أن تقول إنها تشبه بعضها البعض.

فإذا كنت بغريب عن المنطقة يمكن بسهولة أن تدخل أحد البيوت عن طريق الخطأ وأنت تحسبه أنه هو البيت المطلوب؛ لذلك عند نزولك أحد تلك المناطق لابد أن يكون معك مرشد من المنطقة يعرف مداخلها ومخارجها، يعرف سكانها حق المعرفة؛ لأنك معرض للكثير من المشاكل مع أهل تلك المناطق، وأنا لا أنصحك بالدخول في أي مشاكل أو مشاجرات مع أهل إحدى المناطق الشعبية؛ لأنك لن تخرج كما دخلت.

اعتاد (آدم) على العيش في بُعْد من الناس، كما تم تربيته على يد والديه لا يريدون له أو لإخوته الاختلاط بمثل تلك الحثالة الموجودة بالمنطقة، كان مثل باقي الأطفال يحلم باليوم الذي يخرج فيه عن سيطرة والديه، كان يعرف الكثير من أشقياء المنطقة الذين يسبقونه سنًا وفعلاً.

كان لـ(آدم) القليل من الأصدقاء الذين يتسلل إليهم خلسةً دون علم أهله، كان أصدقاؤه قليلين، ولكن أقربهم كان (سعيد) ذلك الولد الممتلئ الذي يجبر الكل على احترامه؛ لأنه يمكن أن يأكل أي طفل يزعجه، كان يحظى بحمايته من أي عدو يأتي يريد الأذى له.

- آدم... آدم.... آدم...

صوت (سعيد) يهز أرجاء الشارع مناديًا على (آدم) الذي يخرج مسرعًا من نافذة شقتهم في الدور الأرضي ليخرسه حتى لا يسمعه أحد من أهله.

- حاضر حاضر ... نازل.

بخطوات سريعة يعدو (آدم) ليعلن عن نزوله إلى أرض الشارع، أو كما كان يسميها: إلى أرض المعركة، أو أرض التجارب، أو أرض الحياة.

- ماذا سنفعل اليوم يا (آدم)؟

- انتظر لنرى من موجود بالمنطقة حتى نقرر ماذا سنفعل؟

- ما رأيك بـ(هشام راضي) إنه مغرور، وأريد أن أكسر أنفه، أو يمكن أن ندفنه مثل أحمد.

- لماذا؟ (هشام) طيب ولا يؤذي أحدًا؟

- هل تعلم ماذا قال عني؟ قال أني (تخين وزي العجل) هل هذا يرضيك؟

- لم يكذب يا (سعيد)، يجب أن تخس شوية. انظر لهذا الكرش، هل أكلت أخاك الوليد أم ماذا؟

- لا لم آكله، بل صفعته على وجهه بعد أن أتيت من المدرسة البارحة، أحب أن أراه يبكي، هذا الوضيع الصغير، لقد أخذ اهتمام والداي مني، حتى والدي لم يعد يأتي ليأخذني من المدرسة، يقول لي: لم تعد صغيراً، لقد أصبحت في الصف الرابع الابتدائي الآن.
- صحيح لقد أصبحت كبيراً يا (سعيد)، أم يجب أن أذكرك يا (أبو كرش).
وانطلقت ضحكة (آدم) و(سعيد) لتملأ الشارع، فهم مجرد أطفال من الخارج، أما الداخل فيعاني كلٌّ منهما من المعاملة في حياتهما، فهما يكملان بعضهما، (آدم) المخ و(سعيد) العضلات، لقد عرفوا هذا منذ التقيا أول مرة في الشارع.
- أنت عارف (هشام) قال عليك إيه؟
انطلقت تلك الجملة من (سعيد) وأخفت الابتسامة من على وجه (آدم)، فهو يعلم ماذا سيقول، أو كان يعتقد أنه يعلم ماذا سيقول؟
- ماذا قال (هشام) عني؟
- لقد عرف اسم والدتك، وسوف يخبر الجميع بذلك.
- ماذا تقول؟ هل هذا صحيح أم تقول هذا لمجرد أنك تريد الانتقام منه بسبب ما قاله عنك؟
- إذا لم تصدقني انتظر حتى ينتشر الاسم بين المنطقة، وستعلم أني لم أكن أكذب.
- لا لا يا صديقي، أنا أصدّقك، هو فين (هشام) دلوقتي؟
- سوف أرى أين هو؟ وآتيك بأخباره يا صاحبي.
انطلق (سعيد) بعيدًا وهو يزأر من الفرح لما سيحدث لـ(هشام)، وبدأ في التسلل بعيدًا عن عيني (آدم)، أما (آدم) فجلس ينتظر تلك الأخبار على أحرّ من الجمر، وهو يخطط ماذا سيفعل لـ(هشام) بعد أن تجرأ وذكر اسم والدته، وأثناء التفكير صدر صوت من خلف (آدم) ...
- كيف حالك يا (آدم)؟
في حركة سريعة نظر (آدم) خلفه، فوجد (آدم) ذلك الشخص الذي لا تتمنى أن تراه في أي من المناطق الشعبية.
(حسن) هو مثال للبلطجي صاحب المنطقة وحاميها، لا يمكن لأحد أن يدخل المنطقة من دون أن يعرف لمن هو ذاهب؟ ومتى سيخرج؟ وإذا كان قد جاء لأحد أحباب (حسن) فهو في مأمن من أي شيء، ولا يمكن لأحد أن يمسّه أو أن يقف في طريقه، بل يعمل الجميع على خدمته، وتقديم كل سبل الراحة تكريمًا لـ(حسن) في ظاهر الموضوع، أما في الباطن، فهم يفعلون ذلك خوفًا منه، أما إذا كان هذا الزائر قادمًا لأحد أعداء (حسن)، فيجب أن نترحم على هذا الزائر حتى يخرج من المنطقة...
(آدم) كان في الكثير من الأوقات يري ماذا يفعل، و(حسن) كان يعلم (آدم) أساليبه العتيقة في فرض السيطرة، وكان يتباهي بهذا، وهو يعلم أن (آدم) سيصير مثله في يوم من الأيام.

- (حسن) ماذا تريد؟
- رد السلام يا (آدم)، أنا أعرف في ماذا تخطط، لقد سمعت محادثتك مع (سعيد).
- أنا لا أخطط لشيء يا (حسن).
- حسنًا! لماذا ذهب (سعيد) للبحث عن (هشام)؟
- سوف نلعب معًا.
هنا انطلقت ضحكة استهزاء من (حسن) ناحية (آدم)، ونظر له نظرةً حازمة.
- أنت تعرف أن أخت (هشام) تخصني.
- لماذا تقول لي أنا، هذا الموضوع لا يخصني.
- انظر يا (آدم) أنا أعرف دبة النملة في المنطقة، ومما أعرفه أنك طفل سابق لسنّك، تعرف ماذا تفعل مع مَن يضايقك من الأطفال، أعرف كيفية انتقامك منهم.
- أنا لا أفعل أي شيء، تلك أوهامك.
- عم (سليم) مثل أبي، وأنا لا أريد الأذى له أو لك، ولكن إذا اشتكت أخت (هشام) منك سوف أتعامل بطريقتي وليس بطريقتك، اتفقنا.
- أنا لن أفعل شيئًا، وسوف تري.
- هل تعلم يا (آدم) أنه في يوم من الأيام عندما تكبر قليلاً سوف أضمك لمجموعتي، سوف تكون قطعة قيمة جدًا فيها، وأيضًا لقد أريتك موقعنا الخاص وأريتك بعضًا من ألاعيبنا، فلا تدع تلك التعاليم تنطلي على من هم مني وإلا سوف تنضم إلى مجموعتي كتابع وضيع، وليس كقائد مجموعة، أتفهم؟
وفي حركة مفاجئة وضع (حسن) يده فوق رأس (آدم) وربت عليها، ثم تركه وذهب، وترك خيال (آدم) يذهب للمجهول، كان فرحا جدًا، سوف يكون من شلة (حسن)، يا له من حلم جميل يراود الجميع في المنطقة أن يكونوا مع (حسن)، ولكنه لا يعرف ماذا يفعل (حسن) غير كونه بلطجي المنطقة، الكثير من الناس يقولون أشياء عن (حسن) لا يعرف (آدم) ما معني تلك الأشياء؟ لم يكن عقله يعرف الكثير من المعاني بعدُ، ولكنه مع الوقت سوف يعلم من يكون (حسن)؟!

(سارة) تلك الفتاة الجميلة النابغة، منذ كانت طفلة وهى تعشق الحياة، تحب الجميع، لا تكره أحدًا، كان الجميع يتوقع لها مستقبلاً باهرًا، لا يمكن أن تكون فتاة كهذه إلا طبيبة عظيمة، أو مهندسة مبتكرة. كانت دائمة التفوق، كان والداها يعدونها لتصبح طبيبة كبيرة من صغرها، وهى تعرف ماذا سوف تكون، أو ماذا تريد، لا تضع شيئًا أمامها سوى التفوق الدراسي، في المرحلة الابتدائية عندما يتم سؤالها مِنْ أمِّها أو أبيها عن مستقبلها.

- (سارة) ماذا ستصبحين في المستقبل؟

- سوف أصبح طبيبة، وأفتتح العيادة الخاصة بي.

كانت هي الأمل في العيون، كانت ذات عيون صافية، كان من ينظر لها كمن يرى عبيراً من الجنة، أو كحور العين، الجميع يريدها، هذا وذاك، نعم الجميع كما قلت، لا تعلم لماذا الجميع ينظر لها، ويلقي عبارات المديح والمعاكسة رغم صغر سنها.

في المرحلة الإعدادية تغيرت (سارة)، أصبحت باهتة، لا تعرف للحياة طعمًا، أصبحت عيونها شاردة، لا تعرف ماذا تريد..؟

كانت (سارة) في غرفتها تتأمل الشارع، عيونها تذهب يمينًا ويسارًا، دخلت عليها والدتها دون أن تدري (سارة) أو تشعر بها.

- (سارة) لِمَ لَمْ تبدئي في مراجعة دروسك، لماذا أصبحت مهملة؟

تفاجأت (سَارة) من وجود والداتها في الغرفة، وكانت تتمنى أن تذهب وتتركها دون أن تبدأ ذلك الموشح الذي ملّت من سماعه مرارًا وتكرارًا.

- اذهبي يا أمي، أنا لا أريدك الآن، أنا لا أريد أحدًا منكم في حياتي، أنتم لا تعرفون عني شيئًا، أو بمعنى آخر: أنتم لا تبالون بي أو حتى لا تبالون أنني ابنتكم، كل ما يهمكم أن يقال: إن ابنتكم أصبحت طبيبة، أنا أكره تلك الفكرة، أصبحت أفكر في تخييب أملكم، أريد أن أرى تلك النظرة على وجوهكم عندما تعرفون أني فشلت في تحقيق حلمي. لا لا، إنه ليس حلمي بل حلمكم، عندما تعرفون أني فشلت في تحقيق حلمكم اتركوني وحيدة لا أريد أحدًا.

كان كل هذا يدور في رأسها قبل أن تلتفت إلى والداتها بسرعة وتقول لها:

- حسنًا يا أمي، دون أن تبدئي في ذلك الموضوع سوف أبدأ في المذاكرة.

- لا لن تبدئي، أنا أعرف ذلك، هل تعرفين ماذا سوف تفعلين بمجرد خروجي من غرفتك؟

- لا لا أعرف. ما أعرفه أني سأبدأ في مذاكرتي.

- هل تعتقدين أني حمقاء؟

- أمي من فضلك لا تبدئي في هذا، أنا متعبة.

- سوف تعودين للنظر من ذلك الشباك مستعدة لظهور (آدم)، لا أعرف ماذا فعل لك ذلك الفتي، لقد ذهبت إلى والدته وأخبرتُها أن تبعده عنك.
- نعم أعرف هذا، ولكن كان من الخطأ أن تقومي بمثل هذا الفعل، الآن سيقولون أنه يوجد شيء بيننا.
- هل تمزحين؟ الجميع يقولون إنه يوجد شيء بينكم، ولكنك لا تريدين أن تخبريني بشيء، أنا أمك وسأخاف عليك من العالم أجمع.
أخذت تلك الكلمة تدور في رأس (سارة) وهي تريد أن تردَّ على والداتها وأن تقول لها: تخافين عليّ من العالم أجمع، نعم أعلم ذلك، ولكنك تخافين عليّ من العالم أجمع ليس لأني ابنتك، ولكن لأن اسمي مرتبط باسمك، سيقولون: هذه (سارة) بنت فلان، أنت تخافين من أن يقولوا هذا، ومن أن تأتي سيرتك في حديثهم، أنت تخافين على نفسك وليس عليّ.
و لكن لم ترد (سارة)، بل نظرت للنافذة بسرعة عندما سمعت ذلك الصوت المميز، هذا الصوت الذي لن تنساه طوال حياتها، عندما تسمع أي شخص يتكلم تعتقد أنه يتكلم بصوته أو بلغته ولكنته المميزة، مع ذلك حرف الراء المميز الذي ينطقه ياء، كم تحب تلك اللدغة، كم كانت تتمنى أن تصبح مثله حتى يقولوا: إنهما متشابهان.
ها هو (آدم) قد جاء من العدم ليظهر في الشارع، لا تعرف (سارة) أين كان؟ أو ماذا يفعل؟ أو ماذا سيفعل؟ ولكن كل ما تعرفه أنه سوف يقوم بتلك الحركة الآن، نعم ها هي آتية.
ينظر (آدم) إلى الغرفة الخاصة بـ(سارة) رغم أنه لا يراها، ولكنه يعرف أنها تنظر إليه الآن، يرفع يده إلى أعلى ثم يقول:
- لا داعي للقلق، فها قد عاد (آدم).
هذا ما أريده أن يكون (آدم) بجانبي دائمًا، لا أريده أن يغادر أبدًا، أخاف النزول من بيتنا إذا لم يكن موجودًا، (آدم) من فضلك لا تغادر أبدًا، لا أريدك أن تكون بعيدًا عني، أنا مثل الزهرة وأنت ماؤها وشمسها وتربتها، أنت أنا وأنا أنت، أنا أعلم ذلك، وأعلم أنك تعلم ذلك.
أنت لا تريد التقرب مني الآن؛ لأن ذلك سيسبب الكثير من المشاكل لك ولجميع أحبائك، ولكن ما ذنبي أنا أن أكون الوحيدة المعذبة منك أو بك؟ لا يوجد فرق.
ينظر (آدم) مرة أخرى إلى غرفة (سارة) ويتمنى لو يراها الآن، إنها تعني له كل شيء، مستعد للتخلي عن حياته الحالية في مقابل أن تكون معه، ولكن ليت الجميع يعلم ما نعلمه أنا وأنتِ، لا يوجد ما سوف يفرق بيننا، هذا وعد، وسوف أحاسب عليه أمام الله وأمامك إذا تركتكِ لأي شخص، أو تحت أي ظرف من ظروف الحياة، أنتِ لي وحدي، وسوف أفعل المستحيل لأكون لك، ولكن عندي سؤال واحد لك: هل ستنتظرينني في الجنة أثناء مكوثي في النار.

نعم يا (آدم) سأنتظرك مهما حدث أو ما سيحدث، أنا لا أستطيع أن أتخيل حياتي بدونك، يقولون: إننا ما زلنا أطفالاً وأن ما نفعله الآن ما هو إلا مراهقة، ولكنهم مخطئون، هم لا يعرفون شيئًا عنا، لا يريدون معرفة شيء، كل ما يريدونه هو إبعادنا عن بعضنا البعض، دون حتى التفكير فيما سيحدث لنا. (آدم) أعدك أن انتظرك من الآن إلى الأبد وحتى في الحياة الأخرى.

بداية يوم كئيب آخر، أصحو من النوم وأنا ألوم جهازي التنفسي: لماذا لم تتوقف؟ لماذا حتى وقتنا هذا تستمر في العمل؟ أنت تريد عذابي، أنت تريد أن نظل تعساء للأبد؟ هل تقفز وتفرح مكانك عند بداية المشاكل اليومية؟ يا إلهي! لماذا لا أذهب إليك؟ أنت أحنّ بجسد هذه الفتاة من هذه الحياة!!

أعرفكم بنفسي: (حياة)، نعم اسمي: (حياة)، ولكني لست بالحياة التي سوف تخطر على بالكم، من السعودية، والدي (فيصل) سعودي قاسٍ لا يعرف الرحمة، الضرب أقل ما يستطيع فعله، كأنه يعاقبني على وجودي في الحياة.

أما أمي (داليا) فهي مصرية، أهم ما يميزها اللامبالاة، لا يهمها في هذه الدنيا سوى التفاخر بنفسها وبحياتها، فهي على قدر ليس بالقليل من الجمال، أما تلك الفتاة الصغيرة المسماة ابنتها فهي مجرد شيء زائد في الحياة، لم يكن من الضروري وجوده.

دائمًا تفكّر: لماذا لم آخذ تلك الحبوب اللعينة في تلك الليلة؟ لماذا أنجبتِ تلك الفتاة من هذا الرجل؟

بالمناسبة أمي وأبي منفصلين منذ كنت في السادسة، متفقين على شيء واحد، أنني أتيت إلى الدنيا عن طريق الخطأ، لا يعيرونني أي اهتمام ولا يحبونني، حبهم لي مجرد اصطناع، مشاعر أمام الناس، حتى يقول عنهم الناس: انظروا نحن نحب ابنتنا، إنها فتاة رائعة، ليتكم أنجبتم مثلها، أحيانا أظنهم يتحدثون عن تلفاز أو ربما ثلاجة رائعة تجعل الماء باردًا في خمس دقائق.

لماذا يا الله؟ هكذا كنت أسال في كل يوم في حياتي لماذا؟

هذا هو سؤالي أثناء صلاتي وأثناء عبادتي، لماذا أعيش هذه الحياة، هل هذا لحكمة عندك سوف أعلمها فيما بعد؟ أم أني قد ارتكبت ذنبًا قبل نزولي لهذه الدنيا وهذا هو عقابي؟

ثم تعلمتُ أن لا أسال، سوف أترك هذا السؤال وأعيش تلك الحياة البائسة على أمل عيش حياة أخرى عما قريب، أو كما تقول جدتي:

- متى تتزوجين وتذهبين إلى بيت زوجك؟ وترين أننا نحبك أكثر من أي شخص آخر على قيد هذه الحياة.

لا أعلم ما مدى مصداقية هذا الكلام؟ ولكنني لا أثق في أحد، ولكن ما أعلمه أني أريد في حياتي البائسة هذه لمن ليخرجني منها، أحلم بهذا الفارس الأبيض على حصانه الأبيض يأتيني ليخرجني من تلك الأحزان لتلك الحياة التي دائمًا يتكلم عنها أصدقائي.

حياة سعيدة كلها فرح وسرور، لا يعرف لي الحزن فيها طريق.

وأنت فلتقسم لي أنك لن تتأخر، فأنا أنتظرك منذ عشرين سنة، نعم أعلم أن عشرين سنة من القسوة والحزن شيء لا يحتمل، ولكنني تحملت من أجلك فأرجوك لا تتأخر وأنا سأنتظر.
لا لا لا، لن أنتظر سوف أبحث عنك، نعم سوف أبدأ بالبحث عنك، فقد مللت الانتظار، سأبحث وسأجدك، وأعلم أنك لن تخيب ظني، فأنا أعتمد عليك اعتمادًا كبيرًا في تغيير حياتي.
- حياة.
أتى صوت جدتي ليقاطعني عن تفكيري، وليعلن عن وجود مشكلة أخرى، فهي دائمًا وأبدًا ما تناديني وقت المشاكل ولا شيء آخر، فمنذ انفصال أبي وأمي وأنا أعيش معها هي وأبي، هي القائمة على تربيتي والاهتمام بي، ولكن ليس مثل الاهتمام المعروف عن الجدة، فهي لها قوانين شديدة مَنْ يخالفها يتعرض لأشد عقاب.
- نعم يا جدتي.
-ماذا تفعلين كل هذا الوقت وأنا احتاجك معي لتنظيف المنزل.
-كنت أذاكر بعض الدروس.
- أجل افعلي هذا واتركيني أنا أتعذب في تنظيف ملابسك وبقايا طعامك، لماذا لا تذهبين إلى أي شخص آخر يفعل هذه الأشياء مقابل أجر؟ لماذا أفعل أنا لك كل هذا بدون مقابل وأنت لا تفعلين لي شيئًا؟!
أعتقد أن صوت جدتي قد كان يسمع جميع مَنْ في الدولة من شدّته وعلوّه، وعلى الرغم أني لم أنطق بحرف، ولكن هذه هي جدتي.
- أنا آسفة يا جدتي، سوف أقوم الآن بتنظيف المنزل، فلترتاحي أنت الآن، وأنا سأقوم بالباقي، ولا تنزعجي.
- حسنًا، فلتفعلي هذا بسرعة، فوالدك في الطريق، وأريدك أن تحضري له الطعام.
-حسنًا حسنًا أنا قادمة.
- أتمنى أن تكوني قادمة ليس مثل كل مرة، فوالدك وزوجته الجديدة قادمان.
(أتمنى أن تكون هذه هي آخر مرة تتزوج فيها يا بني).
هكذا حدّثت جدتي نفسها أو ما تتمناه، فوالدي كثير الزواج، ولكن لا يدوم هذا الزواج كثيرًا، فبعد سنة قد تجده قد ملَّ من زوجته ويبحث عن أي سبب ليطلقها، ليبحث عن أخرى، ومن حسن حظهن أنهن لا يرزقن بأطفال في تلك الفترة، أو كُن سيلعن الدنيا كما أفعل أنا كل يوم، ومن حسن حظي أني وحيدة لا يوجد لي إخوة يعيشون نفس معاناتي، يا الله لماذا لم تنقذني مثلهم؟!
مصر، نعم هي كل ما أحب في هذه الدنيا، والنزول إليها هو ما يجعلني على قيد الحياة، إنها أعظم ما خلق على وجه هذه الأرض، نعم نعم أعلم ما تقولون عنها أيها المصريون،

ولكنكم لا تعلمون شيئًا عن الجنة التي تعيشون فيها، أعلم أنها قاسية عليكم، ولكنكم لا تعرفون كيف تعيشون فيها وأنتم أصحاب جنسيات أخرى.
في مصر أعمال معاملة ملكات من أصدقائي، هناك دائمًا ما يجعلونني أشعر أني أهم شخص، أني أهم منهم جمعيًا، ذلك الشعور الذي دائمًا ما أفتقده هنا، أنا واثقة أني سأجد ذلك الفارس الذي لن يجعلني أنام وأنا ادمع من الخوف أو من سوء المعاملة.
استفقت على صوت والدي الرخيم الذي دائمًا ما يخيف الناس به عند التحدث إليهم.
- أهلاً أهلاً ابنتي العزيزة، لقد افتقدتك كثيراً أثناء سفري هذه المرة.
- و أنا أيضًا افتقدتك يا أبي.
أعلم أني أكذب، أنا لم أفتقدك، أتمنى أن تكون بخير وصحة، ولكن بعيدًا عني، لا أتمنى رؤيتك ولا رؤية جدتي ولا رؤية والدتي ولا أتمني .....
- لماذا هذا العبوس يا حياتي الحلوة!
- لا شيء يا أبي، مجرد إرهاق أو قلة نوم.
- كيف أخبار دراستك يا حلوتي؟
- جيدة
- هل صنعت لي الطعام كما قلت لك؟
- أنا آسفة! كنت مشغولة بعض الشيء.
- ماذا تقولين؟؟
نعم أعلم ما القادم، لقد احمرّ وجهه وجحظت عيناه، الآن يجب أن تدعوا لي بالرحمة أو تتصلوا بالإسعاف أيهم أسهل لكم
- ألم أقل لك أني قادم وأريد أن آكل، لماذا لم تصنعي شيئًا؟
- كنتُ مر....
و في حركة مفاجئة انطلق كفٌ يده على خدّ (حياة)، لم تكن تعلم ماذا تريد أن تفعل، كانت خائفة، كانت تريد فعل شيء، ولكنها لا تدري ما هو؟ آخر ما تريده هو البكاء، وقبل أن تنطق بكلمة أخرى تلقّت صفعة أخرى أطاحت بها على الأرض وأخذ عقلها يفكر ما المفروض فعله في تلك المواقف، هل أركض نحو غرفتي؟ لن أستطيع، سيسبقني، هل أدعي الموت؟ لن يصدق هل...
وهنا تلقّت ركلة في بطنها أخذت تصرخ من ألم في داخلها، ولكن في الخارج ملامح متجمدة لا تفعل شيئًا إلا نزول الدموع فقط لا غير، تلك الركلة جعلتها تعيد التفكير من البداية ماذا يجب أن أفعل؟ هل سيقتلني الآن؟ أم سينتظر حتى طلوع روحي بأمر ربي من نفسها دون تدخل من أبي، أو من دون أن يكون السبب ..... ركلة أخرى ترجعها إلى أرض الواقع، تنظر ناحية جدتها تجدها تتابع في صمت، نظرت لها نظرة عطف، ولكن لا فائدة.

تريد أن تصرخ عليها: أنتِ أيتها العجوز، إنه يقتلني ألن تتدخلي لتنقذيني أنا (حياة) من تقولين عنها إنها ابنتك، أنَت من ربيتها وأنت الأحق بها من أي كائن آخر، الآن ستتركينها تموت... ؟؟

ثم ركلة أخرى وأخيرة ووالدها يبتعد عنها، إنها تشعر شعوراً مختلفًا، تشعر كأنها خفيفة مثل الريشة، لا تشعر بشيء، هل ستفقد الوعي الآن أم ماذا، وإذا كانت ستفقده الآن إذن لماذا أيها الأحمق لم تأت من البداية؟ هل تنتظر انتهاء المعركة حتى تأتي، أنت الآن تذكرني بأفلام السينما، الشرطة لا تأتي إلا بعد خراب مالطة...

هناك شيء دافئ ينزل على وجهي، الآن أنا أعرف ما هو، أهلاً أيها الصديق القديم، لم أرك منذ فترة طويلة، أعتقد منذ سافر أبي إلى شهر العسل، نعم تلك آخر مرة ضُربت بها، وها أنت تعود الآن، أهلاً بدمي، لقد اشتقت لرؤيتك أيها الأحمر الناري، أنت ما تجعلني على قيد الحياة، أليس كذلك؟ أنا أعرف أنك تحبني، ولكن لماذا تأتي متأخرًا دائمًا؟ لماذا أراك من الأساس؟ لماذا لا أعيش حياة هادئة؟ هل كتب علي عيش تلك الحياة البائسة من الغرائب والعجائب؟ إن اسمي (حياة)، ولكن حياتي لا تمت للحياة بصلة، بل هي وصلة تعذيب مستمر، ولكن لماذا... لماذا ... لماذا؟؟؟

(آدم) الآن يعمل كمساعد صيدلي في إحدى الصيدليات المشهورة في مدينته بعد أن التحق بكلية الآداب، وعلم أنه لا يوجد له فرصة عمل في مجال تخصصه بعد التخرج، وأن دولته العظيمة لا تهتم بأحد من خريجي هذه الكليات، بل تعتبرهم عالة عليهم بعد التخرج.
يلجأ البعض إلى العمل في مجالات شتي بعيدًا عمّا تعلمه في تلك السنوات البائسة، ينسى ما تم تدريسه إياه، دائمًا ما يفكّر (آدم) لماذا أكمل تعليمه؟ لماذا لم يصر مثل أصحابه؟ لماذا أصر على إكمال دراسته، إنه غبي، الآن أصدقاؤه جميعًا متزوجون ويعيشون حياة مستقرة، لقد بنوا مستقبلهم بتلك المهن الحرة التي يعتمدون عليها، أما أنا أعمل لكي أعيش فقط، مجرد مصاريفي الشخصية، وهي أيضًا لا تكفيني لآخر الشهر، تلك الدولة اللعينة سوف أرحل منها، سوف أكون من أعظم من أنجبت في هذه الدولة، سوف يذكرني التاريخ كالشخصية الأبرز في تاريخ الدولة.
لكني لا أستطيع تركها، لا يمكن أن أتركها، سوف أتعرض لأقصي عقاب إذا تركتها، سوف أعذب ما بقي من عمري، لا أستطيع نسيانها، البعد عنها هو الحكم عليّ بالموت، كسيدنا يوسف عندما ابتعد عن أبيه، ولكني لا أحمل حكمة يوسف ولا صبر أبيه يعقوب، أنا بدونها لا شيء، إذن سوف آخذها معي، لن أتركها هنا وحدها.
(هل كنتم تعتقدون أني أتحدث عن مصر، لقد خيبت ظنكم هناك، من هم أهم في حياتنا هناك، من نحب أن نضحي بحياتنا من أجلهم، من إذا خيرنا بينهم وبين أي شيء آخر سنختارهم، أم بالنسبة لي فأعتقد أني أتحدث عن ملاكي الخاص)
ظل (آدم) في خيالاته أثناء العمل، وكان يؤمن أن القادم أفضل، لقد تغير (آدم)، لقد أصبح أكثر إنسانية، لقد دخلت حياته هذه الفتاة التي خيرت بينها وبين ما يفعله (آدم)، بينها وبين حياته السابقة، وبرغم صعوبة الاختيار إلا أن (آدم) لم يستغرق الكثير في تفكيره، لقد اختارها، نعم لقد اختار (سارة) تلك الجميلة التي إذا أشرقت أشرقت معها جميع شموس الكون، تلك الضحكة التي تنجيك من نار جهنم، وتأخذك مباشرة إلى الجنة (أنا أحبها) تلك الجملة دائمًا يرددها (آدم) في مخيلته، نعم أنا أحبها، أتمنى الموت بين يديها، أن تكون آخر أيامي هي فيها (سارة)، هي من تحمي العالم مني، أخاف عليها من نفسي .....
و بينما (آدم) في تلك الحالة والتفكير سمع صوت يأتي من خلفه.
- آدم.

يا الله إنها هي، لكم أتمنى الموت الآن حتى يكون صوتها هو آخر ما أسمعه في تلك الحياة، هي الداعي الوحيد للعيش تلك الحياة البائسة، كم أكرهها، أتمنى أن نختفي أنا وهي من تلك الدنيا، أن يكون لنا دنيا أخرى لنا وحدنا لا يشاركنا فيها أي شخص.....

- يا (آدم)!!

قاطعه الصوت مرة أخرى، ولكن بلهجة حازمة ورقيقة في نفس الوقت، التفت (آدم) إلى مصدر الصوت.

نعم إنها (سارة) تلك الملاك الذي أرسله الله رحمة للعالمين من ذلك الشيطان المسمى آدم.

نعم إنها هي، لا يمكن أن يكون غير صوتها، انطلق في فرحة حين نظر لها يظن أنها أتت إلى الأرض خطأ، كان يجب أن تكون من الملائكة، وأنها نزلت إلى الأرض عن طريق الخطأ؟

- كيف حالك يا (سارة)؟

- بخير الحمد لله.

نعم يجب أن تكوني بخير هل لو كنت غير ذلك كان هذا سيكون حالي، كان من الممكن أن ألقى حتفي إذا لم تكوني بخير.

- أين ستكون بعد مواعيد العمل؟

أكملت (سارة) كلامها وهي سعيدة لملاقاة (آدم)، ولكن في نفس الوقت كان هناك شي يقلقها وهو ما لاحظه آدم.

- في البيت على ما أعتقد، هل نسيتِ أنَّك منعتني من الجلوس على المقهى وكذا مع كثير من أصدقائي.

- هذا كان لمصلحتك، وأنت تعلم ذلك جيدًا.

- حسنًا، لذلك لم أعترض وسأكون في البيت بعد انتهاء العمل، ولكن أخبريني ماذا بك؟ اعتقد أن هناك أمرًا ما يشغلك!

- نعم، هناك سأخبرك به، في مكاننا المعتاد، سوف أنتظرك هناك الساعة السادسة بعد انتهاء دوام عملك.

- لماذا لا تخبريني به الآن، أنا أريد أن أعرف.

- لا لن أقول لك، سوف أخبرك به مساء.

فلتنزل علي اللعنة الآن، ستلعب علي لعبة الفضول القاتل، فهي تعلم أن فضولي يقتلني، ودائمًا ما تستمتع باللعب على ذلك الوتر، ولكني لن أظهر لها.

- حسنًا يا معجزتي الكبيرة، سوف أُنْهِي عملي وأنتظرك هناك، لا تجعلي الفضول يقتلني، ولا تخلفي ميعادك معي من فضلك، فأنا أنتظر لقاءك كل يوم على أحر من الجمر.

- (آدم) مَنْ في الصيدلية ينظرون لنا، سوف أرحل الآن.

تبًا لهم جميعًا، أنا لا يهمني أحد، لا يمكن لأحد أن يقف في وجه (آدم) إلا هي، حسنًا سوف تمر علي تلك الساعات القليلة كالسنوات، وسوف أعذب إلى أن تحل تلك الساعة، ولكن ما باليد حيلة، يجب أن أنتظر، إنها (سارة)، وهي مثل اسمها، فهي سارتي وسروري وفرحي وجمالي.

قطع (آدم) نبرة مميزة من أحد العاملين بالصيدلية، إنها الدكتورة (عايدة)، هي رئيسة الشفت ورئيسة (آدم) المباشرة، بينهما علاقة مميزة، فهم مثل الإخوة تمامًا، لا أحد يعامل معاملة (آدم) في الصيدلية، فهو الفتى المميز لصاحب الصيدلية، وأيضا لدكتورة (عايدة) لما يمتاز به من ذكاء وفطنة جعله يتخطى جميع مَنْ سبقوه في تلك المهنة.

دكتورة (عايدة) خريجة إحدى الجامعات الخاصة، إنها تقترب من (آدم) سنًا فهي في الثانية والعشرين من عمرها، تنتمي للطبقة المتوسطة مثل (آدم)، والدها أحد العاملين بالمملكة العربية السعودية، يمتلك قدرًا كبيرًا من الخبرة التي أوصلته هو وعائلته لتلك المكانة؛ لذلك لم يكن من الصعب أن يُدخل جميع أولاده جامعات خاصة، ولكن كان عليه العمل بقدر كبير من المجهود والإمساك في الإنفاق حتى يتمكن من هذا.

لكن (عايدة) ليست كأي شخص آخر، فهي مثل ما نقول: خلق ليفرح الناس، كائن جميل لا يمكن لأحد أن ينكر هذا، تأخذ (آدم) كأخ لها، تحكي له جميع ما تمر بها، و(آدم) أيضًا يجيد الاستماع وإعطاء النصيحة، لذلك كانا مقربين من بعضهما جدًا.

- من هذه يا (آدم)؟ هل هذه (سارة)؟ أم أحد آخر لم تحكي لي عنه؟
- انتظري انتظري، ما كل هذه الأسئلة؟
- حسنًا، سوف نبدأ من جديد. من هذه؟
- (سارة).
- الآن أعلم لماذا أنت سعيد في حياتك.
- لماذا يا صاحبة العقل الفصيح.
- من يملك هذا الملاك لا يحزن أبدًا.
- دكتورة (عايدة) أنت لا تعلمين شيئًا.
- لا لا أنا أعلم الكثير، وأراهنك أني أعلم كل شيء، فلست أنت الوحيد الذي تقول لي ماذا يحدث في حياتك، فهناك من ينقلون أخبارك لي.

ثم ضحكت (عايدة) ضحكة شريرة مثل ضحكات الأفلام، وأيضا (آدم) ابتسم، لم يكن مستعدًا لأن يخبرها أي شيء عنه أو عن (سارة) أو عن حياتهما عمومًا، ولكنه أجابها:

- دكتورة (عايدة) أقسم لك أنك سوف تعرفين كل شيء عني، ولكن في هذا اليوم ستتمنين أنني لم أحك لك شيئًا، وأن يعود بنا الزمن لكي تقطعي علاقتك بي، وأن لا تريني أبدًا في حياتي.

تلك الكلمات أخذت تردد في مخيلة (عايدة) وهي تفكر ماذا يعني هذا الكلام؟ إنها تعرف (آدم) منذ فترة ليست كبيرة ولا صغيرة، تعرفه منذ سنتين عندما أتت للعمل في الصيدلية، ولكنها أيضا تعلم (آدم) جيدًا، فهو ذكي، أو كما كانت تقول عنه إنه نابغة، لقد تعلم مهنة الصيدلة في أقل من عام، إنه يمتهنها منذ أن كان في السادسة عشر، حفظ جميع أسماء المواد الفعالة، حفظ جميع أنواع الأدوية، أصبح يعلم معلومات أكثر بكثير ممن هم خريجي كلية الصيدلة، ماذا يفعل بكل تلك المعلومات، ولماذا يحتفظ بها بالرغم من أن هذا المجال ليس مجاله، ولا حتى هواياته، إنه يحلم بالعمل في السياحة، يريد أن يمتلك شركته الخاصة، إذن لماذا تهتم بمهنتنا كل هذا الاهتمام، أنت يا (آدم) مثير للاهتمام، تعرف ماذا تريد ومن أين تأخذه، وهذا أعرفه عنك حق المعرفة.

- حسنًا أيها الرجل الغامض، ولكني أشك في حديثك هذا، ولكن الأيام بيننا.

ابتسم (آدم) ابتسامة خفيفة قبل أن يلتفت ويذهب ليكمل ما كان يفعله.

يجلس (آدم) في تلك الحديقة ذات الأشجار العالية، يحدّق في كل تلك الوجوه المحبة وتلك البراءة الرهيبة على وجوههم، ويتساءل: لماذا لا يعيش في تلك الحالة النفسية المريحة كما يعيشها العشاق؟

لماذا دائمًا هناك تلك الهالة من القلق التي تحوم حوله وحول علاقته بسارة. دائمًا ما كان يحلم أنه سيعيش تلك الحالة من الحب والهيام معها وأنها سوف تنتهي بزواجهما معًا مثل الكثير من قصص الحب.

ولكنه كان يعلم الواقع جيدًا، فهو لا يصلح للعيش مع هذا الملاك، سوف تكون النهاية سيئة حقًا، ولكنه سيفعل أقصي ما يمكنه لكي تكون بجواره، لقد تخلّى عن حياته السابقة من أجلها وانفصل عن العديد من الأصدقاء لرضاها، والآن هو يعرف أنها لن تذهب بعيدًا عنه، ولكن من سيقبل بهذا؟ لا أحد من أهلها وخاصة والدها ذلك الشخص المتكبر، الذي يرى أنه الأفضل بين الناس، وأن ابنته لا يمكن أن تتزوج غير شخص مرموق اجتماعيًا وماديًا.

نعم سوف يجعل ابنته سلعة يبيعها لمن يقدم قرابين أكثر، هي في طريقها إلى كلية الطب، ما كان يحلم بها من زمن ويريد أن يلحقها بها الآن سوف تحقق حلمه، وسوف يزيد طموحه في صيد زوج لها الآن. ماذا يريد ذلك الأحمق؟ إنها هي من تمنعني من الفتك به.

و لكن أين هي الآن، لقد تأخرت عن موعدنا المتفق عليه، الساعة الآن السابعة ولم تأتِ بعد، أتمنى أن تكون بخير، إن الشيطان بداخلي يخبرني بحدوث شيء كبير لها، لم تتأخر عليَ أبدًا في حياتي دون الاتصال لتعتذر عن التأخير. سوف أذهب لها الآن، لا يهمني ما يحدث، لا أستطيع الانتظار (سارة) أنا سآتي وليحدث ما يحدث.

لم تمل (حياة) من الذهاب إلى مصر، كانت في كل مرة تأمل في الحصول على ما تريده، تأمل في الخروج من حياتها، أن تجد حياة جديدة في مصر، نعم كانت مصر لها هي الجنة.

- حياة.

- نعم يا جدتي.

- لماذا لم تبدئي في تجهيز حقائبك، ألم أخبرك أننا سوف نذهب إلى القاهرة بعد أسبوع.

- نعم أخبرتني، ولكن أبي يريدني هنا بجواره، لا أظن أنه سيسمح لي بالذهاب.

- من يكون هو ليخبرني أني لا أستطيع آخذك معي.

- جدتي أعتقد أنه لا يريد ذلك؛ لأن والدتي هناك في مصر هي وأخواتها.

- ليس لنا دخل في هذا، فهي أمك مثل ما هو أبوك.

ابتسمت (حياة) بعد أن اقتنعت أن جدتها سوف تجبر أباها أن تأخذها معها إلى مصر، أو الأفضل أنها سوف تشهد مشاجرة بين والدها ووجدتها.

ذهبت جدة (حياة) إلى الشقة المقابلة لها، والتي يسكن فيها ابنها (حسام)، وكانت تعرف ما يفكر فيه ابنها، نعم فهو تربيتها، تعلم ما يدور في عقله، وهو ما لا تعلمه حفيدتها الصغيرة، تلك الحمقاء الساذجة الصغيرة، تظن أن الحياة كلها تدور حولها، لا تعلم أننا مَنْ نتحكم في مصيرها.

طرقت على الباب عدة طرقات، لم يجب أحد، اعتقدت لوهلة أنهم قد ذهبوا إلى الخارج، ولكنها لم تسمع بابهم يفتح، إذًا لماذا لا يجيب أحد؟

- فيصل.

أخذت تنادي على ابنها لترى إذا ما كان في الداخل أم قد خرج هو وزوجته الجديدة دون أن يخبرها، وهنا سوف تصب عليها غضبها.

- نعم يا أمي.

قبل أن تهم بالرجوع إلى شقتها سمعت صوت ابنها قادمًا من الداخل ينادي عليها، يبدو أنه كان نائمًا، لقد ظلمت ابني، لقد استيقظ من نومه ليجيب علي.

لا لم أظلمه فهو يكرهني أيضًا مثل ابنته، يقول أني أسيطر على حياته، وأنه يريد أن يخرج من تحت سيطرتي، لا يريد أحد أن يملي عليه ما يفعل. إنه يتمنى موتي ليرث هذا البيت مع إخوته، ويكون هو المتحكم الأول والأخير فيه.

- مرحبًا مرحبًا يا أمي.

- أهلاً يا فيصل كيف حالك؟

- بخير يا أمي، طالما أنتِ و(حياة) بخير.
كانت تعلم أنه يجاملها تلك الابتسامة وتلك المودة الزائفة، تعرفها من على بعد, لا تحبها وتتمنى أن تنتهي، تتمنى أن يكونوا صرحاء معها، ولكنها من داخلها سعيدة بتلك المجاملات، سعيدة بتلك القوة المفرطة التي تملكها عليهم، سعيدة بتلك المخاوف التي تتنامى بداخلهم بمجرد رويتها.
- الحمد لله على كل شيء.
ثم أكملت كلامها بطريقة لينة:
- هل كنت نائمًا أم ماذا؟
- نعم جئت من العمل مجهدًا، أعدّتْ لي (إسراء) الطعام، ولكني لم آكل من التعب.
- أعانك الله يا ولدي.
سكت الاثنين لوقت قصير قبل أن يتكلم (فيصل) مناديًا لـ(إسراء) زوجته أن تعدّ القهوة العربي لوالدته، ثم التفت إليها وسألها: هل كنت تريدين شيئًا أم جئت لتجلسي معي قليلاً؟
دخلت (هناء) في صلب الموضوع مباشرة ووجهت سؤالها إلى (فيصل):
- لماذا لا تسمح لـ(حياة) بالذهاب معي إلى مصر؟
ارتبك من سؤالها برغم أنه كان يعلم أن منعه لـ(حياة) بالنزول إلى مصر سيسبب له الكثير من المشاكل معها ومع والدته (هناء)، وبرغم أنه كان يجهز للحجج التي جعلته يمنعها من النزول، ولكن في حضرة والدته هو لا يستطيع أن يتكلم.
يلجم لسانه تظهر كلماته متقطعة أشبه بالكلمات المتقاطعة، يحتاج لعبقري لحلها، إنه يكره تلك الحالة النفسية التي تجتاحه في كلامه معها، لماذا لا يراها مثل باقي الناس.
إن (فيصل) بليغ في كلامه مع الناس، لا أحد يستطيع هزيمته في فن الكلام لدرجة أن البعض يطلق عليه سقراط، ولكنه أمامها كالطفل الصغير الذي لم يتم أعوامه الأولى بعد، ليس حبًا فيها، ولكنه خوفًا من قسوتها.
لا يعلم لماذا هو خائف، ولكنه شيء تربى بداخله منذ الصغر، تربى على الخوف منها، لم يعرف خوفًا في حياته إلا الخوف منها، رغم أنه الولد الوحيد على بنتين، ولكنه كان المدلل، كانت تحميه من أي شيء ومن كل شيء، ولكن في نفس الوقت تعمل على زرع قوتها في قلبه؛ لذلك مع مرور الوقت أصبح لا يخاف من شيء إلا هي.
- أنت تعرفين أن (داليا) هناك في مصر، وأنا لا أحب أن تكون (حياة) هناك معها.
- أنت تسمح لها بالذهاب لها هنا، لماذا لا تسمح لها هناك؟
- هنا (حياة) أمامنا، وإذا حدث لها أي شيء نستطيع التصرف، أما هناك في مصر فالموضوع سيكون صعبًا.
- أنا سأكون معها هناك يا (فيصل)، لا داعي لكل تلك التعقيدات.

- أنا لا أعقدها يا أمي، تلك هي الحقيقة وسترين أني كنت محقًّا.
- منذ متى وأنت تصبح على حق؟
يعلم أنه لن يأخذ معها حقًّا ولا باطلاً، إنها أمّه منذ أن فتح عينيه على الدنيا لا يستطيع مجادلتها أكثر من هذا، فهو يعلم أن الأمر سينقلب عليه في النهاية، يمكنها أن تجعله يترك البيت ويأخذ زوجته الجديدة ويرحلا من البيت؛ لذلك يفضل السكوت أو عدم المماطلة.
أما تلك الصغيرة اللعينة لقد أخبرتها أن تقول لجدتها إنها لا تريد أن تذهب إلى مصر وتريد البقاء هنا في السعودية مع عدم ذكر السبب، أو أن تتهرب منها، المهم أن لا تأتي باسمي في الموضوع، ولكنها أخبرتها، سوف نرى يا (حياة)، لن أجعلك تكملين حياتك، سوف أريك من هو فيصل فودة؟
- سوف أذهب الآن إلى شقتي يا (فيصل) لأخبر (حياة) أن تجهز حقائبها، سوف نذهب إلى القاهرة بعد عشرة أيام، وأنت سوف تصحبنا إلى المطار.
- حسنًا يا أمي فلتصحبك السلامة.
****

عادت هناء إلى شقتها لتجد (حياة) تجهز حقيبة السفر الخاصة بها، علمت أن (حياة) سمعت الحوار الكامل بينها وبين والدها، وكانت فرصة لفرض نفسها في البيت.
أما (حياة) فكانت تعلم أنها سوف تتعلم درسًا قاسيًا في الأخلاق، وكانت جاهزة كل الجاهزية لذلك الدرس، سوف تخبرها جدتها أن هناك شيئًا خاطئًا، وأن كل ذلك بسببها؛ لأنها لم تتربى جيدًا، وأنها تساهلت في تربيتها كثيرًا حتى أصبحت لا يهمها أحدًا ولا تهتم لأحد غير نفسها.
نعم إنها جدتي، وأنا أكثر من عشت معها، وهي مَنْ ربتني وأعرف ماذا ستفعل، وأتمنى أن ينتهي بسرعة، فأنا غير قادرة على تحمل هذه التفاهات الآن، فأنا متعبة جدًّا، وأريد أن أجهز حقيبتي من الآن.
صرخت (هناء) فيها وقالت لها بلهجة صارمة تميل إلى الغضب:
- (حياة) ماذا تفعلين؟؟؟
- سوف اذهب معك يا جدتي إلى مصر؟ أليس كذلك؟
- كيف علمتِ؟ هل كنت تتجسسين علينا ونحن نتكلم؟ هل هكذا علمتك أو كانت تلك أخلاقنا؟
نعم نعم هيا يا جدتي، أنا جاهزة لوصلة توبيخ أخرى، هيا ابدئي حتى ننتهي بسرعة وأنتهي من تجهيز حقائبي قبل النوم، حتى لا أنسى شيئًا من أشيائي.
- أنا آسفة يا جدتي، ولكن كان صوتك عالٍ جدًّا لدرجة أني استطعت سماعك من هنا، صدقيني أنا لم أتجسس عليكما.

- صوتنا لم يكن عالياً، بل أنت من تريدين أن توقعي الدنيا في بعضها. هل تعلمين إذا ما دخل علينا والدك الآن ورأى أنك جهزت حقائبك سيقول أننا كنا متفقتين على هذا.

- أولا أنا لم أجهز حقائبي بعد، أنا فقط أنزلتها من فوق الدولاب حتى تكون جاهزة.

و قبل أن تتكلم (حياة) ثانياً وجدت (هناء) تقاطعها بلهجة حادّة جعلت حياة ترتبك جدًّا.

- هل تكذبيني أم تكذبين عيناي؟ أنا لم أستطع تربيتك، من الأفضل أن كنت تركتك مع والدك ليربيك على الحزم والقوة، أما أسلوبي اللطيف لم يعد يجدي معك نفعًا، وأصبحت تنعتيني بالكذب. ما هذا يا الله لماذا تركتني إلى اليوم الذي أرى فيه حفيدتي تهينني!

كادت (حياة) أن تنفجر، ولكنها كانت تدرك ماذا سيحدث إذا حصل هذا، سوف تحرم من النزول إلى مصر مدى الحياة، أو الأسوأ، يمكن أن تحرم من النزول من البيت لسنين، أما الحل الممكن أن تطردها من شقتها لتعيش مع أبيها.

هكذا كانت حياتي مشتتة بين ثلاث منازل جدتي، أبي، أمي. إذا طردتني سيكون هذا أخف عقاب ممكن أن أتعرض له؛ لذلك لن أتكلم ولن أجادل، وسوف أستخدم طريقة أبي وهي (التطنيش).

- حسنًا يا جدتي، أنا المخطئة، وسوف أسمع كلامك وآسفة على ما بدر مني الآن، ولكن بقلبك الرحيم سوف تسامحيني أليس كذلك؟.

نظرت لها هنا بنظرة استحقار (فلتكملي تجهيز حقيبتك بعدها تجهزي حقائبي) قالت لها تلك الجملة وهي بنفس النظرة المشمئزة.

- حسنًا يا جدتي، ولا تتضايقي مني، فأنا أحبك كما تعلمين.

و ابتسمت (حياة) ابتسامة رائعة، ولكنها كانت تبكي من داخلها، إلى متى سوف تستمر تلك الإهانات وتتقبلها لمجرد أنها لا يمكن أن ترد عليها، إلى متى سوف يستمر هذا.

من المسافة بين تلك الحديقة اللعينة حتى منزل (آدم) و(سارة) مسافة لا تقل عن سبعة كيلو مترات، وتحتاج إلى أحد المواصلات لطول المسافة، ولكن (آدم) لا يحتاجها، فهو الآن يستشيط غضبًا، سوف يذهب إلى هناك ماشيًا أو راكضًا أو لا تعلم ما هي تلك الطريقة التي يسير بها الآن، طريقة من فقد الجنة وذاهب للبحث عن طريق يؤدي إلى النار، وفي تلك الحالة النصيحة الوحيدة التي أستطيع تقديمها لك هي الابتعاد عني الآن.

و لكن هذه النصيحة لم يكن يعلم بها ذلك القادم من بعيد بجسده المتناسق الرياضي، الذي يقولون عنه إنه يشبه آلهة جبال الأولمبيس، جسده منحوت، دائم الذهاب إلى صالات الحديد، من المهتمين جيدًا بمظهرهم، ما يشغل بالهم دائمًا هو المظهر الخارجي.

إني أمقتهم وأكرههم، يظنون أنهم من الطبقات العليا وأن لا شيء يقف أمامهم، هو منهم، إنه (أحمد راضي) شقيق (هشام راضي)، ذلك الفتى الذي لا أعتقد أنه حكى شيئًا لأي أحد حتى لأخيه هذا عما فعلته به، ستظل تلك النقطة السوداء تطارده طول حياته، أما (أحمد) الجميع يخشاه، وهو يعلم ذلك، وكان يظن أني أيضًا أخشاه، غبي، فهو لا يعلم شيئًا، ولكنه سيعلم الآن.

نظر (آدم) بعيدًا في الاتجاه الآخر حتى لا يحتك مع أي شخص وخصوصًا (أحمد)، ولكنه وجد أن (أحمد) قادم له خصيصًا وبدا في الاقتراب منه.

- (آدم) كيف حالك؟

- جيد، ولكني على عجلة من أمري الآن، ولا يوجد عندي وقت للحديث، سوف نتحدث في وقت لاحق.

هكذا ظن (آدم) أنه أحرج (أحمد) وأنه لن يستمر في الكلام وسوف يتركه يذهب.

ولكن هذا لم يحدث.

- أعلم انك في عجلة وأنه لا يوجد وقت، ولكني أريد محادثتك.

نظر له (آدم) بكل ضيق وهو يقول بداخله: (ما هذا الأحمق! أقول له لا أريد التحدث وهو يعلم ذلك، ولكنه يصر على الحديث، ألا يوجد تلك القطعة اللزجة داخل رأسه المسماة: عقل) ثم قال له (آدم) وهو يهم بتكملة طريقه:

- من فضلك (أحمد) في وقت لاحق.

قطع (أحمد) الطريق على (آدم) بطريقة استعراضية ثم رفع كمي القميص إلى أعلى ونظر إلى (آدم) نظرة المتحدي وكأنه يقول: هل تريد أن تدخل معي في عراك؟

أما (آدم) فإنه إذا دخل معه في عراك الآن فستنتهي بمقتل أحدهم، (آدم) أو (أحمد)، هناك اسم فقط سوف يبقى على قيد الحياة، ولكن لا أظن أن (آدم) مستعدًا للموت الآن، إذًا

سيكون (أحمد)، الاختيار بسيط، ولكنه أيضًا لا يريد السجن، لا يريد العودة له مرة أخرى، إذًا سوف يهدأ ويكمل طريقه دون النظر إليه.

تراجع (آدم) خطوات بسيطة إلى الوراء ثم اتخذ طريقًا آخر غير الذي يقف فيه (أحمد) حتى يستطيع الرحيل بغضبه الآن.

و لكن عندما هم (آدم) بالرحيل جاءه صوت (أحمد) بنبرة سخرية.

- أنا أعلم لماذا أنت مستعجل إلى هذه الدرجة.

ثم ضحك (أحمد) ضحكة كبيرة وكأنه اكتشف سر من أسرار الكون، ولكن تلك الجملة جعلت (آدم) يتراجع عن قرار الرحيل لثوان قبل أن يفكر أن (أحمد) لا يعلم سبب استعجالي هو فقط يظن أني خائف منه، لا يهمني، فليظن ما يظن أنا راحل.

- سارة.

جاءت تلك الكلمة على (آدم) كشخص ضربه البرق في وسط المحيط أثناء موجة تسونامي وهو لا يعلم هل سيموت من ضربة البرق أم سيموت غرقًا في الموجة!!

لماذا (سارة) لماذا هذا الاسم؟ المزيد من التساؤلات تطرح على رأس (آدم)، الآن ليس الوقت المناسب لك. أنا أتمنى أن أقابلك في الجحيم، سوف أكون سعيدًا جدًا بهذا، ولكن الآن أنا أكره هذا، وأتمنى أن لا يحدث في تلك اللحظة.

- ماذا تقول؟

- أقول (سارة) يا (آدم) أنت تسمعني جيدًا.

بعد تلك الجملة استشاط (آدم) غضبًا، لم يكن ليتملك أعصابه من الفتك به، ولكنه كان يريد أن يعرف ما داخله من معلومات، إن (آدم) ليس ذلك الغبي الذي تتحكم أعصابه في تصرفاته، ولكن يستطيع وزن الأمور، كان يعرف متى ينفذ انتقامه، ومتى يؤجل الأمر حين يتوجب عليه تأجيله.

ما زاد من غضب (آدم) تلك الابتسامة الشيطانية على وجه هذا الساذج (أحمد)، كان يظن أنه يستطيع التغلب عليه بتلك السهولة، أو إثارة أعصابه ليدخلا في عراك، وكان يعتقد أنه هو الفائز به لا محالة، فهذا (آدم) النحيل لا يوجد له فرصة في مواجهة كتلة العضلات تلك.

رغم البراكين الثائرة داخل (آدم) ولكنه احتفظ بمظهره الهادئ الذي فقده لحظات قليلة جدًا وقال لـ(أحمد):

- أنا لا أفهمك ولا أعرف عما تتكلم؟

- حسنًا لن أوضح أكثر من هذا؛ لأنك تعرف عما أتكلم.

كان (آدم) يريد أن يعرف عما يتحدث (أحمد)، ولكنه كان يعرف أنه إذا طلب ذلك من (أحمد) لن يخبره قبل أن يتوسل له حتى الموت، وهو الذي لم يتوسل لأحد طوال حياته، يأتي اليوم الذي يتوسل فيه لذلك الأحمق، إنه معتوه.

- أنا أيضا لا أحتاج للتوضيح؛ لأني لا أعرف شيئًا، وأعتقد أني على عجلة كما قلت لك.
- لا لا لا لن تذهب إلى حيث تظن.
- أعتقد أنه ليس هناك سبب لتمنعني من الذهاب إلى منزلي.
- أنت لست ذاهبًا إلى منزلك يا (آدم).
- أعتقد أن منزلي في هذا الاتجاه الموضوع ليس فيه مجال للنقاش، إلا إذا كنت تعرف طريقًا آخر لمنزلي.
- لا أنت ذاهب لمنزل (سارة) أليس كذلك؟
- لقد كررت هذا الاسم العديد من المرات، وأنا لا أعرفه إطلاقًا.
- (سارة محمد) جارتنا وجارتك ألا تعرفها؟
- بلى أعرفها، ولكن ما علاقتها بموضوعنا هذا؟ أنا ذاهب لمنزلي.
- و أنا لن أدعك تذهب إلى هناك.
- فلتبتعد يا هذا من طريقي، إذا كان عندك سبب لمنعي للذهاب إلى منزلي فلتخبرني وإلا دعني أرحل.
- لن أدعك ترحل حتى يتم الأمر.
- أي أمر هذا؟ وإذا كان هناك أمر يخصك فهذا لا يعنيني.
- لا هذا الأمر يخصنا جميعًا أنت وأنا و(هشام) أخي و(سارة).
- لا أنت ولا أخوك ولا حتى هي تخصني، فلتدعني أرحل الآن.

قاله (آدم) وهو في قمة غضبه حتى يرى ردة فعل (أحمد) الذي كان يعتقد أنه سوف ينسفه على صوته العالي هذا، ولكن يبدو أن (أحمد) كان يريد أن ينفعل (آدم) حتى يخبره بشيء ما، ولكنه يرفض البوح بأي شيء له.

- حسنًا يا (آدم) هل تعلم لماذا لم تأت (سارة) لك في الميعاد المتفق عليه.

نظرة دهشة اعتلت وجه (آدم) هو لا يستطيع الردّ، هو لا يعرف ماذا سيقول؟ لقد صدمه (أحمد) بتلك الجملة، كيف يعرف أنه من المفترض أن نتقابل اليوم وفي تلك الساعة؟ ما علاقته بـ(سارة)؟ وما علاقة (هشام) أيضًا، إن رأسي تدور الآن، ولا أستطيع الإجابة على شيء، ولا حتى سؤاله، ولكن إذا كان (أحمد) يعرف كل شيء فلا داعي للتظاهر بالغباء، سوف تكون جميع أوراقنا مكشوفة، ولتبدأ لعبة الأعصاب ولنرى مَن الفائز؟

- لا لا أعرف لماذا لم تأتِ، ولكنه يبدو أنه سبب خطير.
- حسنًا حسنًا يا (آدم).

قالها (أحمد) ثم أتبعها بضحكة كبيرة تنم عن السعادة لرضوخ (آدم) له، وأخبره بكل شيء، الآن يبدو أن (آدم) لا يستطيع مقاومتي كثيرًا، لا أحد يستطيع ذلك، فأنا (أحمد راضي) من يهتزّ له صالات الجيم عند دخولها، من يقف له حراس الجامعة خوفًا منه، من تحبّه البنات

من أول نظرة، ويبدو أن ذلك الإمبراطور الذين كانوا يقولون عنه واقع أمامي الآن، لا يستطيع التحدث، ولا حتى التحرك مني، الآن سوف أعرف كل شيء منه.

ثم أكمل (أحمد) كلامه:

يبدو أننا سنكون صرحاء مع بعضنا الآن.

- أعتقد ذلك، ولقد ربحت في تلك المواجهة، أما الآن لماذا لا تدعني أذهب؟

- لأني أعرف لماذا لم تأت (سارة).

- هل ستخبرني أم ستتركني أذهب لها، وأعرف منها هي؟

- سأخبرك، ولكن يجب أن تتمالك أعصابك؛ لأنك إذا لم تتمالكها ....

ثم في حركة كانت مشمئزة لـ(آدم) قفل (أحمد) عضلات يده كأنه يعلنها سلاحًا إذا أغضبه (آدم)

- لا تقلق يقولون عني أني فقدت مركز الإحساس.

- انظر إن الحياة فيها الكثير من الإحباط والفجوات، ولا يجب أن نستسلم لها، ويجب أن ننهض بعد كل وقوع.....

قاطعه (آدم) بتصفيق كبير مع كلمة تحية، وهو يقول له:

- أعتقد أن درس التنمية البشرية المجاني الذي أخذته قد أثمر معك، ولكن من فضلك فلتحتفظ به لنفسك ولتدخل في الموضوع.

- يوجد عند (سارة) ضيوف.

- وماذا في ذلك؟ كلنا يأتي لنا ضيوف إلا إذا ....

نظر (آدم) إلى وجه (أحمد) فوجده يبتسم تلك الابتسامة التي لا يوجد لها إلا معنى واحدًا، أن تخمينه الثاني صحيح، نعم الآن يعرف ما دخل أخوه في الموضوع، يعرف لماذا يعترضه (أحمد)؟ لماذا لا يدعه يذهب؟

- وهل يعرف أخوك ما تعرفه أنت عني أنا وهي.

- نعم أعتقد أنه يعرف، فهو من أخبرني بكل شيء.

- حسنًا أعرف لماذا فعل أخوك هذا؟ انتقام أليس كذلك؟

- نعم صديقي (آدم) ما أجمل الانتقام وما أروعه عندما تنتقم بتحطيم الشخص من الداخل أكثر من الخارج.

****

- آدم؟ ماذا حدث؟ لماذا كان (حسن) يقف بجانبك؟

- لا تقلق، كان يريد الاطمئنان على والدي.

- برغم أنه بلطجي ولا أحد يقف أمامه، ولكني أعتقد أن له قلب طيب، أتمنى أن أصير مثله عندما أكبر.

- بكرشك هذا يا (سعيد) أنا لا أعتقد.
و انطلقت ضحكة من (آدم) ثم سأله:
- أين هو (هشام) أيها المتخلف؟
- إنه يلعب في الشارع الذي بجانبنا.
- ولماذا لم تأت به أيها المتخلف؟ هل يجب أن أفعل كل شيء بنفسي أم ماذا؟
- لم أستطع، أخوه الكبير (أحمد)، أنت تعرفه، إنه يلعب معه، ورآني وأنا أتحدث معه، وإذا حدث شيء سيقولون (سعيد) هو من فعل هذا، وسأتلقى عقابًا قاسيًا لن يتحمله أحد.
- أين قلت لي أنه يلعب؟
- في الشارع بجوارنا.
- حسنًا انتظرني عند الموقع، وسوف آتي لك بعد قليل.
- حسنًا لا تتأخر، فأنا أخاف الوقوف هناك، يقولون أن المكان يسكنه الأشباح، ولا أحد يذهب هناك إلا نحن الاثنان.
- لا تكن جبانًا واذهب كما قلت لك، لن أتاخر.

****

- هشام ماذا تفعل؟
- لا شيء نلعب بالكرة فلتأت وتلعب معنا.
- لا، فأنا قدمي مصابة، ولا أستطيع التحرك بها جيدًا.
- حسنًا هل كنت تريد شيئًا؟
- (حسن) كان يريد التكلم معك قليلاً.
- (حسن)!!!! أنت تمزح صحيح؟
- لا يوجد مزاح مع (حسن) وأنت تعرف ذلك.
- انتظرني قليلاً هنا.
ذهب (هشام) إلى أخيه (أحمد) ليخبره أن والدته كانت تريد منه شيئًا ولكنه نسي، وسوف يذهب الآن ليحضره لها، وإلا ستعاقبني، وأنت تعرف عقابها.
ثم انطلق (هشام) حيث أخبره (آدم) مكان الالتقاء.
من بعيد يري (سعيد) خيالات تأتي ناحيته في ذلك المكان الموحش المسمى الموقع، هو مكان قديم يقولون إنه كان يستخدم للحرب، كـ(وكر) للجنود المصريين، وأيضًا يقولون: إن موتاهم كانوا يدفنونهم في هذا المكان.
من فوق هو مثل الهضبة التي يجب أن تتسلق للصعود عليها، أم أسفله فكانت هناك العديد من الغرف المظلمة الكئيبة ذو رائحة كريهة جدًا، وجدران متآكلة، الكثير من الحشرات

الموجودة، لا يوجد إضاءة ووجوده وسط الأراضي الزراعية يعطيه الكثير من الوحشة، إنه مثل المقابر.
لا ليس مثلها، بل أشد منها، هي مقابر للأحياء، لا أحد يقترب منها إلا المزارعون، ويقتربون منها في النهار فقط، أما الليل لا أحد يقترب، لا أحد يريد أن يعرف ماذا يحدث؟
الكثير ممن دخلوا هناك يقولون: إنهم رأوا أبشع مناظر حياتهم، إنهم شاهدوا أشياء سوف تأتي في كوابيسهم مدى الحياة، لقد أعطوا لهذا الشيء أسطورة، إنه أسطورة (الموقع).
يفزع (سعيد) ويبدأ في وضع أظافره في فمه ليقطمها من شدة الخوف، لقد قلت لـ(آدم) إنه يوجد أشباح هنا وهو لم يصدقني، سوف أركض وأصرخ لعل أحدهم يراني وينجدني، أنا خائف! أين أنت يا (آدم)، أنت الذي لا يخاف من شيء، كيف لطفل مثلك أن يأتي بكل تلك الشجاعة، أنا لا لاعتقد أنك طفل عادي، أعتقد أنك قادم من الفضاء، أو أنت ابن أحد تلك الأشباح القادمة فلتنجدني يا (آدم).
- آآآآآآآدم
نعم كان (آدم) يعرف صوت مَنْ هذا، إن تلك الصرخة قادمة من (سعيد)، هذا الأبله سوف يخرب علينا خطتنا، فلتصمت يا أحمق أنا قادم، أنا أراك تهتز مثل البقرة التي في بيتكم.
التفت (هشام) إلى (آدم) وقال له:
- أليس هذا صوت (سعيد)، أنا خائف، فلنذهب الآن يا (آدم).
نظر له (آدم) نظرة ثقة ثم قال:
- لا تقلق، سوف تري ما يدهشك كثيراً هناك فلنسرع لـ(سعيد).
بعد تلك الصرخة من (سعيد) واستعداده للهروب، انتظر قليلاً لأنه بدا التعرف على تلك الخيالات، إنه (آدم)، ارتاح (سعيد) كثيراً لرؤية (آدم)، كاد قلبه أن يقف من الخوف، لا يريد أن يتواجد بمفرده هنا، ولا مع أحد أيضًا إلا كما قلت مع آدم.
- (آدم) لماذا أحضرتني إلى هنا؟ (حسن) ليس هنا، لا يوجد سواك أنت و(سعيد).
- لا تقلق! ألم أقل لك: ستري ما يدهشك.
ظهرت ابتسامة على وجه (آدم) أخفت كل براءة الطفولة من على وجهه، وأظهرت وجهًا يخاف منه الكبير قبل الصغير (هذا ليس طفل) هكذا قالها (سعيد) وهو ينظر لـ(آدم) ويري وجهه، يا الله كما قلت: هذا الطفل إنه ابن أحد الأشباح، وها هو يتحول إلى أحدهم الآن.
أما (هشام) فكان مشغولاً بشيء آخر، لقد كان الفزع يتملكه من المكان، ينظر إليه بنظرة رعب يريد أن يركض، ولكن قدمه لا تتحرك، يسمع العديد من الأصوات لا يعلم مصدرها، ماذا سيحدث؟ إنه لا يعرف ماذا سيحدث؟ وعندما نظر إلى (آدم) ليترجاه بالعودة لم يجد (آدم)، (سعيد) فقط هو الموجود وينظر له نظرة غريبة، انهار (هشام) في البكاء يريد أمه،

يريد أن يعود إليها، الآن يريد أن يكون في سريره الدافئ، لا يريد شيئًا آخر، ولكنه أيضًا يريد الهروب وسيهرب.
أطلق (هشام) قدمه إلى الرياح وأخذ يجري في حقول الذرة المحيطة بالموقع، لا يعرف أي طريق هو طريق الخروج، ولكنه سيركض ويركض ويركض حتى يخرج حتى يجد من ينقذه.
إنه الآن يرى ضوءًا خافتًا، نعم إنه طريق الخروج، لقد استجيبت دعواتي، سوف أخرج الآن، ولكن ما هذا؟ إن الأرض تهتز من تحت قدميه، غير معقول، من فضلك ليس الآن، لا أستطيع السقوط الآن، إن باب الخروج هناك، لقد حدث، لقد سقط، إن ملمس التراب ناعم، لقد كنت أحب ملمسه كنت أحب ألعب به، ولكني لم أتذوق طعمه من قبل، وها أنا الآن أتذوقه، إن رأسي في التراب الآن.
ينظر (هشام) أمامه ثم ينظر خلفه، الآن يعلم أنه لم يسقط من تلقاء نفسه، لكن ذلك الشيطان خلفه هو من أسقطه، ما هذا الوجه؟ ما هذا الشيء؟ إنه أسود الوجه وله عينان حمروان وقرون صغيرة.
إذًا ما يقال عن هذا المكان صحيح، لقد اختطف المكان أو تحديدًا هذا الشيء (آدم) وها هو الآن يختطفني، سأموت هنا، ولكنه وقف ثابتًا لا يتحرك، ولكني أنا بدأت في التحرك، شيء ما يجذبني إلى الداخل، وهذا الشيء يقف متفرجًا على ما يحدث، أنا خائف، لا أستطيع فعل شيء، الآن أنا أمام الموقع، خرجنا من حقول الذرة وأرى ما يجرني الآن، إنه شيء ضخم جدًا، وجهه قبيح، إنه أقبح من الآخر، ولكنه ليس أكثر رعبًا، يتجه بي ناحية القبو الموجود في الموقع، أصرخ عاليًا، ولكن لا أحد يجيب، الجميع يخاف أن يأتي هنا، لكن لماذا لا ينقذوني، إني احتاج أمي، أين أنتِ يا أمي؟
يستمر (هشام) في بكائه الهستيري وصراخه الصاخب أثناء جره إلى أسفل الموقع حتى يتم إدخاله في إحدى الغرف، وهي كفيلة بأن تقتل أي أحد من الخوف بمجرد رؤيته، فما بالكم بالجلوس فيه طوال الليل، والباب مغلق دون وجود طريقة للخروج.
بعد كثير من الصراخ لم يجد (هشام) فائدة، أو قد تعب من الصراخ، فأخذ ركبتيه في بطنه ويديه تحوطهما في وضع الجنين، وأخذ يبكي دون صوت، وعندها سمع صوتًا عند الباب يقول: (ما أجمل الانتقام وما أروعه عندما تنتقم بتحطيم الشخص من الداخل أكثر من الخارج).
يظهر الآن ذلك الشيئين أمام بعضهما، إنهما حقًا ليسوا مخيفين، ولكن الجو والمكان كان يجعل أي شيء مخيف، ينظر الاثنين لبعضهم يبدأ الضخم بالضحك ويقول:
- هل رأيت منظره، سوف يتذكر هذا اليوم بالكامل، لن يرى غيره حتى مماته.
- كُفَّ عن الضحك وأزل هذا القناع عن وجهك.
يزيل (آدم) و(سعيد) القناعين عن وجوههم.

- لكن يا (آدم) كان من الممكن أن يموت الليلة، هل يجب أن يمضي الليل بأكمله هنا؟
- اصمت وإلا وضعتك معه.
- حسنًا حسنًا ليس لي شأن في هذا.
في اليوم التالي وبعد بحث طويل من جميع أهالي المنطقة والمناطق المجاورة وجدوا (هشامًا) في آخر مكان كان من الممكن أن يجدوه به، إنه الموقع.
وجدوا (هشامًا) فاقد الوعي من كثرة البكاء، ووجدوه مليء بقاذوراته، وفي حالة يرثى لها، أخذوه إلى المستشفى، وعندما أفاق أخذ في البكاء ثانية والصراخ حتى هدأ، ورأى مَنْ حوله، ثم أخذ يحكي لهم عن الأشباح الذين خطفوه، ومدى فظاعة منظرهم، والجميع يستمع له وهم في حيرة من أمرهم، فمنهم من يقول: إنه طفل، لا يدري ما حدث! ومنهم من يصدقه ويقول: إن الأطفال لا تستطيع الكذب ولا اختلاق القصص، وأن ما حدث له هو ما يحدث لأي شخص يدخل الموقع في الليل، ولكن السؤال الأهم الذي طرحه الجميع: لماذا كان (هشام) هناك في الموقع؟ ماذا كان يفعل هناك مع (آدم) و(سعيد)؟ ولماذا لم يحدث لهم شيء؟ كانت أسئلة يقولون: إن إجابتها مستحيلة؛ لأنهم أطفال.
و لكن ما لا يمكن لهشام نسيانه طوال عمره هي تلك الجملة: (ما أجمل الانتقام وما أروعه عندما تنتقم بتحطيم الشخص من الداخل أكثر من الخارج).

****

نعم (آدم) يتذكر تلك الجملة جيدًا، يتذكر كيف كان يقولها لكل من مر عليه، الآن جملته انقلبت عليه، الآن تلك الجملة تقال له هو، يشعر باللاشيء، الآن يعرف لماذا حدث كل هذا، يعلم لماذا (هشام) هناك عند (سارة)، يعلم أن (هشام) يريد الانتقام منه لما فعله معه تلك الليلة، ولا يوجد طريقة أقسى من (سارة)، وهو اختار الطريق الصحيح الذي يستطيع به قتلي، ولكني لن أنتظر، سوف أفعل أقصى ما يمكن، لا يمكن لـ(سارة) أن تكون من نصيب أحد غيري، حتى لو اضطررت للبوح بالسر الذي بيني وبينها، بالسر الذي لم أخبر به أحدًا، بالسر الذي يربطني بها منذ معرفتي بها، وسيربطني بها حتى نهايتي، حتى موتي.
الآن يظن (أحمد) أن لا حيلة لي، وأنه أصبح يمسكني من يدي التي تؤلمني، إني لم أعد أستطيع فعل شيء، ولكني لم أريهم أفضل ما عندي بعد، ولتبدأ اللعبة.

بمجرد مغادرة (سارة) من عند (آدم) لم تكن تنوي العودة إلى البيت إلا بعد مقابلته؛ لأنها تعلم ماذا ينتظرها في البيت، هي لا تريد ذلك ولا تحب أن تكون لأحد غير (آدم)، ولكن والدها يظن أنها سلعة، ذلك الشاب (هشام) الوسيم في كلية الهندسة، والده من أغنياء المنطقة، لَكَم كان والدي يتمنى تلك اللحظة، إنه العريس المناسب لابنته، ولكن رأيي أنا فليذهب إلى الجحيم، مَنْ أنا لأقول رأيي أو لأقول: غير موافقة، أنا مجرد ابنته، وهو المتحكّم الأول والأخير في الموضوع.

- سارة.

أتى هذا الصوت من ورائها، إنها تعرف هذا الصوت جيدًا، إنه والدها، ولا يبدو أنه ينوي خيرًا، ألا يمكنك الانتظار حتى الساعة السابعة عند عودتي إلى المنزل؟ لماذا الآن؟ أعتقد أنه الوقت المناسب للدعاء أو الهرب.

- لماذا كنت في تلك الصيدلية؟

اضطرت (سارة) للكذب حتى لا يستشيط غضبًا، هو لا يضربني، ولكن صوته سيكون عاليًا جدًّا، ومن الممكن أن يسمعه (آدم)، وأنا لا أريد أي احتكاك بينهم الآن، هذا آخر ما أتمناه.

- كنت أحضر بعد كريمات التجميل من أجل اليوم.

- هل تلك هي الحقيقة؟ لأني أظن غير ذلك.

- هل كذبت عليك من قبل يا أبي؟

- لا لم تكذبي، ولكن لماذا تلك الصيدلية بالأخص، يوجد العديد من الصيدليات في المنطقة؟

- لأنه يوجد بها الأفضل في الكريمات، وأيضًا الأسعار بها ليست باهظة مثل الباقية.

- حسنًا، هيا بنا إلى البيت الآن.

كانت تعلم أن هذا سيحدث، والآن لن تستطيع مقابلة (آدم)، ولكن على الأقل سوف تتصل به لتحكي له عما حدث، وأتمنى أن يتفهم (آدم) هذا، لا أريده أي يوذي أحدًا، ولا أن يوذي نفسه.

- أين هاتفك المحمول يا (سارة)؟

- لماذا؟

- سوف أرى عليه شيئًا.

- ها هو.

تبحث (سارة) في حقيبتها حتى تجد هاتفها وتمد يدها به إلى والدها، هي تعرف أنه يمسك هاتفها ليتأكد أنها لا تحدّث ذلك الشاب اللعين (آدم) لكم أتى من المصائب في المنطقة بسببه.

هو لا ينسى عندما أتت الشرطة لأخذه لاتهامه في تعذيب بعض شباب المنطقة، لقد قدَّم فيه أحد الشباب محضرًا كان يقول فيه: إنه قتل الكثير من الشباب، ولكنه يعلم مكان واحد منهم هو الوحيد الذي نجا بعدما فعل هذا، ولكن عندما ذهبت الشرطة لتستجوبه لم يقل شيئًا، وأنكر أنه يعرف من الأساس أي شيء عن هذا الموضوع، وبعده بأسبوع كان قد ترك المنطقة بأكملها ورحل.

و برغم أن التحقيقات لم تستطع أن تثبت شيئًا عليه، وخرج بعد انتهاء فترة التحقيقات التي استمرت لما يقرب من ستة أشهر، ولكن الجميع كان يعلم أنه هو الفاعل، جميع مَنْ في المنطقة كان يعلم أن (آدم) هذا شيطان يمشي على الأرض.

لماذا لم يكن مثل إخوته، كنت سأقبل به لابنتي، كان سيكون عريسًا جيدًا لها، ولكنه اختار طريق الانحراف بعيدًا عن إخوته وأسرته، إن والده شخصية محترمة، وفي قمة الأخلاق، أما هو فلا أعلم من أين أتوا به، وليكن ما يكون، ولكن (آدم) سيكون آخر شخص في العالم يمس ابنتي.

أخذ والدها الهاتف منها ثم وضعه في جيبه، وكان يعلم أن هذا الأمر لن يمر مرور الكرام، وهذا ما حدث، وجد (سارة) تنظر له باندهاش ولسان حالها يقول: (هل تعتقد أن هكذا تفعل الشيء الصحيح؟ لا أظن انك تعرف ماذا تفعل أو ماذا سيجلب علينا هذا؟)

- أريد هاتفي المحمول.

- سوف أعطيه لك في نهاية اليوم، أعدك.

- لا يمكنك فعل ذلك بنا.

- بنا؟ من بنا؟ أنت ومَنْ؟ أنتِ وذلك مدعي الجنون؟ أم أنتِ ومن؟

- لم أقصده هو ولا أنا.

- ماذا تقصدين إذًا.

- أقصدك أنت وأمي وهشام، أنت لا تعلم ماذا سيحدث؟ من فضلك أعد لي الهاتف.

- لن أعيد لك شيئًا، وليفعلْ ما يفعل.

غضبت (سارة) جدًا، وكانت تعرف ما سيحدث، سوف يتحرر (آدم) من وعده، وتلك المرة أكثر الأشخاص المطلوبين من جهته سيكونون هم أهلها، إنها لا تريد ذلك التصادم، لا تريد أن يخرج (آدم) من وعده، هي لا تعلم ماذا سيفعل إذا تحرر، لا بل هي تعلم، ولن يكون ذلك بخير.

احمر وجهها جدًا، وقالت في عصبية لوالدها:

- إذا كنت تريد ذلك الصراع فادخل في الصيدلية، وأريه ماذا يمكنك أن تفعل!!

- لا لن أدخل إلى أي مكان، فهو لم يفعل لي شيئًا حتى أتصارع معه.

- لا أنت لن تدخل لأنك خائف...

نظر لها والدها بغضب، ثم وجدت صفعة قويه على خدها منه، أصيبت (سارة) بالصدمة، فهو لم يفعلها معها من قبل، لم يفعلها في المنزل، والآن يصفعها في الشارع، من شدة الصفعة شعرت (سارة) بشيء دافئ على شفتيها، إنه دم، نظرت (سارة) له وقد تغرغرت عيناها بالدموع، ثم انطلقت إلى البيت.

هو يعلم أنها استفزته، وتعلم أنه خائف من (آدم)، نعم أنا خائف من (آدم)، لا أعلم ماذا سيفعل؟ ولكن لا يجب أن يظل الخوف بداخلي، يجب أن أريه أني أستطيع مواجهته، وأني أستطيع أن أدمره إذا ما فكّر أن يقترب من ابنتي، لن أدعه يقترب وليرني ما سيفعل.

****

تدخل (سارة) إلى غرفتها وتغلق الباب على نفسها، تريد أن تتحدث مع (آدم) لتخبره أنه تحبه، وأنها لا تستطيع التخلي عنه، وأن حياتها من دونه لا تعني شيئًا، فلتأخذني لعنة السماء إذا لم أتكلم معك الآن يا شيطاني المروض.

لماذا دائمًا يحكمون على الشخص من ملابسه ومن شكله ومن طريقة كلامه وتعليمه وماله وأهله؟! لماذا لا ينظرون إلى الشخص نفسه؟! لماذا لا ينظرون؟! لماذا تحولت أفعاله؟ لماذا أصبح كما هو اليوم كل من قابلتهم في يوم من الأيام لمدة يوم واحد على المقهى، أو في اجتماع، أو مباراة كرة قدم، أو حفلة زفاف، ثم تخرجوا لتذموا فيهم هم عند أشخاص آخرين جيدون جدًا، ولا يمكن تعوضيهم. لا تحكم على شخص حسب نظرتك الشخصية، فدائمًا ستكون مخطئًا.

تترقب (سارة) من نافذة غرفتها ظهور (آدم)، لم يعد يظهر ذلك الظهور الدراماتيكي، ولكن يعرف كيف يخبرها أنه في الشارع الآن، ويقف أمام منزلها. تتمنى أن يظهر الآن، ويقول لها: فلتطمئني قلبك، أنا هنا الآن يا حلوتي كما كان يقولها دائمًا في المواقف الصعبة، لا أحد مثله ولا أحد سيقولها مثله.

سمعت (سارة) صوت والدها في الخارج، كانت والدتها تتحدث له وتخبره أن (سارة) في غرفتها منذ أتت من الخارج، وكانت تبكي ولا تعلم ما حدث، وحتى (سارة) لا تريد أن تتحدث مع أحد.

و لكن لم تسمع أي رد من والدها، كانت والدتها فقط هي من تتحدث، أما هو فكان صامتًا، وكانت (سارة) تعلم لماذا هذا الصمت؟ لأنه يوجد بداخله شعورين: الأول بالحزن على ما فعله بها في الشارع، هو لم يعتد أن يمد يده عليها أبدًا مهما كانت الظروف أو المبررات، كان دائمًا ما ينصحها، ولكن لم تصل إلى حد الضرب أبدًا، أما الآن فقد فعل أحد المحذورات، فإنه قلق الآن على العلاقة بيننا، يعلم أني لن أثق فيه مجددًا، ويعلم أنه لن يستطيع محادثتي لفترة طويلة.

أما الشعور الآخر فهو الأكبر وهو المسيطر عليه، إنه شعور الخوف، إنه خائف مما سيحدث في المستقبل القريب، ربما يحدث اليوم، هو يعلم أن اتفاق الخطوبة الذي سيتم اليوم لن يمر مرور الكرام، يعلم ماذا سيحدث، أو يظن أنه يعلم.

لا أحد يعلم ما يمكن لـ(آدم) فعله غيري، أنا، فأنا كنت معه منذ بدأ فيه وحتى الوعد الذي توقف عنده على فعل كل تلك الأمور، هو الآن شخص مستقيم، لا يريد أن يؤذي أحدًا، ولكن إذا ما استفزه أحدهم لا أعلم ماذا يمكن أن يحدث، وأبي يظن أنه يعرف ما الذي في انتظاره.

إنه شخص طيب جدًا، أنا لا أريد أن يقترب أحد منه حتى وإن كان (آدم)، ولكن أيضًا لا أريد أن يقترب أحد مني إلا (آدم)، إنها معادلة صعبة، لا يمكن تحقيق جميع أطرافها، يجب أن يكون هناك طرف لا يشمله الإنجاز، يجب أن يتنازل طرف حتى يتم إرضاء جميع الأطراف، أو المتبقي من الأطراف.

(آدم) لن يتنازل عني إلا بالموت، أو أن أقول له أني لا أريده، وعندها لا أعلم ما يمكن أن يفعل؟ وأبي لن يتنازل إلا إذا حدثت معجزة وأصبح (آدم) معه الكثير من النقود، وأنا لن أتنازل عن (آدم) مهما حصل.

إذًا ثلاثتنا يستعدون للحرب، ولكن (آدم) حتى الآن لا يعلم أن الحرب بدأت، هو غافل عما يحدث وما سيحدث، سوف ينتظرني اليوم في السابعة في الحديقة، وعندما لن آتي، سوف يحاول الاتصال، وعند فشله في الوصول إلي سأجده أسفل منزلنا، أنا أعرف كل هذا، ولكن ما بعد هذا من الصعب توقعه.

سمعت (سارة) طرقات على باب غرفتها، لم تجب (سارة) على الطرقات، استمرت عدة مرات قبل أن تتوقف ويبدأ والدها في الكلام.

- (سارة) حبيبتي هل من الممكن أن أدخل؟

لم تجب، ولم تكن تريد الإجابة عليه، هي ليست حزينة بسبب تلك الصفعة، ولكنها قلقة على (آدم) وعلى والدها وعلي الحرب التي ستقام بينهما، لا أحد يعلم حقيقة تلك الحرب إلا هي، لذلك الوحيدة القلقة من هذا الموضوع.

- (سارة) من فضلك أعلم ما فعلت اليوم، ولا أعرف كيف فعلته؟ هل من الممكن أن أدخل لنتحدث قليلاً وأعدك أني سأتركك باقي اليوم بمفردك حتى يأتي الضيوف.

ثم وجدت (سارة) باب غرفتها يفتح ويدخل والدها، وجدها تنظر من النافذة، كاد أن يغضب لأنه يعرف أنها تنتظره أن يأتي، ماذا بينهما ليتمسكا ببعضهما كل ذلك التمسك؟ ماذا فعل لها هذا الفتى ليعلق ابنتي به بكل هذه الدرجة؟ (سارة) الفتاة المهذبة التي كانت تخجل من التحدث مع أقربائها حتى الآن تهيم حبًا في ذلك الشاب، ولماذا هو يا بُنيتي؟ لماذا هو؟ يوجد الكثير والكثير من الشباب، لماذا لم تجدي غير هذا؟!

- هل نستطيع التحدث الآن؟
- ماذا تريد يا أبي وصلة جديدة من الصفعات، أم ستكتفي بالتوبيخ فقط.
- لم أكن أنوي أن أصفعك أنتِ تعلمين كذلك، أنا أحبك أكثر من أي شيء آخر.
- أنت لا تحبني، أنت تحب نفسك، إذا كنت تحبني إذًا لماذا لا تستمع لي؟ لماذا تأخذ رأي نفسك فقط؟
- أنا أعلم مصلحتك أكثر منك، أنا الأكثر خبرة منك في هذه الحياة، إن الحب لا ينفع في هذه الأيام، سوف تعرفين أني كنت على حق في يوم من الأيام.
- لن أقول هذا حتى لو عشت طوال الحياة في غنى فاحش؛ لأنك لم تدعني أجرب ما أحب أو أعيش مع من أحب، إن الحياة ليست نقودًا فقط، إن الحياة أن تعيش مع من يستحق الحياة معه، وليس من تريد الحياة مع نقوده أو سمعته.
- يبدو أن الحديث معك لا يجدي نفعًا، سوف أتركك الآن، ولتجهزي نفسك، فالضيوف قد أشرفوا على الوصول، وأريدك أن تكوني جاهزة عند مجيئهم.
- الآن أنت تعلم من تحب.
نظر لها والدها نظرة أخيرة قبل أن تلتفت إليه وتقول له: أنت تعلم أن (آدم) لن يسكت على هذا، وتعلم لماذا دخل (آدم) السجن لفترة، ومن الممكن أن يعيدها ثانيًا إذا أحس أني قد ضعتُ من يديه.
احمر وجه والدها غضبًا، ولكنه لم يتفوه بأي كلمة حتى لا تزيد الأمور سوءًا، واكتفى بأن قام بقفل الباب بطريقة عصبية وشديدة، وهنا ابتسمت (سارة)؛ لأنها أيقنت أن والدها يعرف كل شيء، ويعرف ماذا سيحدث.
في تمام الخامسة كان (هشام راضي) ووالديه وأقاربه موجودين في منزل الحج (محمد) والد (سارة)، وبعد واجب الضيافة سأل والدها (هشام):
- أين أخوك (أحمد) كنتُ أظن أنه سيأتي معك.
رد عليه (هشام) بابتسامة خفيفة واثقة:
- لا يا عمي، (أحمد) عنده بعض المهام ليهتم بها، بمجرد انتهائه منها سنجده معنا هنا.
(ما أجمل الانتقام وما أروعه عندما تنتقم بتحطيم الشخص من الداخل أكثر من الخارج).

الآن ستهبط الطائرة في مطار القاهرة، لا أطيق صبراً حتى نهبط، لكم وددت أن أقفز من الطائرة لسرعة النزول.

مطار القاهرة أعتقد أنه حلم كل المصريين الذهاب إليه، وقطع تذكرة سفر إلى أي دولة في العالم حتى وإن لم يكن يعلم بها، ولكن المهم أن يكون خارج مصر تذكرة ذهاب بلا عودة.

أنا لا أعلم لماذا؟ فأنا أعشق مصر، لكم تمنيت أن أكون مصرية، وأن لا أغادرها أبدًا، ولكن الشيء الجيد في حياتي البائسة أن أمي مصرية، وهو ما يتيح لي النزول إلى مصر في كثير من الأوقات.

ما أجملها رائحة وما أجمله مطار، هناك العديد من الذكريات السعيدة فيه، يكفي سعادتي بوجودي فيه، بعد موتي أريد أن أدفن فيه، لا أريد مغادرة مصر أو مغادرته.

الآن الخروج من المطار، ركبنا أنا وجدتي تاكسي للذهاب إلى منزلنا، أنا مرتاحة نفسيًا جدًا، لا أعرف استقراراً أو راحة إلا في مصر، أعشق أهلها والطرق المزدحمة والطبيعة العصبية والمرح في نفس ذات الوقت للشعب المصري، إنهم تركيبة غريبة جدًا، وجميلة جدًا، لكم تحملوا الكثير من المعاناة في فترات طويلة في حياتهم، ولكنهم صابرون وراضون، لعل القادم أفضل...

- ما رأيك الآن يا (حياة)؟

قطعها صوت جدتها بهذا السؤال وهي تنظر إليها بشغف، كانت (حياة) تخاف من الإجابة، فلربما يكون فخًا مثل المعتاد، ولكنها يجب أن تجيب عليها، ولكن لتكن الإجابة حذرة.

- ماذا تقصدين يا جدتي؟

- أقصد مصر، أنا أعرف أنك تحبينها جدًا، ولا تريدين مغادرتها.

- نعم هذا صحيح، أنا أحب مصر، والحقيقة أني بالفعل لا أريد مغادرتها، ولا تركها أبدًا.

- نعم تلك أحلام يقظتك، ولكن الحقيقة أننا لسنا من هنا، ولن نمكث هنا أبدًا، ستكون زيارات عائلية، ثم نعود إلى مكاننا في جدة.

- أنا أعرف، ولكني كنت أتمنى الاستقرار هنا.

قاطعنا صوت سائق التاكسي الذي كان يبدو عليه أنه مهتم بحديثنا جدًا بسبب لهجتنا المختلفة وطريقتنا في الكلام.

- هل هناك من يريد أن يبقى هنا يا أستاذة، نحن حلم حياتنا مغادرتها، وأنتِ حلمك البقاء هنا، أنه أمر غريب.

- إلى أين ستسافرون، لا يوجد دولة في العالم ستكون مثل مصر، أنا أحبها.

- إنها مليئة بالأمراض والرائحة الكريهة، هل تريدين أن أفتح لك نافذة السيارة لتشمّي تلك الرائحة القذرة.

- ومن جعل تلك الرائحة القذرة موجودة، أليس سكانها، أليس أنتم من تفعلون كل هذا، ثم تقولون: مَنِ السبب؟ يجب أن تراجعوا أنفسكم جيدًا.

و قبل أن يرد السائق وجدت صوت جدتي يتحدث إلى السائق بحدّة:

- لماذا تتحدث كثيراً يا هذا؟ هل ستناسبنا أم ماذا؟ فلتتفضل وتوصلنا من غير أي كلام.

و طبعا كعادة السائقين المصريين حدثت مشكلة كبيرة، تمّ على إثرها طردي أنا وجدتي من التاكسي، وأنا من تحملت اللوم والتوبيخ من جدتي؛ لأنني من سمحت لتلك الأشكال أن تتحدث معي أو تجادلني، وهذا لا يليق؛ لأننا أعلى منهم، ولا أحد يستطيع التحدث معنا، ولكن أنت من جعلت له قيمة، والكثير من هذا الكلام أو ما يحمل معناه، وفي الأخير أخذنا تاكسي آخر إلى البيت، ولكن في تلك المرة أغلقت فمي جيدًا حتى لا يحدث مثل ما حدث إلى أن وصلنا للبيت.

علي الرغم أني سوف أقيم عند عمتي، ولكن لا يهم، قليلاً من التعب كثيراً من المتعة، هذا هو شعاري. عمتي (زينة) أحد عُقَد حياتي، دائمًا ما تتنافس معي في كل شيء على الرغم من فرق السن بيننا الذي يتعدى سبعة عشر عامًا، ولكنها لا تهتم، فهي الابنة المدللة ذات الطلبات المجابة، وأعتقد لذلك تعتقد أني أنافسها، فبرغم قسوتهم عليّ، ولكني أيضًا مدللة، وطلباتي تعتبر مجابة أيضًا، ولكن هي تختلف عني؛ لأن طلباتها تجاب سواء برضا أهلها أو بغير رضاهم، حتى عندما تزوجت تزوجت رجلاً مصريًا، كان الجميع يرفضه، ولكنها تمسكت به حتى وافق الأهل.

وجدنا ترحيبًا كبيراً من عمتي، وهذا هو المعتاد، ولكن بمجرد جلوسنا والحديث تحدث الخلافات، عمتي جميلة جدًّا، في الثلاثينيات من عمرها، تزوجت من رجل أعمال مصري، أنجبت منه فتاة، (ياسمين)، ثم حدثت بعض الخلافات بينهم أدت إلى الطلاق، رفضت عمتي العودة إلى السعودية والعيش معنا، كانت تقول: إنها الآن في الجنة، هنا تأخذ الكثير من الحرية، تفعل ما تشاء، لا يوجد من يملي أو يفرض عليها شيئًا، هنا الجنة فعلاً.

بعد الكثير من جمل المحبة بين جدتي وابنتها، والكثير من العناق التي لا قيمة لها بينهما التفتت إليّ عمتي وبدأت في الحديث معي، بعد أن انتبهت أني هنا، وأن جدتي لم تتركني في المطار.

- (حياة) ابن أخي الغالية، كيف أحوالك وكيف أحوال والدك وزوجته الجديدة؟

- بخير يا عمتي، إنه يرسل لك تحياته، ويتمنى رؤيتك قريباً.

- سوف أكون عندكم في جدة في أقرب فرصة، فأنا مشتاقة لمقابلة زوجته كثيراً، إنهم يقولون إنها أجمل منك يا (حياة).

و انطلقت ضحكة على شفاه عمتي، هي تريد أن تغضبني، وجدتي منتظرة تلك اللحظة، وأنا لن أعطيها لكم، وسأدعكم هكذا دون إعطائكم أي فرصة للنكد.

- أعتقد هذا، لقد أرسلنا لك صوراً من حفل الزفاف، إنها رائعة.
دخلت (ياسمين) علينا الآن وهي تبتسم ابتسامتها الرائعة، هي عكسي تماماً، فبرغم انفصال والديها مثلي، ولكن الاثنين يعشقونها، لا يمكن لأحد أن يجعلها حزينة، هي كالملكات، والدها يعتبرها كنزه في الدنيا، ووالدتها تعتبرها نفسها، ولا يمكن لأحد أذية نفسه لذلك كانت حياتها هادئة جدًا.
هي في الرابعة عشر من عمرها، تدرس في أحد مدارس اللغات، دائمًا تهتم بأناقتها وطريقة كلامها وفعلها، من أول نظرة تعرف أنها خلقت لتعيش تلك الحياة ولا يمكن تغييرها، وإلا سنجدها في أحد المصحات العقلية.
- (حياة) كيف حالك لقد اشتقت لك جدًا.
- (ياسمين) أنا لست أقل اشتياقًا منك، أنت من الأشياء القليلة التي تجعلني آتى إلى مصر.
بعد نظر جدتها وعمتها عدلت (حياة) مفهوم جملتها:
- وتلك الأشياء القليلة هي عمتي وقضاء وقت جميل مع جدتي أيضًا، لكم أحبكم جميعًا أن الله أعطاني أسرة يتمناها أي إنسان.
ابتسمت (ياسمين) لعلمها ما حدث، وأن هناك حرب كانت على وشك الوقوع لولا تدارك (حياة) للأمر.
- (حياة) هل تعلمين من ستأتي اليوم لتراك؟
- أعتقد أن الكثيرين سيأتون اليوم ليرحبوا بنا، هذا ما تعودنا عليه.
- لا إنها من أقاربنا، وسوف نخرج جميعًا اليوم مع بعضنا، خمني مَنْ؟
- لا أستطيع التخمين، لقد قلت لك: الكثيرون سوف يأتون.
- إنها (عايدة) ابنة خالك، لقد أخذت أجازة هذا الأسبوع من الصيدلية، وسوف تقضيه معنا.
- هل تمزحين؟ (عايدة) سوف تكون معنا لمدة أسبوع؟
- نعم، لقد اتصلت بي البارحة، وأخبرتني بهذا الخبر، وكانت تريد أن تفاجئك به.
- إنه من الأخبار القليلة السعيدة التي أسمعها هذه الأيام.
- نعم أعرف هذا، واليوم سوف نذهب إلى إحدى الحفلات الخاصة التي تحبينها، لقد دعانا إليها صديق (عايدة).
- أين ستكون تلك الحفلة؟
- إنها في فيلته الخاصة، إنها رائعة، لقد ذهبنا إليها في أحد المرات أيضًا، كانت حفلة خاصة، إنها إحدى أفضل الأماكن التي يمكن أن تريها في أحد الأيام.
- حسنًا متى سنذهب؟
- أولاً ضعي حقائبك في غرفتك، واستريحي قليلاً حتى تأتي (عايدة).
- سأدخل إذًا الغرفة الآن، ولأرتاح قليلاً، وعندما تأتي (عايدة) أيقظيني لاستعد.

- نومًا هنيئًا حبيبتي (حياة).
دخلت (حياة) إلى غرفتها وهي تعرف أنها لن تستطيع النوم، سوف تنتظر وصول (عايدة) بفارغ الصبر، هي تعتبر (عايدة) أختها التي أنجبتها أمها، إن أسرارهم مع بعضهما البعض، كانت (عايدة) تشفق على (حياة) بسبب معاملة والديها لها، كانت تأخذها كأختها الصغيرة، تهوّن عليها أي شيء في الحياة، كانت سندًا لها في هذه الدنيا، كانت (حياة) تعتبرها كل شيء في حياتها، والآن سوف تقضي أسبوعًا كاملاً معها في نفس المنزل، إنه حلم يتحقق الآن.
لم تكد (حياة) تنتهي من إفراغ حقائبها حتى وجدت باب غرفتها يُفتح وتدخل منه (عايدة)، كان اللقاء حارًا بينهما جدًا، فهما لم يلتقيا منذ فترة طويلة، منذ انتقلت (عايدة) للعمل بمصر في مجال الأدوية، كانت (حياة) تحب (عايدة) كثيراً، بعد كثير من الأحضان والتحيات الحارة، بدأتا في الحديث والكلام عن أحوالهما، ولكن كان حديث (حياة) مفعم بالحيوية، وهو ما لاحظته (عايدة)، وكانت تعرف أن (حياة) تبحث عن طريقة للاستقرار في مصر، وعن من يستطيع أن يخرجها من ذلك الجحيم الذي تعيش به.
- لقد افتقدتك كثيراً يا (عايدة)، فمنذ تركت المملكة وأنا لا يوجد أي شخص معي هناك، كنت وحيدة من دونك.
- أعلم هذا، ولكن لابد أن تعرفي أن هذا خارج عن إرادتي، فأنا في المقام الأول مصرية، ولا أستطيع تقضية عمري بأكمله هناك، كان لابد أن أعود إلى مصر.
- إن والداك وعائلتك جميعها هناك، لماذا اخترت أنت البقاء في مصر.
- جميعهم استطاعوا التأقلم، أما أنا فلم أستطع، حاولت كثيراً البقاء بجانبك، ولكن كان هذا فوق استطاعتي، أنا آسفة لذلك.
- ماذا سأفعل بأسفك، أنا أريدك أن تبقي معي.
قالت (حياة) هذه الجملة ثم بدأت في البكاء، فقد تذكرت وقوف (عايدة) بجانبها دائمًا في أوقات الشدة، وأجمل الأوقات التي قضوها مع بعضهما، وكيف كانت تخرجها من حالة الاكتئاب التي تمر بها، لقد كانت تستطيع أن تضحكها في أشد المواقف حزنًا، كانت دائمًا تصنع الفارق وتضع البسمة على وجهها.
لاحظت (عايدة) ذلك، أسرعت في أخذ (حياة) في حضنها والطبطبة عليها، كانت مستعدة لفعل المستحيل لتهون عليها تلك الحياة التي تعيشها، ولكن (عايدة) لم تتمالك نفسها هي الأخرى وأخذت في البكاء، ولكن دون أن تشعر بها (حياة)، كانت مجرد دموع تتلألأ في عينيها، ولكن كان هناك قلبان يصرخان من الوجع، يحتضنان بعضهما البعض الآن.
- حياة حياة حياة حياة.

تمالكت (حياة) نفسها، وأخذت تردد اسم (حياة) بطريقة مضحكة، كانت تعرف أن (حياة) لا تقاومها، وهذا ما حدث فعلاً، فـ(حياة) تحب عندما تناديها (عايدة) هكذا، ابتسمت (حياة) بسرعة وأخذت في مسح دموعها، ونظرت نظرة جدية إلى (عايدة) وقالت لها:

- لقد أخبرتني (ياسمين) أننا مدعوون إلى إحدى الحفلات الخاصة، هل هذا صحيح؟

- نعم صحيح حفلة لن تري مثلها في حياتك.

- لماذا هل يوجد بها (جاستين بيبر)؟

- لا بل من هم أحسن يا حياتي.

- حسنًا حسنًا، لقد جعلتني متشوقة للذهاب، متى سنذهب؟

- عندما تكوني مستعدة لذلك، فأجمعنا مستعدون.

- جميعكم مَنْ أليس أنا وأنت و(ياسمين) فقط مَنْ سنذهب؟

- امممم. لقد نسيت أن أقول لك، لقد كان هناك شرط حتى تستطيعي الذهاب معي.

- أولاً مَنْ هو صاحب الشرط؟

- جدتك.

- حسنًا أظنني أعرف ما هو شرطها.

- لا لا تعرفي ما هو شرطها، إنه أسوأ مما تأتي به رأسك.

- ماذا أهناك أسوأ من أن تذهب جدتي معنا.

- نعم هناك أسوأ.

- و ما هو الأسوأ، لقد فقدت أعصابي.

- عمتك (زينة) قادمة معنا.

- لا لا لا هذا لا يحدث، صحيح أنت تمزحين.

نظرت (حياة) على وجه (عايدة)، فوجدت أن وجهها يتكلم بصدق، وأنها لا تمزح، وأن كلامها كله صحيح. كادت (حياة) أن تنفجر، من الممكن أن تضيع عليها تلك الحفلة، ولكن ليس من الممكن، ولكن بل بالتأكيد لن تستتطيع فعل أي شيء أثناء الحفلة.

- حسنًا حسنًا عرفت أنك لا تمزحين الآن، ولكن أنا أثق أن هناك شيئًا سيحدث سيجعل الأمر يسيرًا وسهلاً.

- نعم هناك أمر حدث فعلاً.

نظرت (حياة) إلى (عايدة) تريد أن تسألها عن هذا الأمر، ولكنها مترددة؛ لأن وجه (عايدة) كان يريد أن ينفجر من الضحك، هذا معناه أن هناك مصيبة أخرى، وهي تريد أن ترى وجهي أثناء انفجاري.

حسنًا برغم فضولي القاتل لن أسالها ولن أبين لها هذا الفضول، ولكني أريد أن اعرف، ولكن ماذا سأفعل إذا كان الخبر سيئًا، ولكن أيضًا يمكن أن يكون جيدًا وسعيدًا، لن أستطيع التحمل سأسألها، لقد اتخذت قراري.

- ماذا حدث أيضًا؟

- والدتك قادمة معنا.

قالت (عايدة) تلك الجملة وهي تركض إلى خارج الغرفة، وضحكتها تملأ الغرفة دون حتى النظر إلى (حياة)، التي كادت أن تنفجر فيها بالفعل، كانت ملامح وجهها غريبة تشبه الزومبي الذي يريد البكاء والضحك والصياح في نفس الوقت، ما هذا الذي يحدث، لقد انقلب كل شيء رأسًا على عقب، ولكني لن أدع شيئًا يحدث لي، سأجعل تلك الليلة جديرة بالذكرى مدي الحياة.

يعلم (آدم) ماذا فعل في (هشام)، لم يكن يكرهه، ولكن لماذا يفعل هذا، لقد كنا أطفال وقتها، وأنا لم أعد (آدم) القديم، لقد أصبحت شخصًا آخر من أجل (سارة)، لقد تغيرت، لقد جعلتني أتغير من أجلها، لم أكن هكذا من قبل، لم أكن بهذا الضعف، لا أريد أن أبقى هكذا، فمثلما تغيرت من أجلها مرة، يمكن أن أتغير مرة أخرى لـ(آدم) القديم.

من فضلك يا (هشام) لا تفعل بي هذا ولا بنفسك، ولا تضع (أحمد) أخاك في أي شيء آخر بيننا، لقد انتقمت مني مرة وأنا لم أفعل لك شيئًا، لماذا تريد أن تزيد تلك العداوة بيننا.

يمشي (آدم) ببطء شديد من غرفة إلى أخرى، لا يريد فعل ذلك، لا يريد العودة، تكاد رأسه أن ينفجر، إنه بين خيارات قليلة جدًا، لا يوجد أيًا منها في مصلحته، جميعها تقوده إلى طريق واحد، ذلك الطريق الذي وعدها أنه لن يعود إليه، ولو عاد إليه سيخسرها إلى الأبد، هو يعرفها جيدًا، ويعرف في ماذا تفكر، أرجوكِ فلترحل تلك الأفكار من رأسي، لقد بدأت في تقبلها، وهذا ليس بالأمر الجيد.

أثناء حديث (آدم) إلى نفسه ذلك الحديث الذي يعلم حق المعرفة أنه سيقوده إلى الجنون في إحدى المرات، سمع (آدم) صوت هاتفه المحمول، أخرجه ليرى مَنِ المتصل، كان رقمًا غريبًا، نظر له (آدم) نظرة لا مبالية، ثم وضعه في جيبه مرة أخرى، إنه الآن في حالة يرثى لها، ولا وقت لديه لمثل هذه المكالمات التافهة، التي قد تستغرق بضع ثوان أو دقائق من وقته الثمين، الذي في الحقيقة لا يفعل فيه شيء، لا يعرف لماذا لا يريد أن يرد على هاتفه، رغم فراغه القاتل، أعتقد أن الكثير منا يمر بتلك اللحظة، وكان (آدم) أيضًا كذلك، ولكنه كان مجرد شخص جالس يفكر في الكثير من الأمور المصيرية، التي لن يتحقق معظمها إلا بالعودة، وهو لن يعود، لقد وعد وسوف يفي بوعده.

رنّ هاتفه مرة أخرى، ينظر (آدم) فيه، إنه نفس الرقم مرة أخرى، اللعنة عليك، لماذا لا تتركني في حالي، لا أريد التحدث إلى أي شخص الآن، لم أخلق لعيش تلك الكآبة، لكم أكره تلك الحياة بشكلها هذه، لا يوجد شيء يستحق العيش من أجله، أنا أعيش فقط من أجلها لا شيء آخر.

تذكر (آدم) هاتفه، نظر إليه باستخفاف قبل أن يقرر أن يردّ عليه، لعل وعسى أن يكون الحل في هذه المكالمة.

- الو. من معي؟

- كيف حالك يا (آدم)؟

انتفض (آدم) من مكانه وأخذ في الجري والفرح، كان يقفز إلى السماء، كان يتمنى أن يستطيع أن يلمس السماء في تلك اللحظة، ذلك الصوت الوحيد الذي يريد أن يسمعه، لم يكن يريد سماع غيره، ولقد أتاه في اللحظة المناسبة، لقد قطع عليه حبل تفكير ذلك الحبل القادم من

الجحيم، الذي كان يستعد لتنفيذ ما به من أفكار، ولكن صوتها العذب أعتقد أنه الشيء الوحيد الذي أريده قبل مقابلة خالقي.

أمسك (آدم) الهاتف مرة أخرى وهو لا يكاد يصدق نفسه، ثم استجمع شتات نفسه وقوته ورد بصوته الرخيم.

- (سارة) كيف حالك؟ لقد اشتقت لك جدًا.

- و أنا أيضًا يا (آدم) لقد اشتقت إليك أكثر، أتمنى أن أكون معك الآن، لماذا لا يستطيعون فهم هذا، كل ما يهمهم مصلحتهم فقط، لا يهمهم مصلحتي أو أي شيء آخر، هم الأهم ثم يأتي بعدهم جميع الناس.

أحس (آدم) بنبرة حزن تأتي من (سارة)، الآن هو مستعد. إن (سارة) كانت تعتبر الضمير الحي لـ(آدم)، ولكن يبدو أن ضميره سينام الآن، وسوف يبدأ فيما خطط له، لكم تمني أن تأتي تلك اللحظة حتى يفعل ما يحلو له، حتى يكون على شخصيته الطبيعية، تلك الشخصية التي يعلم أن الزمن لن يتركها في حالها هكذا دائمًا، لا يترك الزمن الناس أبرياء، بل يعمل على زرع الشر بداخلهم.

- حسنًا دعيني أتصرف أنا.

- لا يا (آدم) أنت آخر شخص أريده أن يفعل شيئًا، من فضلك أنت الوحيد الذي أرى فيه نفسي، لا تجعلني أندم على هذا، أنت الباقي لي، أما الآخرون فسيذهبون سدي.

- هل تريديني أن أقف مكتوف الأيدي في حين أنت تذهبين لشخص آخر.

- أنا لا أريد أن أذهب إلى أي أحد غيرك، ولن أذهب إلى أحد غيرك، وحتى لو هذا حدث سنجد طريقة للعودة لبعضنا.

- هل تمزحين يا (سارة)؟

قاله (آدم) بانفعال، وقد كاد الدم أن يخرج من وجهه وعروقه، كاد أن يفتك بالهاتف وهي تقول تلك الجملة، ولكنه لم يستطع فعل ذلك معها، هو يريدها معه دائمًا، حتى ولو كان على طريق الهاتف.

أحست (سارة) بغضب (آدم) فأرادت احتواءه حتى لا يتهور ويقوم بأفعال يندمان عليها.

- اهدأ يا (آدم)، أنا أقول هذا من أجل مصلحتك.

- أي مصلحة هذه التي ستأتي لي من ارتباطك بشخص غيري.

- فلنقل إلا تعود لحياتك السابقة.

- أنت تعلمين أني تخليت عنها من أجل وجودك معي، فما المانع أن أعود إليها عندما أتركك وأكون بمفردي.

- لا تقلق لن تعود لها، أنا أضمن لك هذا، أنت الآن شخص آخر، لا يمكنك أن تعود لتلك الأفعال

- هل تمزحين معي مرة أخرى، أنا لم أتعمق في هذا الطريق إلا بسببك، لقد كنت أنت السبب المباشر لما فعلت أنا، لم أتوقع في حياتي أن أصل إلى تلك الدرجة من العنف، ولكني وصلت وكنت أنت مرشدتي.

- أعلم هذا، ولكن لا يمكنك إنكار أنك وجدت متعتك في فعل كل تلك الأشياء وأصبح الإيذاء إحدى هواياتك أليس كذلك؟ وبعد أن اتفقنا أنك لن تعود إلى هذا الطريق، ها أنت قد عدت من جديد، هل تذكر (سعيد) صديق طفولتك؟ هل تتذكر ماذا فعلت به أم يجب أن أذكرك.

- ماذا تريدين من كل هذا، أنت تزيدين من غضبي الآن قولي لي ماذا تريدين؟

- كل ما أريده هو (آدم) فقط لا غير.

قالت (سارة) تلك الجملة بطريقتها الملائكية، وبعد أن كان (آدم) في قمة غضبه أصبح ملاكًا هو الآخر، الآن لماذا لم تقولي لي هذا من البداية يا جنتي، آه أخاف من خسارتك، لا أتحمل فكرة عدم وجودك بجانبي شكرًا لك لاستحمالك مزاجي المتقلب، ونفسيتي الصاخبة، وجرائمي البشعة.

- أنا أحبك.

وجد (آدم) نفسه يقولها لها وهو في رضاء تام عن نفسها، لقد عشقها من أول نظرة، من أول مرة التقيا فيها، من أول مرة أحسّ فيها بالذنب والندم، وقتها كان يتمنى أن يقتل نفسه أو يقتلهم هم، ولكنه لن يقتل لأنه يريد أن يكون بجانبها، لا يريد الابتعاد عنها، إنها فعلاً لا يحبها، بل يعشقها.

- وأنا أيضًا يا (آدم)، ولذلك أريدك أن تهدأ، ونفكر ماذا سنفعل لإقناع أبي برفض فكرة ارتباطي بـ(هشام).

- أنا أستطيع أن أقنع (هشام) بالابتعاد عنك، وكأن شيئًا لم يكن.

- أرجوك لا تقل لي بطرقك القديمة.

- هذه المرة فقط من فضلك، هذه المرة ستكون من أجلنا نحن الاثنين معًا.

- إذا فعلت هذا الأمر الآن ستفعله مرة تلو الأخرى تلو الأخرى، وفي النهاية سيأتي هذا الأمر في الأخير على من نحبهم، أرجوك يا (آدم) لا تفعل هذا، ولا تفكر فيه أبدًا.

صمت (آدم) قليلاً وهناك عاصفة من الأفكار بداخل رأسه لا يستطيع طردها أو إخمادها، لا يعرف ماذا سيفعل؛ لأنه لا يعرف إلا شيئًا واحدًا، وهو لا يمكن استخدامه في تلك الحالة، ماذا ستفعل يا (آدم) يجب أن تفكر.

- (آدم) هل مازلت معي.

- نعم أنا معك، أعاني من صداع خفيف فقط.

- أنا آسفة إذا كنت قد ذكرتك بالماضي وبـ(سعيد) صديقك.

- لا تأسفي، فقط كان يستحق ما حدث له، وأيضًا هو ليس صديقي، أنا ليس لي أصدقاء، إن الصداقة علاقة ملعونة دائمًا ما تنتهي بالغدر.

****

- (آدم) صديقي القديم ما الذي ذكرك بي بعد كل تلك الفترة الطويلة.

- (سعيد) صديقي القديم أرى أنك مازلت ذلك الفتى المخيف.

- هل عندك شك في هذا يا (آدم)؟

- لا لا يوجد عندي شك، ولكن كما أتذكر فأنت جبان أيضًا، تخاف ممن هم أفضل منك.

كاد أحد مساعدي (سعيد) أن يفتك بـ(آدم)، ولكن (سعيد) أشار له بالصمت والجلوس، إن (سعيدًا) أصبح ممن يُخاف منهم، لقد أصبح من ذوي السطوة الذين يُعمل لهم ألف حساب، لا أحد يستطيع الاقتراب منه، أحاط نفسه بشلة من الأوغاد أصحاب السوابق الإجرامية، الذين يقتلون ويسرقون لمجرد المتعة فقط لا غير، وأصبح هو قائدهم، إنهم الآن تحت أمره، لا أحد يستطيع الاقتراب من (سعيد) ولا حتى لمسه، فمن حوله مستعدون لتقديم التضحية من أجله، لماذا لم تظل (سعيد) صديقي وحمايتي؟ لماذا اخترت ذلك الطريق يا صديقي القديم؟ لماذا فعلت هذا؟

- اتركه يا (سعيد) يفعل ما يريد، فأنت تعلم (آدم) جيدًا هو ليس بجبان مثلك، أو مثل الحثالة الموجودة حولك.

حدث الكثير من الصخب بين الموجودين بجانب (سعيد) بعد وصف (آدم) لـ(سعيد) بالجبن ووصفهم بالحثالة، إن هذا ما يريده (آدم)، يريد إثارة غضبهم، فهم بذلك لن يستطيعوا التفكير، وسلاحهم الوحيد ستكون أيديهم، وهنا أستطيع التصرف معهم بكل سهولة.

رأى (سعيد) تلك الابتسامة على وجه (آدم)، إنه يكرهها، الآن يعرف أن (آدم) يخطط لشيء ما، وبرغم قوته وشخصيته، لكنه يعرف أنه أمام (آدم)، هو يستطيع الفتك به في أي لحظة وبجميع من يقف حوله، إنه يخاف منه أكثر من خوفه من الحكومة، فمع الحكومة يستطيع إعطاء الأمين عشرين جنيهًا مقابل تركه أو الإبلاغ عن أحد أعوانه لتقديمه للشرطة لتقرب منهم حتى لا يؤذوه، أما (آدم) فهو يعرفه حق المعرفة، لقد كان مثل الشيطان عندما كان صغيرًا، إذًا ماذا أصبح الآن بعد ما فعلته به، ماذا أصبحت الآن يا (آدم)؟

- اهدءوا جميعًا.

قالها (سعيد) بكل حزم لجميع من حوله، وأخذ في سماع بعض العبارات منهم: (ألم تسمع ما قال يا ريس؟ لقد وصفنا بالحثالة ووصفك بالجبن) (دعنا نريه من نحن يا كبير) (مجرد علامة بسيطة يتذكرنا بها مدى الحياة) كانت كل تلك الجمل على مسمع من (سعيد) و(آدم) والاثنان ينظران لبعضهما، (سعيد) علامات القلق على وجهه، أما (آدم) فكانت تلك النظرة

الهادئة والابتسامة الخفيفة الواثقة، إن (سعيدًا) خائف لا يريد مواجهته، لماذا تذكرتني الآن يا (آدم)؟ ألم تقل أن صداقتنا انتهت؟

- ماذا تريد يا (آدم)؟ وماذا أتى بك إلى هنا؟

- هناك بعض الأمور العالقة بيننا ويجب أن ننهيها.

- لا يوجد أمور بيننا، ويجب أن ترحل الآن قبل أن يحدث شيء سيء لك.

- أنت تعرف أن الأشياء السيئة لا تحدث لي أنا، أليس كذلك؟

- ارحل يا (آدم) هذا لمصلحتك.

- حسنًا يمكننا تسوية هذا الأمر بيننا هنا إذا أردت ذلك.

عمّ الصخب مرة أخرى الآن، لا يمكن لأحد إيقافهم عن الفتك بـ(آدم) وهو يعرف ذلك، ولكنه كان يريد ذلك، التفت (آدم) إلى التجمع الذي يريد أمرًا من (سعيد) للفتك به، ثم مد يده في حقيبته الصغير المعلقة على كتفه، كان الجميع ينتظر أن يخرج (آدم) رشاشًا آليًا ليقتلهم جميعًا، ولكن كيف هذا؟ إنها حقيبة صغيرة لا تتسع لفأر، إذًا ماذا يخرج منها؟ الجميع في ترقب بعد أن ساد الصمت في انتظار ماذا سيحدث.

أخرج (آدم) سدادة أنف صغيرة وضعها في أنفه، ثم أخرج واقي فم وضعه على فمه، ثم التفت لسعيد مرة أخرى ونظر له نظرة تحدي وقال له:

- هل تظنني لم آت لهذا المكان قبل أن أطلب مقابلتك هنا خصيصًا، إنه مملكتي يا (سعيد)، دائمًا كنت أغبى من أي شخص يا (سعيد) جاءتك رسالة أن (آدم) يريد مقابلتك في الموقع، لم تعر الرسالة اهتمامًا في البداية؛ لأنك كنت خائفًا، أنت أحقر وأجبن من أن تواجهن؛ لذلك قررت أنا أن أنشر الرسالة بين رجالك أن (آدم) يريد مواجهة (سعيد) في الموقع ولكنه خائف من (آدم)، ذلك الفتى المتوحد الذي لا يخرج كثيرًا ودائمًا إما في عمله أو في بيته، كيف هذا؟ الجميع ينظر لك بسخرية، لقد أصبحت في مظهر الضعيف أمامهم؛ لذلك قررت مواجهتي، ولكنك أيضًا غبي، ظننت أنه عندما ستأتي برجالك معك ستكون في مأمن مني، ولكني كنت أريدك أنت وهم، لقد حضرت لكم المكان خصيصًا.

التفت (آدم) وأعطاهم ظهره وبرد فعل سريع ولهجة ممزوجة بالغضب والفرح والحزن صاح (آدم) وهو يضحك:

- مرحبًا بكم في الجحيم أيها الملاعين.

إن (سعيدًا) لا يعرف ماذا سيحدث الآن، ولكنه يعرف أنه لن يخرج من هذا المكان سليمًا، يقوم (سعيد) ليهرب ويأمر من معه بقتل (آدم)، ولكن ما هذا؟ إنه يشعر بالدوار، لا يستطيع القيام من مكانه، ينظر (سعيد) إلى من حوله يجدهم هم أيضًا على هذه الحالة، اثنان منهم قاوموا ما يشعرا به ووقفا ليواجها (آدم)، ولكنهم لم يستطيعا التحمل، أخذ (آدم) إحدى الآلات الحادة التي كانت موجودة معهم، طعن الأول عدة طعنات، والطعنة الأخيرة اقتلع

بها إحدى عينيه، أما الآخر فوجد (آدم) تسلية في ذبحه وهو يبتسم ابتسامته الهادئة التي لا تصدق بعدها أنه من البشر.
الجميع ينظرون إلى أصدقائهم القتلى لا يصدقون ما يحدث، لم يتصوروا أنه في أحد الأيام سيكونون هم الضحايا، يحاولون القيام لقتال (آدم) أو حتى الفرار من هنا، ولكن لقد قال لهم هذا هو الجحيم، أصبح ما يشعرون به الآن هو فقدان الوعي.
(سعيد) كانت نظرات الجحيم على عينيه، أخذ يترجى إلى (آدم) ألا يقتله، إنه (سعيد) صديقه مَن كان يساعده في كل مواقف الحياة، هو من كان يقول عنه العضلات، أنت يا (آدم) كنت العقل وأنا العضلات، أرجوك يا (آدم) لا تفعل هذا بي إنه أنا من فضلك يا (آدم).
نظر لهم (آدم) قبل أن يقوم بأي شيء، وأخذ يشرح لهم وهو يعرف أنهم لم ولن يفهموا شيئًا مهما حدث.
- انظر يا صديقي عندما تحديتك وسط حشدك هذا وأنت أخبرتني عن الميعاد الذي ستأتي فيه، كنت قد وقعت في الفخ، لقد جعلتك تحدد الميعاد المناسب لك حتى تكون مطمئنًا وأنت مثل المغفل اخترت الوقت واطمأن قلبك، وأنا عندما عرفت الوقت جئت قبلها بفترة، وملأت الغرفة بغاز (الهالوثان) وبعض الغازات الأخرى التي لن تعرفها لو قضيت مائة عام من حياتك البائسة تلك، وقبل أن تأتوا إلى هنا بنصف ساعة كنت أنا موجود لأنشر الغاز بكل أرجاء الغرفة، ولكنني كنت أعرف أن مفعوله بطيء بسبب وسع المكان؛ لذلك استدرجتك في الحديث، وجعلتك غضبًا أنت ومن معك حتى لا تشعروا بأي تغيير في وظائف الجسد أثناء عمل الغاز، وعندما شعرت أني أصاب بالدوار وأن الغاز بدأ يأخذ مفعوله، وضعت سدادة الأنف وواقي الفم حتى لا يؤثر علي أنا أيضًا، ولكنكم أوغاد ملاعين كما قلت من قبل، لم تشعروا بذلك بعد، ولكن أنت أتحت لي الفرصة للحديث بشكل أطول، وجعل الغاز يتسرب لكم أكثر وأكثر، في الحقيقة لقد كنت خائفًا ألا يكون للغاز مفعول عليكم بسبب ما تتناولونه من مخدرات مثل الترمادول، ولكن قبل يوم اختفى أحد أتباعك، لقد كان إحدى فئران التجارب لي، إنه تحت قدمك الآن مدفون، كان يريد أن يحذركم المسكين، ولكنه لم يستطع، ومع مرور الوقت أخذ أثر الغاز بالظهور على بعض أتباعك حتى تأكدت أن جميعكم تحت تأثيره، أما الآن فحان وقت الانتقام.
كان (سعيد) يسمع كل هذا من (آدم) وهو في حالة من الصدمة، تبًا لك أيها الملعون الصغير، أنت لم تتغير، ذلك الدرس الذي تلقنته وأنت صغير لم يعلمك، بل زاد فيك عبقريتك أيها الشيطان الصغير، لكم أتمنى أن انهض الآن لأقتلك وأريح العالم من شرك، أنت لا يمكن أن تكون بشريًا، أنت ابن من أبناء الشيطان، ولكني لا أستطيع النهوض.
ثم نظر (سعيد) إلى (آدم) وأخذ في الهمهمة له، اقترب (آدم) إلى (سعيد) ليسمع ما يقول:
- (آدم) صديقي ألا يوجد حق للعيش والملح الذي بيننا؟

- لا صديقي (سعيد) أنت لم تفعل أي اعتبار لهما، ولكني سوف ترى ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك، وصدقني سأجعلك أنت الأخير.
- الأخير في ماذا؟
- سترى!!!!
قام (آدم) من عند (سعيد) وأخذ في حفر حفرة، ثم أخرج منها حقيبة.
بعد أن أخرج الحقيبة أخذ اثنين من أوغاد (سعيد) وألقاهم في الحفرة وهو يسمع توسلاتهم الضعيفة آتية منهم، هو لا يفهم ماذا يقولون، ولكنه يعرف أنهم يريدون الرحمة، ولكنه الآن لا يملكها، فلتذهبوا إلى حيث سألقاكم.
ثم أخذ في ردم الحفرة بالتراب مرة أخرى حتى امتلأت، (سعيد) ينظر له نظرة من يريد الموت في تلك اللحظة، أنت لست شيطانًا، أنت مجنون، لقد دفنت اثنين أحياء، لقد دفنتهم أحياء أيها الوغد عديم الرحمة، لقد دفنتهم أحياء، ماذا تفعل أيها المجنون، أرجوك أنا لم أفعل شيئًا، لقد كان هذا خارجًا عن إراداتي.
أما رجال (سعيد) فكانوا ينظرون إليه ليخرجهم من هنا قبل أن ينالوا ما نال أصدقاءهم الأربعة، ألست قائدنا يا (سعيد)، أخرجنا من هنا من فضلك، إنه صديقك وتستطيع التوسل له حتى يخرجنا جميعًا، وعندما نخرج لن نعود لتلك الحياة، كانت هذه هي حال ألسنتهم.
لكن (آدم) لم يعر هذا أي اهتمام، وأخذ الحقيبة التي أخرجها من الحفرة وفتحها، ثم أخرج منها بعض أدواته، سكاكين وبعض الآلات الحادة الأخرى، ثم أخذ في ذبح وتقطيع الجميع، كان لا يعرف الرحمة، إنه ليس بإنسان، إن عينيه تتلألأ باللون الأحمر لون الدم، من المستحيل أن يكون هذا بشرًا، لا يستطيع أي بشري أن يفعل هذا، إن هذا تعدّى مرحلة الإنسانية أو الحيوانية، فأيضًا الحيوانات عندها قليل من الرحمة، عندما كان يقترب من أحدهم كان يبكي ويتوسل إليه أنه لن يفعل أي شيء آخر، ولكن بالنسبة لـ(آدم) كان الأوان قد فات على الندم، كان يقدم على قتله كأنه لعبة، وبعد أن انتهى (آدم) منهم أخذ في حفر العديد من الحفر، ثم وضع كل شخص في تربته وبنزعة دينية صلى عليهم (آدم) صلاة الجنازة حتى يرحمهم الله، ودعا لهم بالرحمة.
أما (سعيد) فكان يراقب كل هذا وهو يبكي، ويدعو الله ويتوسل لـ(آدم) أن يتركه، إلا أن (آدم) التفت له وقال له:
- حسنًا يا (سعيد)، لقد انتهيت منهم الآن، حان دورك وآسف على التأخير.
بعد أن انتهى (آدم) مما يفعله وقف شامخًا فرحًا بما فعل، نظر للأماكن التي دفن فيها رجال (سعيد) بعد أن تخلص منهم، ثم خرج من الغرفة وتأخر لدقائق قبل أن يدخل (آدم) إلى الغرفة مرة أخرى، ومعه سرير عمليات من الذي يستخدمونه في المستشفيات، ووضعه في منتصف الغرفة، ونظر إلى (سعيد) نظرة باهتة، وقال له:

- الآن دورك لتدفع الثمن.
نظر له (سعيد) وهو يبكي، وبدأ في الكلام، لم يميز (آدم) الكلام حتى اقترب منه ليسمع ما يقول ووجده يقول:
- ألم تكن تقول: (ما أجمل الانتقام وما أروعه عندما تنتقم بتحطيم الشخص من الداخل أكثر من الخارج) لماذا الآن تحطم من الخارج؟
- صديقي (سعيد) لقد اكتشفت أن التحطيم من الداخل لا يعلم الدرس، بل يمكن أن يزيد الأمر سوءا لذلك غيرت طريقتي.
- أنا صديقك يا (آدم).
- لا أنت لست صديقي، لقد أوقعت بي، لقد غدرت بي، ألا تذكر هذا؟ أين كانت الصداقة عندما قمت بهذا الفعل يا صديقي.
- كان الاختيار بينك وبين حياتي.
- حسنًا، ولقد اخترت حياتك وأنا صدقني لا ألومك، ولكن أنت أيضًا لا تلمني على ما أنا مقبل على فعله.
- ماذا ستفعل ستقتلني مثل الباقين؟
- لا لن أقتلك مثل الباقين، ولكن سأجعلك تتمنى الموت يا صديقي.
أخذ (آدم) في جر (سعيد) من قدمه حتى وصل إلى السرير الذي جلبه (آدم) من الخارج، ثم هَمّ برفعه على السرير، إن (سعيدًا) ثقيل جدًا، عانى (آدم) الكثير من أجل رفعه عليه، ثم ربط قدميه ويديه في أطراف السرير، وأخرج المشرط الطبي، ثم أعطاه حقنة تحتوي على مادة (انابنتال) المخدرة التي يستخدمونها في الجراحات، ونظر إلى (سعيد) وهو داخل في غيبوبة بسبب تلك الجرعة نظرة طيبة، وقال له: (فلترتاح الآن يا صديقي، فغدًا سوف تتغير حياتك) وأغلقت عيني سعيد.
استيقظ (سعيد) على صوت أحدهم وهو يقول له: هل تشعر بشيء؟ أو بماذا تشعر؟ إن الظلام يعم المكان، (سعيد) لا يمكنه أن يرى، أصابته حالة من الهياج، إن عينيه تحرقانه جدًا، يوجد شيء مكانهما، أو لا يوجد شيء بالمعني الصحيح، أخذ (سعيد) يذهب يمينًا وشمالاً وهو يصرخ:
- أنا لا أرى أنا لا أرى، ساعدوني أيها الأوغاد، إن عيناي تحرقانني، ولكن هناك شيء غريب، إن صوته أيضًا لا يظهر، ماذا حدث؟ إن لسانه ليس موجودًا بمكانه، هو لا يشعر به، كل ما يخرج منه هو مجرد همهمات، لقد صار (سعيد) لا يري أو يتكلم، ولكنه يسمع، لقد سمع من حوله يحدثونه ليهدأ، لقد وجدوه في الصباح ملقى أمام المستشفى مقطوع اللسان وعينيه مقتلعتان، ولا يعرفون مَنْ فعل هذا؟ ولكن هذا يزيد من هياجه، إنه لا يستطيع أن يخبرهم، إنه لا يستطيع فعل شيء، لماذا يا (آدم) فعلت هذا؟ لماذا لم تقتلني أفضل مما

فعلت هذا؟ كيف سأعيش البقية من حياتي هكذا، أنا لن أستطيع العيش بعد الآن، لقد انتهيت.

بعد أيام قليلة من خروج (سعيد) من المستشفى وعدم تمكنهم من معرفة الفاعل أو من فعل به هذا بسبب عدم قدرة (سعيد) على الكلام أو الكتابة، حتى فشلوا في كل طرق التواصل معه؛ لذلك تركوه يرحل، وأبقوا التحقيقات مفتوحة، أثناء دخول والدته عليه لتطعمه وجدته نائمًا، وكانت تهم لتخرج وتتركه، ولكن آثرت الاطمئنان عليه، ذهبت إلى مكان نومه وجدته نائمًا، ولكن هناك الكثير من الدماء الموجودة على السرير، اقتربت أكثر، وجدت أنها آتية منه، (سعيد) قد مات، لقد انتحر (سعيد).

أعاد (آدم) إلى أرض الواقع هذا الصوت الملائكي مرة أخرى، إنه يعشق هذا الصوت، دائمًا ما يجد السلام الداخلي عند سماعه، إنه يشبه صوت والدته، ذلك الصوت الحاني الذي يأخذه من أعماق الضلال والظلام ليرفعه إلى السماء؛ ليرى نور الشمس، أن تكون في الجحيم ثم تنتقل خلال لحظات إلى الفردوس الأعلى ما أجمله هذا الصوت وخصوصًا عندما يتغنى باسمي (آدم).

- أنا معك يا ملاكي الحارس.

- لماذا كل هذا الصمت في ماذا كنت تفكر؟

- لا شيء كنت أفكر في جلب حارس شخصي لي، فأنا شخص ضعيف والجميع يريد القضاء علي.

- إنها حقيقة، أنت تحتاج إلى حراسة من نفسك، يجب أن تخاف من نفسك فقط.

- أخاف من نفسي لماذا؟ إن نفوسنا هي التي تحمينا.

- إنها لا تحمينا، إنها تبعدنا عن بعضنا؛ لذلك أرجوك ضعها بعيدًا ولنفكر سويًا ماذا سنفعل يا (آدم)؟

- لقد قلت لك الحل الموجود عندي، ولا يوجد عندي حلول أخرى.

صمتت (سارة) لوهلة وقالت له:

- لماذا كل هذا الهدوء يا (آدم)؟ أين أنت؟

ارتبك (آدم) ونظر إلى المكان الذي تكرهه (سارة)، إنها لا تحب أن تأتي سيرته حتى في وسط الكلام، إنه (الموقع)، ثم أخذ النظر إلى جواره بسرعة، وإلى ذلك الشخص الملقى بجواره وهو لا يعرف ماذا يقول لها، إنه لا يستطيع الكذب عليها، سوف تكتشف أنه يكذب، يجب أن يتمالك نفسه ولا يدع نفسه للقلق.

- أنا في المنزل، ولكن لا يوجد أحد معي.

- كيف هذا؟ أنا أستطيع سماع صوت إخوتك القادم من المنزل.

- لا أنا أتحدث من الشقة العليا، دعيني أسالك أين أنتِ؟ وكيف تستطيعين سماعنا، أنت لديك أذن خارقة!

- حسنًا أيها الظريف، سوف أذهب الآن وأفكر في حل وأنت لا تتصرف دون أن تقول لي، أو من الأفضل ألا تتصرف نهائيًا، وأنا سوف أعمل على حل الموضوع، لا تقلق.

- حسنًا فلتعتني بنفسك، سلام.

- وأنت أيضًا، سلام.

بمجرد إغلاق الخط كان (آدم) يريد أن يصرخ، إن ما يفعله الآن قد يجعل (سارة) تخسره إلى الأبد، لكنه كان لابد من أن يتصرف، لم يكن ليتركها تضيع من يده بتلك السهولة، لكم يعشقها، إنه مستعد للذهاب إلى الجحيم من أجلها.

ظهرت ابتسامة على وجهه وهو يتذكر (هشامًا) اللعين هذا، إنه له عقاب خاص له، فليصبر على ما سوف يناله، أما أخوك (أحمد) فهو في أيدي أمينة، ونظر مرة إلى أخرى إلى هذا الشخص الملقى بجواره، ووضع يده على رأسه وقال له:

- لقد وضعك أخاك في موقف لا تحسد عليه، آسف يا مَنْ يملك جسد إله الاوليمبوس، سوف نغير في هذا الجسد قليلاً.

لطالما ظن (آدم) أنه أذكى من الجميع وأقوى منهم، لكنه لا يعلم مَنْ أنا؟ لقد كبرت ونار الحقد والكره تنمو داخلي بسببك يا (آدم)، لقد جعلت وصمة العار تلك تتبعني مدى الحياة، لا يمكن لإنسان أن يهرب من الماضي، حاولت كثيراً نسيانه، ولكني أتذكره في أعين الناس، أراه يتجلى أمامي، لا يمكن تجاهله، يقولون عني مجنون إذا تحدثت في هذا الموضوع، ويقولون جبان إذا لم أتحدث وقلت: لا أعرف إذًا ماذا تريدون مني!

لا أحد يساندني ويقف بجواري، الجميع هربوا مني منذ تلك الواقعة، لا أحد يريد مصاحبة ذلك المنبوذ الذي وجدوه مغمى عليه في الموقع، ولا أحد يعرف ماذا حدث؟ أو لماذا حدث؟ أو من فعل به هذا؟ لكن أنا أعرف، قضيت بضع السنين الأولى في البكاء، لا أستطيع فعل شيء إلا هو.

كنت أبكي كلما قال لي أحد أي كلمة تخص الموضوع، ثم آتي أخي (أحمد)، إنه سندي الوحيد، هو مَنْ كان يصدقني، الوحيد الذي كان يعرف أني أقول الحقيقة.

بعد عدة سنين استعدت قوتي وبدأت أخطط للحظة الانتقام، (آدم) و(سعيد) عرفت أن الاثنين انفصلا عن بعضهما من فترة ليست بالقصيرة، يبدو أن هناك شيئًا حدث بينهما، ولكن لا يهمني، إن هذا يسهل علي ما أنا أخطط له، سأتركك في النهاية يا (آدم)، فأنت صعب المنال.

كنت سأبدأ بذلك الضخم المترهل، إنه مَنْ كان يمنح (آدم) القوة، لا يمكن لأحد الاقتراب من (آدم) طالما هو موجود، ثم بعد انفصالهما بدأ في تكوين تشكيل عصابي حوله، ولأنه الأضخم كان الأقوى، لا يمكن لأحد الاقتراب منه هو أيضًا الآن.

سعيد الذي يخاف من ظله ولكنه يتماسك أمام الناس حتى يحتفظ بهيبته، لا يدخل أي مشكلة كبيرة، بل يرسل أتباعه، وإذا كانت كبيرة جدًا يرسل جميع من معه، ويظل هو في عرينه لا يتحرك، يظن أن بذلك هو يحتفظ بهيبته، ولكنه لا يعلم أن بهذه الطريقة سوف تكون نهايته. حسنًا لقد حانت اللحظة الحاسمة، الأسبوع القادم سوف تكون نهاية واحد من الاثنين اللذين دمرا حياتي.

- (أحمد) هل أنت جاهز؟

- (هشام) أخي الصغير، أنا جاهز منذ رأيتك على حالتك منذ خمس عشرة سنة.

- أتعرف رغم أني أكره تلك الذكرى وأريد نسيانها، ولكن تذكرها يزيدني قوة وغضبًا وكرهًا.

- لقد أساءا إلى سمعتنا، لقد جعلا أخي الصغير أضحوكة للجميع، لن أنسى لهما هذا.

- و أنا أيضًا لن أنسى؛ لذلك اقتربت لحظة العودة.

- العودة؟

- نعم العودة، إن مباراة الذهاب كانت على ملعبهم، والآن مباراة العودة ستكون على ملعبنا، وبطريقتنا الخاصة، أليس كذلك يا أخي؟
- نعم يا أخي، أنا منتظر لتلك اللحظة من فترة طويلة جدًا، ولكنك كنت تؤجلها.
- كنت بانتظار اللحظة المناسبة للقيام بذلك، كان يجب دراسة جميع الأمور المحيطة بهم.
- ولكني لا أحب الدراسة، أنا أحب التحطيم.
- أعرف هذا؛ لذلك لا تتصرف بأي شيء حتى أخبرك.
- الأسبوع القادم أليس كذلك؟
- نعم إنه الأسبوع القادم. هل تعرف ماذا ستفعل؟
- افتعال مشكلة كبيرة مع أتباع سعيد.
- و بعد ذلك؟
- لن أدع المشكلة تحل أو يتدخل أحد لحلها حتى أراك فيها، وتقول لي: اهدأ لقد حلت المشكلة الأولى.
- أخي الكبير الواعد لقد فهمت كل شيء، الآن فلننتظر حتى ميعاد الانتقام الأول.
- (هشام) (هشام) فلتستيقظ.
- ماذا حدث يا أخي؟
- سعيد.
- ماذا عنه؟ إن الميعاد غدًا.
- أنا أعرف أن الميعاد غدًا.
- إذًا لماذا توقظني بتلك الطريقة المخيفة، لقد أفزعتني.
- أنا آسف، لم أقصد هذا.
- أعرف أنك آسف، فلتدعني أكمل نومي.
وهمّ (هشام) بالنوم مرة أخرى حتى سمع صوت (أحمد) يخبره بما حدث:
- (هشام) لا يمكننا تنفيذ أي شيء في سعيد.
نظر له (هشام) بعين نائمة والثانية يقظة، وكان لا يفهم شيئًا، إن (أحمد) يحدثه بالألغاز، وهو يكره أن يتحدث معه بتلك الطريقة، فلتخبرني مباشرة ولا تنتظر أن تختبر صبري.
- لماذا لا يمكننا تنفيذ شيء؟
- (سعيد) في المستشفى الآن.
انتفض (هشام) من مكانه.
- لابد أنك تمزح، لماذا دخل المستشفى في هذا الوقت؟
نظر (هشام) لأخيه وعرف أنه لا يستطيع قراءة الأفكار، فأعاد عليه ذلك السؤال مرة أخرى.
- لماذا دخل المستشفى يا (أحمد)؟ ومن فضلك أخبرني بالموضوع كاملاً دون أي فواصل.

- حسنًا يقولون: إنهم وجدوه أمام بيته لا يستطيع التحدث وعينيه مقتلعتان ويداه مقطوعتان ولا يستطيع السير، وإنه تقريبًا ميت.

صاح (هشام) في غضب لأخيه:

- هل أنت متأكد من ذلك؟!!

- لم أكن كذلك حتى ذهبت للمستشفى فتأكدت، ووقفت بجانب أخيه وأخذت أواسيه وأساله ماذا حدث؟ فقال لي: إنه اختفى ليلة البارحة هو وأصدقاؤه، ولم يعلم أحد مكانهم، وعندما أتى الصباح ظهر هو في هذه الحالة، إن لسانه وعينيه فقط هم المفقودين، أما أصدقاؤه فقد اختفوا جميعًا، إن الشرطة تتهمهم في ما حدث، والجميع في المنطقة يقولون: إنهم اختلفوا على تقسيم إحدى غنائمهم من السرقة ففعلوا به هذا، ثم هربوا، حتى أن الشرطة تبحث عنهم الآن.

ما هذا بحق الجحيم!! ماذا يحدث هنا؟ لماذا يحدث هذا الآن؟ لماذا الآن؟ ألم تكن تستطيع الصمود؟ الخرتيت المسمي (سعيد) كيف يفعل بك أعوانك ذلك؟ ما الذي اختلفتم عليه لتفشلوا، ما كنت أعد له منذ سنين لماذا لم تؤجلوا اختلافاتكم هذه ليوم آخر، مجرد يوم آخر وافعلوا ما تريدون؟ لماذا اليوم الذي يسبق موعدي مع التخلص من حقدي؟ ما الذي فعلته يا الله لتفوت عليّ تلك الفرصة في الانتقام؟ أنا غاضب على كل من اشترك بتلك الجريمة ضده، كان لابد أن أشترك فيها وحدي.

و بعد أن هدأ (هشام) للوهلة أخذ يفكر، لكن هؤلاء الشياطين كيف توصلوا لقطع لسانه وعينيه، إنها عقوبة مناسبة جدًا، لماذا لم أفكر أنا مثلهم في قطع لسانه وعينيه، إنهم أساتذة رغم أنهم فعلوا ما لم يخطر على بالي، وعاقبوه بطريقة أشد، ولكني غاضب؛ لأني لم أفعل أنا ذلك، بل حتى لم أشترك في هذا، ولكني سوف أرحمك يا (سعيد) من عذابك هذا أعدك.

- في ماذا تفكر يا (هشام)؟

- لا شيء أعتقد أن مهمتك انتهت يا أخي.

- لا أرجوك، أريد أن أكون معك في كل ما تخطط له.

- حتى الآن أنا لم أخطط لشيء.

- هل انتهينا من (سعيد) إذًا؟

- أعتقد هذا، فلم يعد بإمكاننا أن نفعل شيئًا بعدما حدث له.

- إنه العقاب المناسب له، لماذا لم نفكر في هذا من البداية؟

- لأني لست قاسٍ مثل مَنْ فعل هذا.

- إذا كنا قد انتهينا من (سعيد) هل الآن حان دوره.

- دور من؟

- (آدم).

- لا إن (آدم) ليس بالسهولة التي تتوقع يا أخي، لا يجب أن نختلط معه جسديًا أبدًا، إنه يعرف كيف يجعلك تبدو مثل الثور الهائج، وهو مثل مصارع الثيران الذي يجعلك تذهب يمينًا وشمالاً دون حتى أن تقترب من إصابته.

- ماذا سنفعل معه؟

- سوف نري الأيام سترينا ماذا سنفعل.

- ماذا ستفعل الآن؟

- سأنام مرة أخرى، هل بإمكاني ذلك أم تريد شيئًا آخر؟

- لا شكرًا، سأتركك تكمل نومك الآن.

ذهب (أحمد)، ولكن لم يذهب (هشام) إلى النوم، إنه يفكر في (آدم) الآن، كيف سأصل لك وأنت الذي لم يستطع أحد الوصول إليه. إنه أمر يطول التفكير فيه، أما (سعيد) المسكين فليرحمه الله.

بعد خروج (سعيد) من المستشفى أخذت الزيارات تتوالى عليه ليطمئنوا عليه، أو ليشمتوا فيه بسبب ما كان يفعله بهم، انقضت عدة أيام وكان الجو متوترًا، ولكن بكل هدوء كان هناك من يتسلل من نافذة (سعيد) الموجودة بالدور الأرضي ليدخل عليه غرفته ويسلم عليه ويهمس له في أذنه:

- (سعيد) هل تتذكر هذا الصوت؟

لكن (سعيد) لم يكن يتذكر أي شيء، كان ما به يكفيه ليحمل همه لفترة كبيرة، ولكنه أيضًا يشبه على هذا الصوت، إنه يعرف صاحبه، ولكنه ليس موجودًا في ذاكرته الآن.

- حسنًا، أعتقد أنك لا تعرف مَنْ أنا؟ حتى لو عرفت فأعتقد أن هذا لن يفيدك لأنك ستذهب لمقابلة خالقك الآن.

هل ستقتلني إذًا حسنًا أنا منتظر تلك اللحظة، فأنا لا أستطيع العيش مع عاهتي تلك، سوف أفقد اسمي وسمعتي، ولكن من فضلك فليكن موتًا رحيمًا، فأنا لا أستطيع تحمل المزيد من الألم.

- فلترقد في سلام يا مخيفي الأول وأشد كوابيسي.

ثم أخذ يده وقدماه وقام بتقييدها في السرير، وقام بإخراج سكينة وقطع بها جميع شرايين يديه الاثنان وراقبه وهو ينزف حتى الموت.

أما (سعيد) فبرغم ألمه الشديد إلا أنه كان يعرف أنه سيموت اليوم، لقد قال له هذا، وهو يصدقه في كل شيء.

إنه لن يضطر لعيش باقي حياته بتلك الحالة، حتى أنه لم يقاوم ذلك الشخص وهو يفعل هذا، لقد تركه يفعل ما يفعله من تقييده وقطع شرايينه، إن (سعيدًا) فرح بتلك النهاية الحزينة لحياته، إن أكثر ما يندم عليه في حياته البائسة هو (آدم)، لو عاد به الزمان من بداية

مولده إلى لحظة مماته تلك لن يغير شيئًا إلا لحظة غدره بـ(آدم)، هو لن يغدر بـ(آدم)، لا يريد أن يكون عدوًا له في يوم من الأيام، حسنًا صديقي (آدم)، أنا راحل عن هذه الدنيا، ولكني أريدك أن تسامحني عما فعلته بك، أرجوك أنا آسف، وسوف أدفع حياتي نتيجة ما فعلت.

لقد ذهبت روح (سعيد) الآن بعد أن رأى جميع مراحل حياته القاسية، والتي أوصلته لهذه الحالة، أما الشخص الآخر فقد فك الأربطة المقيدة لـ(سعيد) ووضع السكين في يده وهرب بهدوء مثل دخوله أيضًا، وترك والدة (سعيد) تراه وهو منتحر كما قيل في التحقيقات، لقد انتحر سعيد.

- أين كنت يا هشام؟

- كنت في الجوار يا أبي

- (أحمد) أخوك يبحث عنك، اذهب لتراه أين هو فهو يريدك بشدة.

- سوف أذهب إذًا أرى أين هو؟

رأى (هشام) (أحمد) من بعيد، فنادى عليه ليرى فيما يريده، وعندما رآه (أحمد) ركض إليه ليخبره بخبر وفاة سعيد.

- هل تعلم ماذا حدث لسعيد؟

- نعم لقد أخبرتني أنت.

- لا ليس أنه خرج من المستشفى.

- ماذا إذًا؟

- لقد مات سعيد؟

لم تظهر أي علامات استغراب على وجه (هشام) وسأله:

- كيف مات؟

- يقولون: إنه انتحر، لقد قطع شرايينه، وعندما دخلت والدته وجدته في تلك الحالة.

- فليرحمه الله، هل هناك شيء آخر تريد إخباري به.

- لا، هذا فقط، ولكن انظر من يقف هناك لتشييع جثمانه، إنه (آدم).

نظر (هشام) إلى هناك، وبمجرد رؤيته لـ(آدم) ذهب مسرعًا للمشاركة في التشييع بعد أن كان راحلاً، ثم اقترب من (آدم) أثناء وقوفه منتظرًا الجثمان أن يخرج.

- البقاء لله يا (آدم) إن (سعيدًا) صديقك العزيز أليس كذلك؟

نظر له (آدم) دون التحدث إليه وابتسم ابتسامة خفيفة ولم يرد عليه، بل جعل (أحمد) يكمل كلامه.

- أعتقد أنك حزين بشدة لما حدث، ولكن كل ما أستطيع أن أقوله لك فلتنتبه لنفسك، فأحيانا الماضي يأتي ليطردكم.

لم يرد (آدم) أيضًا، ولكنه أخرج هاتفه المحمول من جيبه وأخذ يقلب فيه، ثم أداره باتجاه (هشام) الذي مجرد أن رأى الذي على الهاتف ازرق وجهه من الخوف، وأصبح لا يستطيع الرد، إنه لا يعرف ماذا حدث أو كيف حدث؟ من أين أتيت بهذا يا (آدم)؟ كيف عرفت؟ انطق أيها اللعين، إن (هشامًا) لم يعد يستطيع التفكير، كل ما يريده الرحيل الآن.

بالفعل رحل (هشام) بعيدًا عن الناس الموجودين، وأثناء رحيله وهو يركض اصطدم بأخيه (أحمد) الذي لاحظ ذلك الشحوب الذي على وجه، وسأله (أحمد):

- ما الذي حدث؟ ماذا فعل لك هذا اللعين هل أذهب لأحطم وجهه في وسط الناس؟ قل لي ماذا حدث؟

لم يرد (هشام) وأخذ في الركض بعيدًا، ولكنه أدرك أثناء الركض أن من يواجهه هذا ليس ببشر عادي، ولكنه نوع آخر من البشر يحتاج لنوع آخر من المواجهة.

أما (آدم) فكان يعرف أن (هشامًا) لن يتوقف عند هذا الحد، يريد أن يكمل باقي انتقامه، فهو لم يعرف ما حدث لـ(آدم) بسبب ما فعله معه، هو يعتقد أنني افلت من العقاب، لقد عُوقبت بشدة يا (هشام)، عقاب لم ينزل الله به من سلطان، إلى الآن ما زال يطاردني رغم ابتعادي عنه.

لكنه مازال يؤلمني، من فضلك يا (هشام) فلتبتعد عني الآن، فأنا مازلت أريد المزيد من الدماء، هل تفكر أنك تستطيع التغلب علي، إذًا فأنت أبله، وإلا لنظرت لـ(سعيد) وفكرت قليلاً، وعرفت من فعل هذا بـ(سعيد) ومجموعته، التي لم يكن لأحد القدرة على الاقتراب منها، إنهم الآن تحت التراب، ومن شخص واحد فقط، إنه أنا (آدم سليم).

(آدم) الآن يقف أمام قبر صديقه القديم (سعيد) بعد دفنه، إنه يشتاق اليه، لكنه غدر به، جعله بذلك الجرح في ظهره لا يريد الشفاء، كان من الممكن أن تفعل أي شيء إلا هذا يا صديقي، إنه الشرف الذي عاهدنا بعضنا على عدم المساس به، لقد خنته وهذا جزاؤك.

إن ذلك الغبي (هشام) أراحك من عذابك الذي كنت ستعيش به، لقد كان رحيمًا بك يا صديقي، ولكن لا تقلق سوف يأتي إليك قريبًا، إنه لا يريد أن يهدأ ويتركني في شأني، إنه يراقبني دائمًا، وكان يراقبك أيضًا، لكن لغبائك لم تلاحظ هذا، وكان ينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض عليك، ولكني سبقته.

حسنًا يا صديقي، إذا استمر (هشام) على ما يفعله سوف تراه قريبًا، وسوف أرسل لك سلاماتي وتحياتي لك حيث أنت حتى ألقاك، فأنا أعلم يا صديقي الصغير أين سيكون مكاننا؟ فنحن لم نخلق للجنة ولا الجنة خلقت لنا، أمثالنا النار هي المكان المناسب لهم، فهم لا يستطيعون التعايش في كل هذا النعيم في الجنة، حتى إذا ذهب أحدنا إلى الجنة لن يري أحدًا مما نعرفه، فجميعنا سنكون في الجحيم، تُشوى أجسادنا على ما اقترفته أيدينا في الدنيا.

صديقي (سعيد) أنا أريد أنا أكون صديقك في الآخرة، فلننس ما حدث في الدنيا، ونبدأ من جديد هناك، فلا يوجد أحد في هذه الحياة يمكن أن يفهمني مثلك، ولا أن نكون ثنائيًا متفاهمين مثلما كنا أنا وأنت، صديقي (سعيد) سلامًا لك حتى يأتيك من يبلغك سلامي، ثم في النهاية ثق أننا سنلتقي، وسوف يكون لقاؤنا حارًا، وداعًا صديقي القديم.

****

من أنت يا (آدم)؟ كيف عرفت أني من قتل (سعيد)؟ لم يكن هناك أحد سوى ذلك المخبر البدين الذي كان يغط في نوم عميق بسبب المنوم الذي أعطيته إياه.

أقسم لك أن الذي بيننا لم ينته بعد، ولسوف يكون بيننا المزيد من الخصومة، فلا تعتقد أنك بامتلاكك هذا الفيديو سوف تجعلني أتراجع عما أفعل، وسوف نرى من سينتصر في نهاية الأمر يا (آدم).

حسنًا أنا مستعدة الآن للذهاب لتلك الحفلة، لكم أعشق الحفلات المصرية، إنها شيء رائع، يفعلون فيها ما يريدون، لا أحد يقف كعائق أمامهم، إنهم يحبون حياتهم، يحبون أنفسهم كثيرًا، ويحبون عاداتهم، ولا يفعلون شيئًا في السر، بل كل ما يفعلونه يقومون به في العلن، حتى الأشياء الخطأ لا يخافون من أحد.

أين أنت يا (عايدة)؟ إلى أين ذهبتِ أنت وياسمين؟ ولماذا تركتماني هنا بمفردي؟ هل ستتأخران مثل عادتكما أم ستعودان سريعًا، أنا أريد الخروج من هنا، أنا آتي مصر خصوصًا من أجل الانطلاق والحرية، ليس من أجل الجلوس في الغرفة.

عدة طرقات على الباب، تأذن (حياة) بالدخول وهي تبتسم؛ لأنها كانت تظن أنها (عايدة) و(ياسمين)، ولكنها كانت والدتها، أولى الصدمات، ولكن لا يهم، فلتكمل ابتسامتها حتى لا يحدث أي شيء.

إن أمها كانت تبدو كفتاة في العشرين، لا يبدو أنها حتى متزوجة أو مخطوبة، حتى أنها كانت في قمة الروعة والجمال، ما هذا يا أمي؟ هل تكبرين في السن أم تصغرين، وأنا لماذا لم آخذ جيناتك الوراثية وورثت أغلب جيناتي من أبي، أنت الآن مثل أختي الصغيرة ليس الكبيرة، حتى أنا أحقد عليك يا أمي، لا يوجد عندك ما تعيشين لأجله سوى نفسك.

- مرحبًا يا أمي، لقد اشتقت لك كثيرًا.

- و أنا أيضًا يا حياتي الحلوة، كيف أحوالك؟

- بخير يا أمي، لقد فرحت جدًا عندما علمت أنك قادمة معنا.

- لا أستطيع أن أفوت مثل تلك الحفلات، أنت تعلمين ذلك.

- أعرف لذلك أنت تبدين أصغر مني سنًا، من يرانا سيقول أننا أخوات وليس أم وابنتها.

- و هذا ما أعتمد عليه هناك يا حلوتي.

- تعتمدين على ماذا؟

- ألا تقولي أنني والدتك هناك.

- لا تقلقي لن أقول هذا هناك، هذا سر بيني وبينك.

منذ متى وأنا أريد أن أخبر الناس أنك أمي، إني أكون أكثر من محرجة عندما يعرف الناس أنك أمي بتصرفاتك الصبيانية تلك.

- ولكن احذري أن تناديك إحدى الفتاتين بعمتي أو خالتي.

- لا تقلقي (عايدة) تعرف هذا القانون جيدًا، وقالت لي: إنها ستخبر به (ياسمين).

- حسنًا أنت الآن في المنطقة الآمنة.

- حياة!!!!!

كانت نظرة ذهول ولا مبالاة على وجهها وهي تنادي على (حياة)، و(حياة) تعرف تلك النظرة أن هناك شيئًا خطأ في الموضوع.

- نعم يا أمي؟

- هل رأت جدتك ذلك الفستان الذي ترتدينه؟

- لا لم تره .

- و هل عندما ستراه ستوافق على ذهابك؟

- أنا أعتمد عليك يا أمي في إقناعها.

- و كيف سأقنعها؟

- أنت أمي والوحيدة المسئولة عن تربيتي، والوحيدة التي تستطيع أن تقول كلمتها.

- و هل هذا الأمر سيسير مع جدتك، لا أعتقد ذلك.

- حسنًا ماذا سنفعل الآن؟

- إما أن تغيري ذلك الفستان الذي لا يغطي شيئًا منك، أو أن تقنعيها بنفسك.

- نستطيع أن نقنعها أنا و(عايدة) و(ياسمين).

- أعرف أنكم تستطيعون، ولكن هناك أمر صغير.

نظرت (حياة) لها وهي في باطنها تقول: ماذا تريدين أيضًا؟ هل أتيتِ لتخربي علي الحفلة، ها يا أمي فلتقولي لي ما هذا الأمر.

- ما هو؟

- إن (ياسمين) و(عايدة) ليسا هنا.

- أنا أعلم، ولكنهم سيأتيان قريبًا، فمن المفترض أن نذهب إلى الحفلة بعد أقل من نصف ساعة.

- لا لن يكونا هنا، فقد علقا في الزحمة المرورية، وسيذهبون إلى هناك مباشرة.

- ألن يأتيان إلى هنا أولاً ليأخذونني؟

- لا لن يأتيا.

انطلقت (حياة) وأمسكت هاتفها المحمول، وأخذت تبحث عن رقم (عايدة) أو (ياسمين) وهي تمسك دموعها بصعوبة، لا يمكن أن يفعلا معها هذا، لا يمكن أن يتركاها مع عمتها ووالدتها كل تلك المسافة، لماذا يا (عايدة) فعلت ذلك، من فضلك عودي.

وجدت اسمها وأخذت في الاتصال بها، ولكنها لا تجيب، ليس هذا هو الوقت المناسب لعدم الإجابة أيتها الفتاة، من فضلك أجيبي وسوف أعطيك المئات من القبل، ولكن أجيبي على هذا الاتصال.

- الو.

نعم لقد أجابت هي، ولكن السماء أجابتني أولاً، واستجابت لدعائي، شكرًا لك يا إلهي، لكم أنا سعيدة الآن للإجابة على الهاتف.

- نعم يا (عايدة) إنه أنا (حياة).

- (حياة) هل هذا رقمك المصري؟

- نعم، ولكن لا يهم الآن هل ما سمعته صحيح؟

- ما الذي سمعته يا فتاتي؟

- أنكم سوف تذهبان مباشرة إلى الحفلة ولن تأتيا لتأخذاني معكما.

- أنا آسفة جدًّا يا (حياة)، ولكن تلك حقيقة، إذا أتينا للمنزل أولاً سنتأخر على الحفل.

- ما المشكلة إذا تأخرنا ساعة أو أكثر، لا يهم، إن الحفلة للصباح أليس كذلك؟

- بلى هي للصباح، ولكن لن نتأخر فيها، فلن يسمح زوجي أو جدتك لنا بالتأخير حتى لو كنا مع عمتك وعمتي.

- من فضلك عودي إلى المنزل.

- أنا آسفة يا (حياة) لن أستطيع، هناك سيارة سوف تأتي وتأخذكن من المنزل الآن، فلتكوني مستعدة.

عندما لم تجد (حياة) أن هناك أمل لذهابها مع (عايدة) و(ياسمين) استسلمت للأمر الواقع حاليًا، وهو الذهاب مع والدتها وعمتها.

- حسنًا يا (عايدة) أراكما هناك إذًا.

- فلتعتني بنفسك جيدًا يا (حياة).

ثم أغلقا الخط وهي تنظر إلى الهاتف، داخلت والدتها مرة أخرى، ولكن هذا المرة داخلت معها (زينة) وهي الأخرى كانت في غاية الجمال والتألق، لا يمكن أن تقول إنها عمتي هي الأخرى، إنها أختي الصغيرة، ماذا تفعلن في أنفسكن لتبدن بكل هذا الجمال والصغر، أريد أن أفعل مثلكن عندما أكبر، من فضلكن أعطوني سر هذا الجمال.

- (حياة) هل أنت جاهزة؟

- نعم يا عمتي. أم هل تريدين أن أناديك (زينة) فقط هناك في الحفلة؟

- لا أنا عمتك، فلتقولي لي: يا عمتي.

- حسنًا يا عمتي، أنا جاهزة الآن.

- هل أقول لك خبرًا سيسعدك.

- ما هو؟ أنا في أشد الحاجة إلى الفرح.

- إن جدتك ليست هنا، ولن تراك وأنت تلبسين هذا الفستان الذي سوف تعترض بشدة إذا رأتك ترتدينه.

- حسنًا، ولكنها ستراني عندما آتي.

- ستكون نائمة لا تقلقي، والآن هيا بنا، فالسيارة تنتظرنا بالأسفل.
الآن هي أمام قصر كبير مليء بالأنوار، إنه مثل القصور التي تأتي في أفلام ديزني، يا الله!! ما كل هذا الجمال!! نزلت (حياة) من السيارة هي و(إيمان) و(زينة)، واتجهن إلى المكان المخصص للدخول، وعند دخولهم طلب منهم الدعوات، ولكنها لم تكن معهم كانت مع (عايدة) في حقيبة يدها.
أخذن في الاتصال بـ(عايدة) مرارًا وتكرارًا، ولكنها لم تسمع رنين هاتفها بسبب صوت الموسيقى العالي والصخب الموجود في المكان، كادت (حياة) أن تبكي، لا يمكن أن يكون هذا أسوأ أيام حياتها، لماذا لا يمكنني الدخول؟ هل هكذا سوف تنتهي الليلة؟ أرجوك يا الله أنا أحتاج أن أدخل تلك الحفلة وسأفعل أي شيء.
أثناء انتظارهم كانوا يعيدون الاتصال بـ(عايدة)، ولكن لا فائدة، فهي لا تستطيع سماع هاتفها.
- لماذا هؤلاء الجميلات لا يستطعن الدخول.
أتى هذا الصوت من ورائهم، وعندما نظرن خلفهن وجدن شابًا في أواخر العشرين من عمره، هادئًا ذا ابتسامة واثقة توحي بالاطمئنان، لا يبدو عليه أنه من تلك الطبقة التي تقيم أو تدخل مثل هذه الحفلات، ولكن عندما رآه الحراس وقفوا في شموخ كبير كمن زاره أحد الوزراء أو الرؤساء.
ولكن صوت الحارس أجاب أنهن ليس معهن دعوة ويقلن إنها مع أحد الأشخاص في الداخل تسمي: (عايدة).
- هل أنتم أقارب (عايدة).
- نعم أنا عمتها.
أجابت (إيمان) على هذا السؤال بعد أن اقتربت هي و(زينة) منه للتحدث معه ليرين إذا كان بإمكانه أن يدخلهن.
- أنتم مرحبًا دائمًا بكن هنا طالما أنتن مع (عايدة)، فلتدعهن يدخلن.
- حسنًا يا سيدي، فلتتفضلن بالدخول.
نظرة استحقار من (إيمان) و(زينة) في اتجاه الحارس الذي كانوا يردن أن يوبخنه على ما فعل، ولكنهن رأين أن هذا لا يصح؛ لذلك اكتفين بالنظرات أثناء الدخول.
أما (حياة) فنظرت له تلك النظرة التي لم تتغير، إنها تعتقد أنها تعرفه من قبل، ولكن لا تعرف أين رأته قبل هذا.
- من أنت؟
- لا يهم مَنْ أنا طالما أنا موجود.
- لا أفهم شيئًا.

- و لن تستطيعي أن تفعلي، أرجو منك الدخول والاستمتاع بالحفلة.
- ألن تدخل معنا إلى الحفلة؟ يبدو أنك رئيس الحراس هنا أو شيء ما ذو سلطة أليس كذلك؟
- يمكنك أن تقولي هذا، هل يمكنك أن تخبريني باسمك؟
- حياة فودة
- إن اسمك جميل جدًا (حياة)، لا يمكن التكهن بأي (حياة) تعيشين، ولكن مجرد ذكر الاسم يعطي أملاً.
- و أنت ما اسمك؟
- آدم، اسمي آدم سليم.

تجلس (سارة) في غرفتها محاولة مراجعة بعض دروسها، إنها الآن في الصف الأخير من المرحلة الثانوية، إنها تريد أن تحقق حلم طفولتها وهو كلية الطب، ولكن بعد كثير من الأحداث غيرت اتجاهاتها إلى كلية الصيدلة.

تراها عامل مشترك بينها وبين (آدم) بعد أن تم إبعاده عن كلية الهندسة التي كان يريد الالتحاق بها، ولكن القدر لم يمهله لقد كان عليه الاختيار بين المستقبل وبين الهندسة، وأعتقد أنه لم يأخذ وقت في التفكير، لقد اختار المستقبل.

ولكن أي مستقبل هذا يا (آدم) الذي تفكر فيه، أنت الآن مجرد عامل في إحدى الصيدليات، لكن لا تقلق بعد التحاقي بكلية الصيدلية وتخرجي منها سوف نفتتح أنا وأنت سلسلة صيدليات، وسوف نكون مع بعضنا البعض إلى الأبد.

ولكن تلك المراجعة ليست بتلك السهولة، إن رأسها مليء بالأفكار (هشام-آدم-والدها-دراستها) الكثير والكثير من الأفكار تدور في مخيلتها، تريد حلولًا لتلك المشاكل التي هي فيها، ولا تريد أن يتدخل (آدم) في أي من تلك المشاكل، تريده خارجها تمامًا؛ لأنها تعرف أنه إذا تدخل (آدم) ستكون العواقب وخيمة.

تسمع (سارة) عدة طرقات على بابِ غرفتها، ثم دخل والدها، إنه هادئ الآن، يبدو أنه جاء ليتكلم معي في ذلك الموضوع ثانيًا، يريدني أن أعيد التفكير في موضوع (هشام)، لا يريد الموافقة رغمًا عني، ولكني أعرف أن موافقتي لا تهم في شيء، المهم أنه موافق، إنه يرى أن مثل تلك الخطوة ستكون دافعًا لي للالتحاق بكلية الطب.

- كيف حالك يا (سارة) أتمنى أن تكوني بخير.

- نعم جسديًا أنا بخير.

- و نفسيًا ومعنويًا ألست بخير؟

- لا أعتقد ذلك.

تنهد والدها تنهيدة طويلة ثم قال لها:

- لماذا لست كذلك أما زلتِ مصرة أني أجبرك على شيء.

- مصرة!!!! أنت تجبرني على ذلك في الحقيقة.

- إن (هشامًا) سوف يساعدك على مذاكرتك، وسوف يعينك على مواجهة الظروف الحياتية التي سوف تمرون بها، إنه مهندس كبير، وغير أن حالتهم المادية جيدة، وهذان الشيئان هما الأهم في وقتنا هذا.

- إذًا فلتتزوجه أنت.

صفعة قوية نزلت على وجهها، إنها المرة الثانية التي يضربها بها، لماذا تحولت هكذا يا أبي؟ ما الذي حدث لك؟ لم تكن يومًا بمثل هذه القسوة مهما تعرضت للاستفزازات، لم تكن هكذا؟ اليوم أقل شيء يعصبك؟ أنا أعلم لماذا؟ ولكن لن أفعل ما تريد، ولو كان آخر شيء في حياتي.

- أنا آسف يا بنيتي فلتسامحيني.

- لا داعي للأسف، فمن الواضح أن هذا سيكون أسلوبك من الآن.

- أنا لم أعتد أن أضربك، ولكن أنت من تضطريني إلى ذلك، لماذا لا تكونين مثلي ومثل والدتك وتفكرين في مصلحتنا.

- نعم هي مصلحتكم أنتم وليس أنا.

- (سارة) لا ترغميني على فعل أشياء سوف تندمي عليها فيما بعد.

- ندم أنا عشت حياتي كلها في ندم، أتمنى أن تعود حياتي من البداية حتى لا أعيش في هذا الندم.

- إذا كنتِ مصرة على هذا، فأعتقد أنه من واجبي الآن أن أتدخل لأحل هذا الأمر.

- افعل ما تريد، فأنا لم أعد أريد التحدث في هذا النقاش مجددًا.

انصرف والد (سارة) من غرفتها وهي تفكر في ماذا تفكر يا أبي؟ ما الذي تنوي فعله؟ أرجو أن أكون مخطئة ولا تفعل ما أفكر فيه.

أما (محمد) والدها فكان يفكر فيما تفكر فيه (سارة) سوف يذهب للتحدث مع (آدم) بكل هدوء ليحاول أن يقنعه بأن يتخلى عن ابنته؛ لأن ذلك في مصلحتها، إن ذلك اللعين (آدم) يحتاج للترويض.

ذهب (محمد) إلى الصيدلية التي يعمل بها (آدم) ودخل إليها ليسال عن (آدم)؟ الجميع قالوا: إنه لم يأتِ إلى العمل منذ البارحة، فسألهم:

- هل يعرف أحد مكانه؟ أو كيف أصل له؟

أجابت الدكتورة (عايدة) عليه:

- لماذا تريد (آدم)؟

- أريده في شيء ما، إنه أمر بيني وبينه.

- أستطيع أن اتصل به، ولكن لابد أن أعرف من أنت حتى أقول له.

- أخبريه أن والد (سارة) يريد التحدث له، وهو سيعرف.

نظرت له (عايدة) بانتباه، إذًا أنت والد (سارة) ذلك الملاك الذي جاء إلى (آدم) هنا، يبدو أنك لا تريده بخير أبدًا، وأنك تريد المشاكل له.

- هل تريد أن أتصل به الآن، أم مجرد أن أخبره أنك سألتَ عنه؟

- لا الآن من فضلك.

- حسنًا سأحاول.

أخذت (عايدة) هاتفها المحمول وحاولت الاتصال بـ(آدم)، لكنه لم يجب المرة الأولى.
نظرت له (عايدة) وقالت له:
- يبدو أنه مشغول، فهو لا يرد على هاتفه.
لا تعرف (عايدة) لماذا ظهرت للحظات نظرت الارتياح على وجهه، يبدو أنه لم يكن يريده أن يجيب على الهاتف، يبدو أنه مغصوب على محادثته، إن الأمر فيه كثير من الشكوك، وما زاد من تلك الشكوك هو تحول وجهه للجدية مرة أخرى ثم قال لها:
- من فضلك أعطيني رقم هاتفه.
- أنا آسفة لا يمكنني أن أعطيك إياه إلا بإذنه، إنه من الأشياء الشخصية.
- هل يمكنك الاتصال به مرة ثانية؟
- نعم يمكنني ذلك فلتنتظر.
اتصلت (عايدة) بـ(آدم) مرة أخرى، وأثناء نظرها على والد (سارة) أتاها صوت (آدم) من الناحية الأخرى على الهاتف.
- الو كيف حالك يا دكتورة (عايدة).
نظرت (عايدة) أمامها لـ(محمد) وقالت له: لقد أجاب.
- أنا بخير يا (آدم) أنت كيف حالك؟
- أنا على خير ما يرام. هل كنت تريدين شيئًا ما؟
- نعم هناك شخص يقول أنه والد (سارة) يريد التحدث معك.
- قولي له: بعد نصف ساعة على المقهى الموجودة على أول شارعنا سوف ألقاه هناك.
أخذت (عايدة) الهاتف إلى الداخل وقالت لـ(آدم) بحزم.
- انظر يا (آدم)، أنت تعرف أنك مثل أخي الصغير، ويجب أن أحذرك بشدة.
- مم تحذريني يا (عايدة)؟
- يبدو أن ذلك الشخص لا ينوي خيراً أبدًا.
- لا تقلقي يا دكتورتي، إنه أطيب مما تظنين، سوف نتحدث فقط قليلاً.
- كان من واجبي أن أحذرك فلتتوخ الحذر يا (آدم).
- حسنًا يا (عايدة) سوف أفعل.
خرجت (عايدة) إلى والد (سارة) وقالت له:
- (آدم) يقول لك أنه سوف يكون على المقهى الموجودة على أول الشارع بعد نصف ساعة من الآن.
- شكراً جزيلاً لك يا دكتورة على مساعدتك.
و ترك الصيدلية ورحل وأخذ طريق الذهاب إلى تلك المقهى وهو يفكر ماذا سيقول له عندما يقابله.

أما (آدم) بعدما أغلق الهاتف مع (عايدة) نظر إلى ذلك الشخص الذي ما زال بجانبه، وقال له: يبدو أننا لن نلعب مع بعضنا الآن، وسوف تتأجل لبعض الوقت، ثم أخرج سرنجة بها مادة مخدرة وأدخل سنها المدبب في وريده وراقبه وهو يغيب عن الوعي مرة أخرى.

****

دخل محمد والد (سارة) المقهى ليجد (آدم) يجلس عليها بهدوئه المعروف وابتسامته المميتة، تلك التي يكرهها من يعرفها جيدًا، ويحبها الذي لم يذق مرارها من قبل.

سلّم على (آدم) وجلس، نظر له (آدم) وقال له:

- لقد سمعت أنك كنت تريد محادثتي.

- نعم أنا أريد ذلك، ولكن كل ما أطلبه منك أن تكون ذا صدر رحب؛ لأني صاحب حق.

و قبل إكمال حديثهم وجدا عامل المقهى أتى ليرى ماذا سيشربان، طلب (آدم) قهوة، وطلب محمد شايًا، وبعد أن رحل الفتى نظر (آدم) له وقال له:

- أعلم أنك صاحب حق، وأعلم لماذا يدور هذا الحديث بيننا الآن.

- إذًا لا داعي للمجاملات ولندخل في صلب الموضوع (سارة) ليست لك يا (آدم).

- هذا ينهي الموضوع إذا كان يوجد عندك أي حديث آخر فلتقله، أما إذا لم يوجد فلا داعي لأي شيء آخر.

استغرب والد (سارة) من حديث (آدم) كان يظن أنه سينفعل ويتشاجر معه، لم يكن يظن أن الأمر سيسير بتلك الطريقة الهادئة، لماذا لم يغضب؟ لماذا لم يقاوم؟ هل حقًا انتهى الأمر أم أن هناك شيئًا ما يدور في رأسه ولا يريد الإفصاح عنه الآن، وإذا كان هكذا يجب أن أعرف كل شيء الآن، هذا الفتى لن يتغلب علي بتلك السهولة.

- هل انتهى الأمر هكذا يا بني.

- أعتقد هذا يا أستاذ (محمد) إلا إذا كان عندك ما تضيفه.

- لا يوجد عندي جديد، ولكن هل معني هذا أنك ستبتعد عن (سارة)؟

- لا لن أبتعد، لا يوجد شيء سيبعدني عنها، لا أنت ولا أي شخص آخر.

انفعل والد (سارة) على (آدم) بشدة وصرخ فيه.

- هل أنت مجنون لتقول لي ماذا أفعل مع ابنتي؟ هي ابنتي وسأزوجها من أشاء ولن تقدر على فعل شيء.

- حسنًا فلتفعل ما تشاء، وأنا سأفعل ما أشاء، ولكن لا تقل أني لم أحذرك.

جاء عامل المقهى بالطلبات ووضعها أمامهما ثم رحل، أمسك (آدم) بفنجان قهوته بكل هدوء وهو لم يغير من ابتسامته الواثقة، وأخذ يرتشف منه، ووالد (سارة) في أشد مراحل الانفعال، إنهه يريد أن يقوم ليقتل (آدم) الآن، ولكنه لا يستطيع فعل ذلك، إنه يعرف أن ابنته كانت محقة، إنه لا يستطيع فعل شيء معه، ولكنه سوف يحاول بطريقة أخرى.

تمالك والد (سارة) نفسه وأخذ في تهدئة نفسه، ثم قال لآدم:
- هل تعلم أن (سارة) تقريباً تم قراءة فاتحتها.
- نعم أعلم ذلك.
- و هل تعلم من هو خطيبها؟
- إنه قادم هناك هل تراه؟
نظر والد (سارة) في الاتجاه الذي أشار له (آدم) وجد (هشامًا) قادمًا من بعيد، وعلى وجهه أعتى علامات الغضب، يبدو أنه جاء ليفتك بأحدهم، ومن السهل التخمين لمن هو قادم، إنه قادم لذلك الشيطان الجالس بجانبي، نظر له وجده يحمل نفس علامات الهدوء والابتسامة، من أين يحتفظ بكل تلك الثقة؟
الآن (آدم) يعرف ما ينتظره، اثنان غضبانان منه يستعدان للفتك به، سوف يهتم بواحد تلو الآخر، ولكن عليه أن يتحمل كل الاستفزازات التي سيتعرض لها حتى يستطيع التصرف معهما.
دخل (هشام) مباشرة إلى مكان (آدم) وأمسكه من أعلى قميصه وسأله.
- أين أخي (أحمد)؟
ابتسم (آدم) بكل هدوء وارتشف من قهوته وردَّ عليه.
- وما شأني بـ(أحمد) لا علاقة بيني وبينه.
- إنه متغيب منذ البارحة صباحًا ولم يظهر حتى الآن، وأنا أعرف أنك المتسبب في اختفائه.
- صدقني لا يوجد عندي أي مخبأ سري، إن الأماكن التي أتواجد بها معروفة، إذا كنت تظن أن أخاك في إحداها فاذهب إليه لتحضره.
جحظت عين (هشام) هو يعرف أين (أحمد) إذن، ولكن لا يستطيع أن يذهب إلى هناك، إنه يخاف منه إنه يخاف (الموقع).
تدخل أستاذ (محمد) في الحوار لمحاولة جعلهما يهدآن وأخذ في إبعاد (هشام) عن (آدم) و(هشام) يتوعد أنه لن يترك (آدم) حتى يخبره عن مكان أخيه، هو يخاف على أخيه، لا يريد الأذى له، ولكنه هو من أدخله جحر الثعابين، ويجب أن يتحمل عواقبها، كان هذا رأي (آدم).
- (آدم) هل تعرف أين (أحمد)؟
- أستاذ (محمد) أنا لا أعرف أي شيء.
- و لكن (هشام) يقسم أنك تعرف مكان أخيه وأنك السبب في اختفائه.
- إذا كنا سنتهم أي شخص بأي شيء دون دليل، فأنا أتهمك بتفجير الكنائس.
- ماذا تقول يا فتى أي كنيسة هذه؟ أنا لم أفعل شيئًا.
- و أنا أيضًا لم أفعل شيئًا.
تدخَّل (هشام) وقال لآدم:

- إنك تبدأ حربًا لا تعرف كيف ستنتهي.
- لا بل أنت من بدأها ولتتحمل عواقبها.
- يا بني أنت لا تعرف ماذا تفعل، أرجوك إذا كنت تعرف أين أخوه فأخبره.
تنهد (آدم) ثم قال:
- حسنًا فتأتِ معي يا (هشام)، ولنر أين سيأخذنا هذا.

****

- (هشام) سأعطيك أخاك، ولكن يجب أن تتنازل عن (سارة).
- لن أتنازل عنها، فأنا أحبها.
- أنت لا تحبها، أنت تريدها انتقامًا مني.
- أقسم لك أني أحبها.
وجّه (آدم) ولأول مرة يظهر بكل هذا الغضب، وقال لهشام:
- إذا كنت تحبها فلابد أنك تعرف كل شيء عنها، هل تعرف ماضيها؟ هل تعرف لماذا نحن الاثنان متعلقان ببعض؟ هل تعرف ماذا حدث لشيطان (آدم)؟ أنت لا تعرف شيئًا يا (هشام)، ومن الأفضل أن تظل هكذا لا تعرف شيئًا؛ لأن المعرفة الزائدة قد تؤدي لهلاك صاحبها.

****

- فلتذهب يا (سعيد) لترَ أين (آدم)؟
- ألا يمكننا أن نترك (آدم) وشأنه، إنه كان يمزح قليلاً مع هشام.
- لا تناقشني فيما أقوله، وإلا نلت ما سيناله من عقاب.
- أنا آسف يا (حسن) ولكني لم أقصد هذا.
- حسنًا، لا تتكلم كثيرًا، واذهب ائتني بـ(آدم) لنرى ما يمكنه أن يفعل هذا اللعين الصغير عندما يواجه الشيطان.

يبحث (سعيد) عن (آدم) في كل مكان، ولكنه لم يجده، ذهب إلى البيت فأخبره والده أن (آدم) في درسه وسوف يتأخر قليلاً، أخذَ (سعيد) في انتظار (آدم) وهو خائف من مصيره إذا ما تأخر عن (حسن)، إن (حسنًا) هذا لا يرحم أحدًا، سوف يعذب (آدم)، وإذا فعلت أنا الآخر شيئًا سوف يعذبني معه، ولكني ليس لي في الموضوع يد، إن (آدم) مَنْ خطَّط ومَنْ نفّذ، أنا كنت مجرد مساعد؛ لذلك لا أستحق العقاب.

بعد فترة رأى (سعيدٌ) (آدمَ) قادمًا من بعيد، انطلق إليه في سرعة البرق ليخبره، إنه يريده في موضوع ما.

- (آدم) أنا أحتاجك في موضوع ما.
- ما هذا الأمر؟
- فلتأتِ معي إلى الموقع حالاً.
- لا يمكنني ذلك، الآن أنا متأخر، ووالدي سيعاقبني بشدة إذا ما تأخرت أكثر من هذا.
- لن نتأخر أعدك سنبقى لبضع دقائق فقط.

نظرات (آدم) المتشككة في (سعيد) فهو أبدًا لم يكن محبًا للذهاب إلى الموقع في أي وقت حتى لو كنا في الصباح، والآن يريدني أن نذهب إلى هناك بعد أن حل الليل، يبدو أنه شيء خطير جدًا.

- ماذا هناك يا (سعيد)، لقد جعلتني متوترًا.
- لا إنه شيء كبير، وسوف تفتخر بصديقك (سعيد).
- أشك في هذا يا صديقي، ولكن دعني أدخل أشيائي إلى البيت، ثم نذهب إلى هناك مباشرة.
- لا لن يمكنك أن تفعل هذا، هكذا سنتأخر كثيرًا.
- ماذا بك يا (سعيد)؟ ما كل هذا الإلحاح أنا لم أعتد منك على هذا، أخبرني ماذا يوجد هناك.
- حسنًا هل تعرف تلك الفتاة المسماة (سارة)؟
- (سارة)!!!
- نعم بيتها أمام بيتك ألا تعرفها؟

- لا أنا أعرفها جيدًا إنها صديقتي.
- حسنًا، لقد حدث لها شيء هناك، ويجب أن تأتي لترى.
- ماذا حدث لها؟ فلتخبرني ولماذا أنت سعيد بكل هذه الدرجة؟
- لا يمكنني أن أخبرك إلا ونحن هناك.
- هيا بنا.

انطلق (آدم) بسرعة إلى الموقع ليرى ماذا يوجد هناك؟ ماذا حدث لـ(سارة)؟ إن (آدم) و(سارة) صديقان، ويبدو أن هناك مكروهًا يحدث لها، وإلا لماذا ستذهب (سارة) إلى هذا المكان الملعون؟!!!

وصل (آدم) و(سعيد) إلى هناك، ولكن هناك شيء غريب، لقد كانت هناك إضاءة في المكان، إنها نار في قلب الموقع من الداخل، إذًا (حسن) وشركاؤه موجودون بالداخل، ماذا أتى بهم إلى هنا، وإذا كانوا هنا ماذا تفعل (سارة) معهم!!! إنها طفلة صغيرة بريئة لا تعرف شيئًا عنهم.

إن هناك احتمالين لا ثالث لهما: أن (سارة) ليست بالدخل معهم وهذه مجرد خدعة، وأن يكون (حسن) استغل (سعيدًا) ليحضرني إلى هنا من أجل الانتقام منا نحن الاثنين؛ لما فعلناه بـ(هشام) وانتشار الأخبار أنني وسعيدًا كنا موجودين في الموقع مع (هشام) و(حسن) قد هددني إذا ما اقتربت من (هشام) سأنال عقابه بسبب أخته، ويجب علي الهرب الآن؛ لأني لن أخرج من هذا المكان مثلما دخلت أبدًا.

أما الاحتمال الثاني أن تكون (سارة) في الداخل فعلاً، ومعها كل هؤلاء الملاعين في مكان واحد، إن عقلي الصغير لا يمكن أن يتخيل ماذا سيفعلون بها، يجب أن أتدخل على الرغم أني لن أستطيع أن افعل معهم شيئًا، وأيضًا لن أخرج منه سليمًا.

إن الاحتمالين يقولان أنني يجب أن أهرب الآن، فلا يوجد عندي ما هو أعز من نفسي، يجب أن أركض إلى المنزل ولا أعود هنا ثانيًا، إن (حسنًا) بالداخل، إنه لا يرحم، هو لن يرحمني، ولكن لن يرحم (سارة) إذا كانت موجودة بالداخل أيضًا، ماذا أفعل يا إلهي، لماذا أقحمت نفسي في كل هذا!!!

الآن يجب أن أتخذ قراري، إما بالدخول أو الهرب، إن (سعيدًا) مستعجب من وقوفي ساكنًا، لماذا لا تتحرك يا (آدم) في ماذا تفكر الآن؟ لا يوجد وقت للتفكير، فلندخل الآن، وإلا سأكون معك في عقابك.

- لن أدخل إلى هناك.
- ماذا تقول يا (آدم).
- أقول: إنني لن أدخل إلى هناك يا (سعيد)، إنه القرار الأخير.
- هل أنت خائف يا دودو؟

- أنا لا أخاف، ولكن (حسن) بالداخل، ولا أعلم ماذا يكمن لي في الداخل.
- و (سارة) هل ستتركها بمفردها في الداخل؟
- أنا لا أعلم ما إذا كانت بالداخل أم لا. لذلك لن أدخل، فمن الممكن أن يكون أحد أفخاخ (حسن).
- لا إنه ليس أحد أفخاخه، و(سارة) موجودة بالداخل، إذا كنت لا تصدقني فلتأتِ بنفسك وتلقِ نظرة.
- لماذا أنت على كل تلك الثقة يا (سعيد)؟ ما الذي يجعلك واثقًا هكذا؟
ارتبك (سعيد) من سؤال (آدم)، وعرف أن (آدم) لن يدخل فعلاً ولم يكن أمامه إلا حلاً واحدًا أن يستخدم القوة معه حتى يدخله إلى الموقع.
ركض (سعيد) نحو (آدم) في حركة مفاجئة وأسقطه أرضًا، وأمسك بقدمه وقام بجره على الأرض، إن ما يحدث لـ(آدم) الآن لم يكن يتخيل أن يحدث له في يوم من الأيام، ماذا يمكن أن يكون بالداخل؟؟!!
(سعيد) ماذا تفعل معي؟ ألست أنت حمايتي؟ لماذا تفعل بي هذا؟ إن ما تفعله بي الآن لا يمكنني أن أنساه لك أبدًا.
- (سعيد) من فضلك اتركني، أنت لا تعرف ماذا تفعل؟
- آسف يا (آدم) يجب أن أفعل هذا وإلا سوف أكون مكانك.
- ولماذا تعتقد أنك لن تكون مكاني بعد أن ينتهي دوري.
- إن (حسنًا) قال لي: إنه لن يمسني بسوء طالما أنا أسمع كلامه وأحضرك إلى هنا.
- و هل تثق في (حسن) كل هذه الدرجة، إنه ليس ملاكًا يا (سعيد)، أنا صديقك وأعرف ماذا أقول لك.
- نحن في الصف الثالث الإعدادي يا (آدم)، ليس أمامنا إلا أن نختار أي صف سوف نكون فيه، أما أن نكون مع زعماء المنطقة، أو نكون مع باقي الناس العاديين.
- وأنت اخترت الصف الخطأ يا (سعيد)، أرجوك فلتستمع لي.
لم يتحدث (سعيد) لـ(آدم) بعد أن اختار أن يكون مع (حسن)، لقد اختار صفَّ العظماء كما كان يقول.
إن (آدم) يعرف أنه لابد أن يدخل إلى الموقع، ولكن لا يمكن أن يدخل وهو مسحوب هكذا، سوف يجعله يظهر بمظهر الضعيف أمامهم؛ لذلك صاح (آدم) على (سعيد) وقال له:
- (سعيد) هل يمكن أن أطلب منك طلبًا صغيرًا؟
توقف (سعيد) عن المشي ونظر له وقال:
- اطلب يا (آدم)، ولكن أسرع كاد (حسن) أن ينفذ صبره.
- لا أريد أن أدخل وأنت تجرني هكذا، أريد الدخول واقفًا.

- لكنك سوف تهرب مني مرة أخرى وتركض إلى الخارج.
- لا صدقني، أنا أعدك سوف أدخل معك إلى الداخل، لا يوجد أمامي أي حل آخر.
ترك (سعيد) (آدم) ينهض ونفض التراب عن نفسه وعن ملابسه، ثم نظر لـ(سعيد) وقال له:
- مستعد للدخول الآن.
إن رجال (حسن) مجتمعون داخل (الموقع) إن عددهم تسعة ملتفون حول النار، بعضهم يشرب البيرة والبعض الآخر يلفون سجائر الحشيش ويمررونها على بعضهم، إنهم الآن على استعداد لفعل أي شيء، إن (حسنًا) ليس وسطهم؟ أين هو؟ لا يمكن أن تكون هذه الحفلة الآن وهو ليس موجودًا.
إن (آدم) خائف جدًا، إنه ليس خائفًا، بل مرعوبًا، ولكنه يقف بثبات شديد.
انتبهوا جميعا لدخول (سعيد) بعد أن صاح:
- لقد أتيت يا ريس (حسن) ومعي (آدم).
نظر الجميع لهم باشمئزاز، إنهم أطفال، هم مجرد وجبة خفيفة لهم، ما هذا يا (حسن)؟ لماذا أتيت بهم؟
نهض أحدهم واقترب منهما وقال لـ(سعيد):
- هل هذا الذي كلفك (حسن) بأن تأتي به إلى هنا.
- نعم إنه هو، ولكن أين هو الريس (حسن) أنا لا أراه.
- إنه في أحد الغرف وسيأتي بمجرد أن ينتهي.
ثم نظر لـ(آدم) وقال له:
- أما أنت فتنتظرك ليلة كبيرة، إن الحفلة مقامة على شرفك الليلة.
أخرج (مطواة) من بين ملابسه ووضعه على رقبة (آدم) ثم وجهه وقال له:
- من أين تريد أن نبدأ رقبة أم وجه؟ أم تريد من أسفل حتى تكون الخياطة مضبوطة.
ضحك جميع الموجودين بهستيريا حتى (سعيد) عندما وجدهم يضحكون ضحك معهم، أما (آدم) لا يعرف لماذا يضحكون، ما الشيء المضحك فيما قاله؟
سمع (آدم) صوت يأتي من داخل إحدى الغرف، إنه يعرف صاحب هذا الصوت، إنه (حسن)، يبدو أنه يفعل شيئًا سيئًا، إنه يسمعه وهو يقول:
- لا تقلقي، سوف يكون كل شيء على ما يرام، ولكن لا تتحدثي ولا تخبري أحد بما حدث هنا وإلا سأقتلك.
لم يهتم (آدم) بما يحدث حوله، ولا بتلك الآلة الموضوعة على رقبته، وجد نفسه يدفع (سعيد) ويركض إلى حيث ذلك الصوت صوت (حسن).

دخل (آدم) تلك الغرفة وجد فيها نارًا أيضًا، ولكن خلف تلك النار كان يوجد (حسن) يعطي (آدم) ظهره، وكان من الواضح أنه يتحدث إلى أحد ما أمامه، ولكن جسده كان حاجز الروية عن ذلك الشخص؛ لأن (آدم) لم يستطع أن يرى مع مَنْ يتحدّث (حسن).

لم يكن (حسن) يرتدي شيئًا في النصف الأعلى من جسده، وكان واقفًا مستعدًّا لفعل شيء لم يكن لـ(آدم) أن يتخيله، ولكن وجد (آدم) ضربة قوية من خلفه جعلته يسقط على وجهه سقطة قوية أطاحت بأحد أسنان فمه.

التفت (حسن) بسرعة إلى ذلك الصوت الذي حدث بخلفه، وجد أحد أتباعه يقف على الباب بعد أن أطاح بشخص ما ملقى على الأرض، دقق (حسن) بالشخص الموجود على الأرض وجده (آدم).

- مرحبا بك يا (آدم) في (الموقع) ها قد أتيت معي مرة أخرى، ولكن هذه المرة مختلفة أنت تعرف ذلك صحيح؟

لم يرد (آدم) بل وضع يده على فمه، ووجد الدماء تسيل من فمه، نظر إلى الدماء الموجودة في يده، ثم نظر لـ(حسن) لكي يكمل كلامه.

- و أنت أيها الحمار، كيف تدخله إليّ هكذا، ألا تعرف أني مشغول.

- أعتذر يا ريس، ولكنه هو من ركض إلى هنا بمفرده، أعتقد أنه سمع صوتك فجاء إليك.

- إنك شجاع حقًّا يا (آدم) حتى تأتي إلي بمحض إرادتك، ولكن نصيحة مني كان يجب عليك الركض إلى الخارج وليس إلى هنا.

- سوف آخذ بنصيحتك في المرة القادمة.

- مؤسف أنك لم تكن تعلمها قبل الآن.

- إلى من كنت تتحدث؟ من معك هنا في الغرفة؟

- (آدم) لقد كنت أعلم انك ستأتي إلى هنا من أجل الذي معي في الغرفة. نعم إنه من تفكر فيه.

نهض (آدم) من مكانه ببطء حتى لا يتعرض لمثل تلك الركلة التي أسقطته المرة الأولى، أخذ (آدم) يدقق النظر في الركن المظلم من الغرفة وهو يتمنى أن لا يرى مَنْ في مخيلته، لا أستطيع أن أفكر ماذا أفعل إذا وجدته، يا الله فلتجعله شخصًا لا أعرفه.

- أنجدني يا (آدم) من فضلك.

في تلك اللحظة تجمد الدم في عروق (آدم) إن (سعيدًا) كان محقًّا، إنها هي، ولكن ما الذي أتى بك إلى هنا أيتها الفتاة. لماذا أنت هنا؟ ماذا قال لك لكي تأتي معه إلى هنا؟

- (حسن) إن هذه المشكلة هي بيني وبينك يمكنك أن تفعل ما تشاء بي، ولكن ما دخلها هي بالموضوع.

- لقد قال لي (سعيد) أن العلاقة بينكما مميزة جدًا، وأنها الطريقة الوحيدة لتأتي إلى هنا في الوقت الذي نريدك فيه.
- وها قد أتيت، من فضلك اتركها تذهب، فهي ليست طرفًا بيني وبينك.
ثم بدأ (آدم) في البكاء بشدة، لم يبك بمثل هذه الطريقة، لا يعرف لماذا يبكي، هل بسبب أنه سوف يتأذى أحد بسببه، أم بسبب غدر (سعيد) به، أم بسبب ما سيحدث فيه بعد قليل، هناك الكثير من الأفكار تدور في رأسه، ولكن الشيء الوحيد الذي يفعله هو البكاء.
- لماذا تبكي يا (آدم) أريد أن أراك في قوتك المعهودة منك، أين ثباتك وابتسامتك الشيطانية؟!
- لقد ذهبا الآن، ولكن أقسم لك أني لا يوجد شيء بيني وبينها أرجوك اتركها.
- العديد من فتيات المنطقة قبل أن يتعدين الرابعة العشر من عمرهن كن معي هنا، نقوم بأفعال كثيرة مع بعضنا البعض، أفعال متزوجين دون أن يدري أحد، وليس الفتيات فقط بل الفتيان أيضًا ما أطعمهم في هذا السن، يكونون مثل الفاكهة الطازجة التي لابد من قطفها في هذا الوقت، وحان قطف ثمار السارة أيضًا. وأنت يا (آدم) لم أضع يدي عليك لأنك كنت ستكون منا، ولكن بعد أن خالفت كلامي أصبحت منهم، وسترى الوجه الآخر لـ(حسن) الذي يتحدث الجميع عنه.
خف بكاء (آدم) قليلاً وفي لحظة كان (آدم) يركل الشخص الذي بخلفه ويركض إلى الخارج، اجتمع كل الذين كانوا حول النار وأمسكوا بـ(آدم) والقوه بجوار النار حتى أن يده دخلت إلى النار.
صرخ (آدم) بشدة من أثر النار على يده، وأخذ الجميع في الضحك عليه، وأخذوا يقلدون صرخته بطريقة ساخرة ويضحكون عليه، نظر (آدم) لهم، وجد (سعيدًا) من ضمنهم لم يكن يضحك، كان يبدو على وجهه الحزن، ولكنه لا يحرك ساكنًا.
خرج (حسن) من الغرفة وفي يده (سارة) لقد رآها (آدم) جيدًا الآن، إنها ترتدي ملابسها، ويبدو أن (حسنًا) كان على وشك أن يجعلها تخلعها لولا دخول (آدم) عليهم فجأة.
وقف (حسن) أمام (آدم) مباشرة عند النار وأمسك برأس (سارة) بقوة بجوار (آدم) وقال له:
- انظر إليها جيدًا وقل لها بماذا تشعر هي؟ فلتر بماذا تشعر يا دودي؟
إن (سارة) تبكي، ولكن دون الصوت تبكي دموع فقط، يبدو أنها صرخت كثيراً ولم يسمعها أحد، فلم يعد أمامها سوى البكاء في صمت، إنه مؤلم ذلك البكاء، إنه يقتلني من داخلي، أقسم لك يا (حسن) أني لن أدعك تنعم بم تفعل ولو بعد مائة عام، إنه سيظل ثأر بيني وبينك حتى الموت.
- أنا آسف يا (سارة) لكل الذي يحدث، ولكني أعدك أن أخرجك من هنا دون أن يمسك أي حد بشيء.

- كيف ستخرجها يا دودي من هنا ألا ترى أين أنت؟ أنت في جحر الثعابين.
نظرت له (سارة) دون أن تنطق بكلمة، بل أخذت في تكملة بكائها، (آدم) يبكي هو الآخر، إنه يده تحرقه وقلبه كذلك يحرقه على تلك الفتاة التي لم تتعد الثانية عشرة، لماذا يحدث لها هذا، هي لم تقترف ذنبًا حتى تقع بين يدي هذا الشيطان.
- ما رأيك الآن يا (آدم) هل تشعر بما كان يشعر به (هشام).
- أنت لا تهتم بـ(هشام) إنك تهتم بأخته.
- صحيح إنها قطعة ثمار ناضجة وكبيرة تلبي لي كل طلباتي، إنها مثل الخادمة عندي أفعل معها ما أشاء، إن هذا المكان يشهد علينا، لقد نمت معها في كل ركن من أركان هذا المكان، هل تعرف أني الآن أجعلها تنام مع رجالي وتفعل لهم أي شيء يأمرونها به، و(سعيد) دوره التالي معها، لقد وعدته بذلك، أليس ذلك أيها العجل؟
أزال (سعيد) الحزن الذي على وجهه سريعًا حتى لا يلاحظ أحد شيئًا وأجاب بسرعة:
- بلى، إنها تمتلك مقومات عالية وكبيرة مثل أمها.
ضحك (حسن) وجميع الموجودين وأثناء ضحكهم مال (آدم) للأمام بسرعة وقال لـ(سارة) في همس:
- استعدي للركض الآن.
لم تفهم (سارة) شيئًا، ولكنها كانت تعرف (آدم) جيدًا، ولذلك استعدت لفعل شيء ما هي لا تعرف ماذا ستفعل، ولكنها استعدت.
في حركة سريعة وضع (آدم) يده بسرعة مرة أخرى في النار المجاورة له، وأخرج منها قطعة خشب مشتعلة وضرب بها يد (حسن) بقوة صرخ (حسن) من الضربة وترك (سارة) ليمسك يده.
وفي تلك اللحظة أخذت (سارة) و(آدم) بالركض إلى الخارج، في حين أن الجميع كان لا يفهم ماذا يحدث، وعندما أفاقوا بعد لحظات انطلق الجميع خلفهم في حين، أن (حسنًا) أخذ يوجه السباب والشتائم لـ(آدم) ولـ(سارة) ولكل الموجودين.
أثناء خروجهما من الموقع أيقن (آدم) أنهم سوف يمسكون بهما مرة أخرى، إنهم يعرفون الطريق جيدًا أكثر منه، وهم عددهم أكبر؛ لذلك عند باب (الموقع) قال (آدم) لـ(سارة):
- فلتذهبي وتخبريهم أنني هنا، أخبري الجميع واجعليهم يأتوا إلى هنا، ولكن لا تقولي إنك كنت هنا، بل قولي إنك رايتهم وهم يأخذونني غصبًا إلى هناك.
لم تجادله (سارة) بل أشارت برأسها أنها تعرف، ثم أكملت ركضها، أما (آدم) فقد وقف عند باب (الموقع) وهو لا يزال يمسك بقطعة الخشب المشتعلة في يده، وعندما اقترب رجال (حسن) ومن وسطهم (سعيد) حتى يمسكوه أخذ (آدم) يضرب بالعصا في الهواء حتى لا يقترب أحد منه، وحتى يسمح لـ(سارة) بالهرب.

كان الجميع يخاف أن تصيبه العصا أثناء تلويح (آدم) بها في وجوههم حتى أتى (حسن) وهو يمسك يده ونظر له وقال:

- أحسنت يا دودي؛ لذلك كنت دائمًا أرى فيك أنك خليفتي، لا يوجد عندك قلب، لا تخاف أن تخسر شيئًا حتى نفسك، ولكن شعورك بالذنب هو نقطة الضعف الوحيدة عندك، وسوف نعمل على قتلها.

إن يد (آدم) تحترق بشدة، يكاد يترك العصا من يده، لم يعد يستطيع التحمل أكثر من هذا، و(حسن) يعرف هذا وينتظر.

يريد (آدم) أن يؤخرهم عنها حتى تستطيع الخروج من الحقل المحيط بالموقع، ولكن إن يده تحترق، لم يستطع (آدم) المقاومة أكثر، وأخيراً سقطت من يد (آدم)، وأخذ الجميع في الإمساك بـ(آدم) كالكلاب إذا ما وجدت عظمة تكالبت عليها.

إن (سارة) تركض بكل قوتها، لا تنظر حتى خلفها، إنها ترى الضوء، إنها إنارة الشارع تجري ناحيتها تتعثر كثيراً أثناء ركضها، تفكر في (آدم) هذا الفتى الذي أنقذها، سوف تخبر الجميع عن مكانه حتى يجدوه قبل أن يفعل به (حسن) شيئًا، فلتصمد وتنتظر يا (آدم) سوف أحضر المساعدة.

كان الجميع يمسك بـ(آدم) وينهالون بالضرب عليه، أوقفهم (حسن) وقال لهم:

- أليس في قلوبكم رحمة، انظروا إليه إنه مجرد طفل صغير يبكي، ألا تروا دموعه!!

الجميع يسخر ويضحك ويطلقون السباب عليه، أوقفهم (حسن) بإشارة من يده وقال:

- سوف تعاقب على يد صديقك، امسكوه جيدًا واخلعوا له قميصه واجعلوا نصفه الأعلى خالياً من الملابس.

انطلقوا ليفعلوا مثل ما قال لهم (حسن) وأخذ (آدم) في المقاومة، ولكنه لم يكن ليقدر عليهم، فعرف أنه بذلك يستهلك طاقته، فاستسلم للأمر ليرى ما سيوصله هذا.

أما (حسن) فقد أخذ قطعة من الخشب ووضعها في النار حتى اشتعل طرفها وأصبح لهيبها عالياً ونادى على (سعيد) فأتى مسرعًا وأعطاه تلك الخشبة المشتعلة وقال له:

- فلتر (آدم) لماذا أنت معنا الآن، وما الذي جعلك تختارنا وتبيعه في أقرب فرصة.

ذهب (سعيد) إلى (آدم) وأخذ في حرق بطن (آدم) وهو يبتسم ابتسامة كادت تبكيه، ولكنه كان يتمالك نفسه حتى لا يصبح مكان (آدم) الذي كان يصرخ صراخًا يُسمع من على بعد أميال، وفي لحظات كان الجميع يسمع صوت آتٍ من الخارج.

- من هناك؟ من يصرخ هناك؟ انتظر نحن قادمون إليك.

يبدو أن (سارة) قد أبلغت أحدهم، شكرًا لك يا (سارة) على عدم تركي هنا مع هؤلاء، لا أعلم ماذا كانوا سيفعلون بي، إني أشعر بالدوار، أعتقد أني بحاجة إلى بعض الراحة الآن، أعتقد أني سأنام.

دخل العديد من الناس ويتقدمهم شخص ضخم البنية عرفه (حسن) أول ما رآه، إنه المخبر (سيد الشطانوفي) هو من يسهل لـ(حسن) تجارته ويغطي عليه أفعاله السوداء مقابل نسبة يأخذها منه، ومعه الكثير من الناس من أهل المنطقة والمناطق المجاورة.

- ماذا تفعل يا (حسن)؟

- لا شيء يا عم (سيد) لقد كان يلعب بالنار حتى أحرقت يده وبطنه كما ترى.

- وأنت لماذا تركته حتى يلعب بها؟

- لقد حذرته أقسم لك، قلت له أن من يلعب بالنار يحرق بها، ولكنه لم يستمع لي وها هي النتيجة.

- فلنأخذه إلى المستشفى إذًا.

التفَّ الناس حول (آدم) الذي لم يكن في حالة وعي، وحملوه وأسرعوا به إلى المستشفى الذي فسرت أنه يعاني فقط من حروق بعضها سيلتئم ويشفى، ولن يبقي له أثر، وجروح ستبقي معه إلى الأبد.

لم يتهم والد (آدم) أحد؛ لأنهم جميعًا كانوا يعرفون حق المعرفة من فعل هذا، ولكن كان الجميع خائفًا من بطش (حسن) الذي أقسم (آدم) أنه سينتهي بمجرد أن يصبح قادرًا على الانتقام.

إن الحفلة ممتلئة بحق، ما كل هؤلاء الناس، إنهم من جميع الأنواع والأطياف، إن مصر ما زالت مليئة بالمفاجآت، بالنسبة لي يوجد الكثير من الجنسيات هنا، (ياسمين) لم تكن تكذب عندما قالت أن تلك الحفلة ستعجبني كثيراً، آه عمتي وأمي اختفيتا من أمامي، كل منهما تبحث عن شريك لتقضية الحفلة معه، أما أنا فسأبحث عن (عايدة) و(ياسمين).

إن العثور عليهما لن يكون سهلاً، إن هناك الكثير من الناس يرقصون ويعربدون ويفعلون كل شيء، هل رجعنا لأيام الجاهلية أم ماذا؟

- هل ما زلتِ تبحثين عن (عايدة) و(ياسمين)؟

نظرت (حياة) إلى الخلف وجدت ذلك الشخص الذي قابلهم على الباب ما كان اسمه (آدم)، أليس كذلك يبدو أنه يتتبعني، ولكن إذا كان سيقودني إلى (عايدة) فلا بأس من هذا التتبع.

قالت له حياة:

- نعم أنا لا أستطيع العثور عليهما، هل تعرف مكانهما؟

في اقتضاب رد (آدم) وقال:

- فلنذهب لهما إذا أردتِ.

- فلنذهب إذًا، ولكنك لمْ تقل لي ماذا تعمل هنا؟

- ماذا أبدو لك أني أفعل؟

- لا أعرف، إن منظرك وملابسك لا توحي أنك من هذه الطبقة من الأساس.

- حسنًا، فلنقل أني مجرد عامل هنا.

- أنا أعرف أنك عامل هنا، لم أقل أنك صاحب المكان، ولكن ماذا تعمل هنا؟

- أعتقد أنك لست مصرية، أليس كذلك؟

تعجبت (حياة) كيف عرف هذا!! إني لا أتحدث السعودية، أنا أتحدث المصرية، لا شيء يدعو للقول أني غير مصرية على الإطلاق.

- نعم أنا من المملكة السعودية.

- مرحبًا بك في بلدك الثاني مصر، سوف تحبين هنا كثيراً.

أنت يا هذا أنا أحب مصر أكثر من أي شيء آخر، إنها بلدي الأولى وليس الثانية، مصر مصر مصر.

- شكرًا، هل يمكن أن تدلني على مكان (عايدة)؛ لأني أعتقد أننا ندور في نفس المكان، وأنت لا تفعل شيئًا سوى التحديق بي.

أشار (آدم) بيده إلى الأمام، نظرت إلى حيث أشار، وجدت (ياسمين) و(عايدة) جالستين يستمتعان ببعض الألعاب والموسيقي، فقالت له:

- شكراً لك لإيصالي إليهما، إلى اللقاء.
ذهبت (حياة) مسرعة إلى حيث كانت (عايدة) و(ياسمين) تجلسان، قابلتهما الاثنتان بفرح كبير وأخذت (عايدة) تسألها:
- ما رأيك في الحفلة؟
ألقت (حياة) نظرة سريعة على كل ما حولها وقالت لعايدة:
- هل تمزحين؟!! إنها رائعة، لقد أحببتها كثيراً، إنها رائعة، وكل شيء فيها رائع.
- لقد كنت أعلم أنها ستعجبك، ولكن أين والدتك وعمتك؟
- لا أعلم، كل واحدة ذهبت في اتجاه، لا أعرف شيئًا عنهما.
تحدثت (ياسمين) إليهما وقالت:
- ألم أقل يا (عايدة) أن (حياة) ستأتي لنا وحدها، أنا أفوز بهذا الرهان.
استغربت (حياة) من كلام (ياسمين) وقالت لهما:
- ما هذا الرهان الذي تتحدثان عنه؟
ضحكت (عايدة) بشدة ونظرت لـ(حياة) التي تبدو أنها لم تفهم شيئًا، وعلامات الغباء ظاهرة على وجهها، وقالت لها:
- لقد تراهنا أنا و(ياسمين) عليك.
- وما كان الرهان؟
- إنك ستأتي إلى طاولتنا هنا بمفردك دون أي أحد، هذا كان كلام (ياسمين)، أما كلامي فكان أن هناك من سيأتي معك؟
- و لكن لماذا هذا الغباء يا (عايدة) أنت تعرفين جيدًا أن والدتي وعمتي لا يسيران معي في أي شيء، بل دائماً لهما أفكارهما الخاصة بعيدًا عني.
- أنا لم أقصد ذلك.
- ماذا تقصدين إذًا، أحد شباب الحفلة، أنا لم أدخل وأتعرف على أحد بعد حتى يأتي معي إلى هنا.
ضحكت (ياسمين) و(عايدة) بشدة وقالت ياسمين:
- كيف دخلتن إلى هنا على الرغم أن الدعوات معنا هنا؟
- لقد أتى شخص ما قال إنه يعرف (عايدة) وقام بإدخالنا.
- هل هو ذلك الشخص الذي يقف هناك؟
وأشارت (ياسمين) إلى منتصف الحفلة، نظرت (حياة) إلى هناك ورأته يقف بنفس هدوئه وابتسامته الواثقة وقالت لهم:
- نعم إنه هو، لا أعلم من هو، لكنه من الواضح أنه صديق أحد المدعوين هنا، أو له سلطة هنا، لا أعرف من هو؟

- إنه (آدم سليم) شخص عظيم جدًا، من أكثر الأشخاص احترامًا وذكاء وشجاعة عرفته في حياتي.
- يبدو أنه شخص غريب ومريب، ولكن لِمَ لا تدعينا نترك كل هذا ونستمتع بالحفلة!!
- ماذا تريدين أن تفعلي يا حياتي؟
- أريد أن أرقص أريد أن أتحرر من كل القيود التي تفرض علي في كل مكان أذهب إليه، أريد الحرية.
- حسنًا فلتذهبي أنت، أما أنا فلا يمكنني ذلك، فأنا ذات طبع شرقي مصري لا يمكنني الرقص، كما أن (هشامًا) إذا رآني أرقص أو عرف هذا سوف يطلقني، بالإضافة إلى أنني لم أقل له أنني ذاهبة إلى هذه الحفلة.
- ألا يمكنك التنازل عن مبادئك ولو لمرة.
- لا يمكنني هذا، آسفة يا حياتي.
صاحت ياسمين:
- فلتأخذيني معك يا (حياة) فأنا أيضًا أريد الرقص.
- فلنذهب يا (ياسمين) هيا.
تركتا الفتاتين (عايدة) على الطاولة بمفردها، وذهبتا إلى الرقص، أما (عايدة) فأخذت تشاور وتلوح لـ(آدم) حتى رآها فاستأذن مع من كان يقف معهم وذهب إليها وهو يبتسم، فقالت له:
- أنا آسفة على جعلك تترك الحفلة لإحضار أقاربي من الخارج.
- دكتورة (عايدة) ماذا تقولين، أفعل أي شيء من أجلك، فقد كنتِ من أشد المساندين لي في محنتي، أنا أدين لك بالكثير.
- لا تقلق، سأظل داعمة لك إلى النهاية، فأنا صديقتك المقربة التي لا يخفي شيء عليها أليس كذلك؟
- بلى، وأتمنى أن يظل كذلك إلى الأبد.
- هل رأيت (حياة)؟
- نعم أنا لم أكن أصدق أي شيء، حتى أني لم أصدقك حين قلت لي عنها، ولكن عندما رأيتها عرفت أن معك حق يا دكتورة.
- انظر إليها إنها تخرج كل الطاقة السلبية الموجودة في حياتها، إنها تفعل أشياء لم أكن أتوقع أن تفعلها في يوم من الأيام.
- إنه الحزن يمكن أن يفعل أكثر من هذا، إن في داخلها جحيم لا يمكن إطفاؤه، إنها مشتعلة تعتقد أن الذي تفعله هذا سينسيها كل مشاكلها ويبعدها عنها، إنها مسكينة لكم أشفق عليها.

- صحيح ماذا حدث بينكما؟
- لا شيء، لم ترد الكلام معي، تظنني شخص متطفل وأعتقد أنها لا تحب المتطفلين.
- كلنا كذلك لا نحب المتطفلين.
إنها تشبهها كثيراً من أين أتت بهذا الشبه، يقولون: إن الله يخلق من الشبه أربعين، ولكن ليس بكل دقة هذه التفاصيل، لا أستطيع أن أنزل عيني من عليها، هي لا تلاحظني ولا تهتم بي أيضًا، ولكن كيف هذا الشبه، أنا أخاف أن أدخل في هذا الطريق ثانيًا، لقد مرت سنين طويلة أحاول أن أقاوم أي شعور يأتي إلي، أنا لا أستطيع التحمل المزيد من تلك العواطف، ففي هذه المرة لن يوجد شيء يوقف غضبي سيطول غضبي كل من أعرفهم حتى المقربين مني.
فجأة توقفت صوت الموسيقي، وكان هناك صوت مشاجرة عال، إنها (ياسمين)، يبدو أن هناك أحدًا قد أزعجها بشدة، وهذا أيضًا يزعج (آدم)، لا يريد أن يقترب أحد منها أو من أقارب (عايدة)، ذهب (آدم) إلى مصدر الصوت وسأل:
- ماذا حدث؟
قالت له (ياسمين) وهي غاضبة ومنفعلة بشدة:
- هذا الحيوان كان يريد أن يمسك يدي غصبًا، وعندما منعته حاول أن يفعل شيئًا سيئًا.
نظر (آدم) إلى هذا الشخص، هو لا يعرف أكثر الموجودين، كان هذا الشخص يبرر ما فعله مرة ومرة أخرى يقول أنه لم يفعل، ومرة يتهمها بأنها فتاة ألعوبان.
وعندما كاد أن يكمل كلامه أمسكه (آدم) من رقبته بشدة واختفت الابتسامة من على وجهه، وقال له وهذا الفتى يكاد يختنق بين يده:
- لقد لعبت مع الشخص الخطأ، سوف أسامحك هذه المرة فقط، لكن بشرط ألا أراك هنا مرة أخرى، وإلا أقسم لك أنك لن ترى أضواء في حياتك أبدًا بعد تلك المرة.
ازرق وجه هذا الشخص، وهو دليل على اختناقه وانقطاع الدم عن الوصول إلى رأسه يكاد يقتل في يديه، لم يجرأ أحد على الاقتراب والانثناء على (آدم) لتركه إلا (عايدة) التي تحركت بسرعة وأخذت في تهدئته حتى في الأخير تركه (آدم) من يده.
أخذ هذا الشخص يسعل بشدة، إنه لا يصدق أنه لم يمت، يجب أن يهرب الآن، وقد فعل ذلك، لقد أخذ في الركض حتى خرج من الأبواب.
نظر (آدم) للجميع وأخبرهم بانتهاء الحفلة، وعلى الجميع المغادرة الآن، لم يقل له أحد شيئًا، بل أخذوا في الرحيل دون النطق بأي شيء، فقالت له (عايدة):
- سوف نتركك نحن أيضًا وسنذهب.
أشار له (آدم) أن لا، ابقوا أنتم، ولكن (عايدة) لم تكن تريد أن تجلس وهو غاضب، هي لا تحبه عندما يكون غاضبًا.

مَنْ هو ليطرد كل تلك الناس من الحفلة، إنه شخص عجيب، أعتقد أنه صاحب كل هذه الأشياء، ولكنه لا يبدو عليه، هل تعتقدين يا (حياة) أن تفكيرك صحيح، وإذا لم يكن صحيحًا لماذا لم يتدخل أحد ليجعله يترك هذا الرجل إلا (عايدة)؟!! مَنْ هذا الشخص، إنه غريب، إنه يمتلك قوة عجيبة تجعل الجميع يخاف منه، حتى وإن لم يكن يعرفه، أنا أخاف منه، ولكن يجب أن أعرف من هو؟!

أثناء انصراف الناس أتت (زينة) والدة (ياسمين) و(إيمان) والدة (حياة) ليستفسرا عن غضب (ياسمين) إلى هذا الحدّ، ولماذا قام هذا الشخص بطرد المدعوين والكثير من الأسئلة وهم يستعددن للرحيل أيضا، ولكن (عايدة) أخبرتهن أن الحفلة لم تنته بالنسبة لهن.

بعد انصراف الناس جلست (حياة) و(ياسمين) و(عايدة) و(زينة) و(إيمان) داخل هذا القصر الكبيرة في انتظار مضيفهم الذي لم يسمح لهم بالرحيل.

دخل (آدم) عليهم الغرفة بعد أن هدأ وعادت له ابتسامته الهادئة الواثقة، نظر لهم جميعًا وبدأ الكلام وقال:

- أعتذر عما حدث في الخارج، ولكني لم أستطع التحكم بأعصابي سامحوني.

ردت (عايدة) عليه وهي مبتسمة وقالت له:

- لا تعتذر يا (آدم) فهو يستحق ما حدث له، ولقد أخبرتك أنني لا أحب حفلاتك تلك.

نظر الجميع إلى (عايدة) وهم مستغربون!! أهذا هو صاحب كل هذه الأملاك، إنه لم يتعد الثلاثين بعد، زيادة على مظهره البسيط الذي لا يوحي بشخص يمتلك كل تلك الأموال.

بينما الجميع ينظر إلى (عايدة) لاستغرابهم من كلامها، كانت هي الوحيدة التي لم تنظر إليها، ولكنها كانت تنظر إليه هو، (حياة) عرفت أنه هو صاحب القصر، عندما انفعل على هذا الشخص بسبب (ياسمين) دون أدنى تدخل من أي أحد، كان الجميع خائف منه، وهنا عرفت أنه ليس ذا سلطة، إنه السلطة نفسها.

لذلك أثناء تلك المشاجرة لم تتدخل (حياة) لترى ما مدي سلطته، وها قد عرفت؛ لذلك لم تكن متفاجئة بالقدر الذي تفاجأت به (زينة) و(إيمان) اللتان أخذتا للنظر إلى (آدم) بعد (عايدة).

أكمل (آدم) كلامه وقال:

- أعلم أن منكن متفاجآت أنني صاحب كل هذا، ولكن هذا صحيح، إن (عايدة) تعرفني جيدًا، فقد سبق لنا العمل مع بعضنا البعض منذ بضع سنين، أليس كذلك يا (عايدة)؟

- بلى، (آدم) كان يعمل معي في نفس الصيدلية التي أعمل بها الآن، ولكنه اتخذ طريقه الخاص، وها قد وصل إلى ما كان يريد.

تكلمت (زينة) التي كان من الواضح عليها الانبهار من (آدم) وقالت:

- هل أنت صيدلي يا (آدم).

- لا أنا لست صيدلي، لقد كنت مساعد صيدلي.
أخذت (إيمان) دور الأسئلة بسرعة من (زينة) وسألته:
- ما الطريق الذي أخذته لتكوّن كل تلك الثروة في عدد قليل جدًّا من السنين.
- من السهل أن أقول كيف وصلت، ولكن حينها سيكون من الصعب عليكن الخروج من هنا أحياء بعد سماع السبب أو الطريقة.
نظر الجميع إليه ليرين إذا ما كان يتحدث بجدية أم لا، ولكنهن كل ما وجدنه على وجهه هو تلك النظرة التي لا تتغير، فنظرن إلى (عايدة) التي أومأت برأسها إيجابًا، أي أنه سوف يفعل أي شيء يريدونه، ولكن بمقابل كبير.
ثم أكمل (آدم) كلامه بعد أن وجه نظره إلى (ياسمين):
- أما (ياسمين) فهي أميرتي الصغيرة، لقد رأيتها مرة مع (عايدة) وهي فتاة صغيرة شقية، كم أعشق ضحكتها، إنها تذكرني بأختي الصغيرة عندما تضحك.
كانت (حياة) تراقب كل هذا وهي صامتة لا تتكلم، حتى أنها لم تلتفت إلى أحد، كانت كل نظراتها إلى (آدم)، لم تنزل عينيها من عليه، كان يشدها بانبهار، كانت معجبة بكل شيء فيه، حديثه وطريقة كلامه، لدغته في حرف الراء، لكم تعشق تلك اللدغة، ابتسامته الواثقة، وملامحه الهادئة، إنه لغز بالنسبة لـ(حياة)، ويجب عليها أن تحل هذا اللغز.
بدا (آدم) في تعريف نفسه لهم قال:
- اسمي (آدم سليم) من محافظة القاهرة، نشأت في إحدى المناطق الشعبية، كونت نفسي بنفسي حتى وصلت إلى هنا، بدأت رحلة أعمالي الخاصة بعد أن تخرجت من كلية الآداب بعامين، عمري الآن ثلاثة وثلاثين عامًا.
ظلت (حياة) صامتة لا تتكلم، مجرد مراقبة للموقف، إنه لم ينظر إليها طوال حديثه، وكأنها ليست موجودة، ظنت (حياة) أنه غاضب منها بسبب طريقة كلامها معه في بداية تعرفهما.
إن الحياة لغريبة جدًّا بالنسبة لها، دائمًا ما تعامل الناس عكس معاملتهم، ولا تعرف لماذا هذا الموضوع، فلتعاملها جيدًا وستجد أسوأ معاملة يمكن أن تعاملها مع أحد، أما إذا حاولت معاملتها بطريقة سيئة فستجدها تعاملك جيدًا جدًّا، إنها بالفعل ذات كيميا غريبة.
نطقت (حياة) للمرة الأولى في تلك الجلسة وقاطعت (آدم) أثناء حديثه وقالت له:
- لماذا تخبرنا بهذا، ما دخلنا نحن في حياتك الشخصية؟
صفق لها (آدم) بطريقة باردة واقترب منها، ثم جلس على ركبتيه حتى أصبح وجهه مقابل وجهها، وأخذ ينظر إلى عينيها التي بدت ثابتة، ولكنها سرعان ما بدت بالارتباك ثم قال لها:
- أعتقد أنك سألت السؤال الصحيح، لماذا أخبركم بهذا؛ لأنه وعد كنت قد وعدته لأحدهم أني إذا رأيته مرة ثانية في يوم من الأيام سأخبره بكل شيء حدث لي منذ تركني حتى رؤيته مرة أخرى.

لم تفهم (حياة) شيئًا، لا تعرف كيف ترد عليه، إنها واثقة أنه شخص غريب الأطوار، ولكنه يحتوي على كاريزما تجعلك تنجذب له.

- حسنًا يا (آدم) أعتقد أن هذا يكفي.

قالت تلك الجملة (عايدة) وهي تنهض من مكانها وتمسك بذراعه وكأنها تجبره على النهوض من أمام (حياة).

أحس (آدم) بما فعل، لقد لام نفسه على هذا التصرف الأحمق والمتهور، لم يكن يقصد أن يفعل هذا، ولكن هناك شيء ما في داخله دفعه للقيام بذلك، إنه ذلك الشيء الذي يخشاه (آدم) من الظهور مرة أخرى.

- أعتذر عما حدث للتو أعتقد أنكن تردن أن تكملن الحفلة، وأنا عند وعدي، سوف تبدأ الحفلة بعد لحظات.

الجميع مشاعرهن متناقضة يردن أن يبقين ليرين الحفلة التي ستبدأ بعد لحظات، وفي نفس الوقت يردن الرحيل؛ لأن الأمور بدت مقلقة لهن، هن لا يعرفن هذا الشخص جيدًا، ويبدوا أنه يوجد شيء خطأ، يردن أن تقول إحداهن هيا لنرحل ليذهبن جميعا.

- شكرا يا (آدم)، ولكن أعتقد أنه وقت الرحيل لنا، أليس كذلك؟

قالت (عايدة) تلك الجملة وهي تترك ذراع (آدم) لتمسك بذراع (ياسمين) حتى تنهض من مكانها لينهض الجميع وراءها معلنين انصرافهم وعدم انتظارهم الحفلة التي ستبدأ.

أما (حياة) فقد ظلت مكانها وقالت:

- أريد أن أكمل الحفلة إلى النهاية، أليس هذا ما وعدتني به يا (عايدة)؟

ردت (عايدة) عليها بقوة وقالت لها:

- لا يا (حياة) إن (آدم) يريد أن يستريح فهو قد وصل منذ ساعات فقط من السفر، وأعتقد أنه يحتاج إلى بعض الراحة.

نظر (آدم) إلى (عايدة) وقال:

- (عايدة) أرجوك فلتبقي بعض الوقت فقط، أريد أن أعوض أميرتي (ياسمين) عما حدث لها في الحفلة.

ردت (زينة) على (آدم) بالنيابة عن (ياسمين) وقالت:

- لا نريد أن نتعبك يا (آدم) وتأكد أننا سنلتقي ثانية قريبًا جدًّا.

(حياة) تريد البقاء، ولكن كل الظروف تقول إنهن سيرحلن، عليها أن تستسلم للأمر الواقع، سترحل الآن، ولكن يجب أن تلتقي بـ(آدم) هذا ثانية.

- لكم ذلك، ولكن أتمنى ألا تكن قد انزعجتن مما حدث.

ردت (عايدة) بكل تلقائية وقالت:

- لا تقلق يا (آدم)، إنه شيء خارج عن إرادتنا جميعًا، وسوف نتقابل الأسبوع المقبل في مقابلة العمل هذه، أليس كذلك؟

ابتسم (آدم) ابتسامته المعهودة وقال لها:

- لا تقلقي، لقد وعدتك وأنت تعرفينني جيدًا، أبدًا لا أخلف وعدًا.

هَمَّ الجميع بالخروج من القصر، ولكن أخرت (حياة) نفسها عنهن حتى رجعت إلى جوار (آدم) وهمست له:

- ينبغي أن نلتقي مرة ثانية، فأنا لم أكتشف كل شيء عنك.

رد عليها (آدم) الذي كان فرح بمحادثتها معه وقال:

- لقد كنت أريد أن أطلب منك هذا، ولكنني كنت قلقًا من رد فعلك على تلك الكلمات، ولكنك أرحت قلبي بكلمتك هذه.

ضحكت (حياة) وكان قلبها يطير فرحًا وسعادة.

علي الرغم من أنهما لم يتعد بضع ساعات على لقائهما ببعضهما، ولكنها أحست أنها تعرفه من زمن، حتى أن قلبها كان يرقص فرحًا عندما أعلمها أنه أيضًا يريد التحدث معها بشكل منفرد، وكانت تردد: هل بدأ حلمي بالتحقق الآن، هل ساترك حياتي القديمة بعد كل هذا العذاب؟

و لكن كان هناك من يتأخر حتى بقي بجوار (آدم) أيضًا، إنها (عايدة) يبدو، أنها تريد أن تقول لـ(آدم) شيئًا على انفراد.

تقدمت (حياة) لتلحق بوالدتها وعمتها و(ياسمين)، أما (عايدة) فأوقفت (آدم) وقالت له:

- أريد أن أحدثك في أمرين.

حك (آدم) يده في شعره وقال لها:

- أعرفهما.

- إذًا ما هما؟

- الأول: أن لا أقول لـ(هشام) أنك كنت هنا؛ لأنه لا يعرف أنك ما زلت صديقتي، وإذا عرف هذا ستحدث الكثير من المشاكل الكبيرة لك، على الرغم أنه لا يوجد كلام بيني وبينه، فأنت تعرفين أنه يكرهني.

صفقت له (عايدة) وقالت له:

- حسنًا يا شارلك هولمز زمانك، كنت مصيبًا في الأولى، ماذا عن الثانية؟

- أما الثانية فإنك قد تعمدت أن تأتي بـ(حياة) خصوصًا هنا لأتعرف عليها، ففي وجهة نظرك أني وهي نحتاج إلى بعضنا البعض للتعويض عن كل مآسي تلك السنين التي عشناها، وفي هذه الحالة فإنك خائفة على (حياة) جدًا، وتخشين عليها من العديد من الأشياء أليس كذلك؟

نظرت له (عايدة) بانبهار، ما زال هذا الفتى يدهشها في طريقة تفكيره، أحيانًا تعتقد أنه يستطيع قراءة الأفكار، وكل ما يفعله هو قراءة أفكارها.

- لا أعتقد أنني يمكن أن أضيف شيئًا على ما قلت يا (آدم)، لقد أحسنت التحليل والتفكير.

- أعتقد أني أتعلم منك يا دكتورتي العزيزة

- بل جميعًا نتعلم منك يا (آدم) بيه.

ضحك الاثنين معًا، ولكن قطع صوت ضحكتهما صوت (إيمان) وهي تنادي على (عايدة) لكي يستقللن السيارة لينصرفن إلى البيت.

انطلقت السيارة، ولكن هناك عينان معلقتان على (آدم) وهو يقف في وسط الطريق المؤدي إلى القصر، وهو يبتسم لها ويرفع يده إلى السماء ويتمتم ببضع كلمات لم تستطع سماعها أو فهمها، إنها (حياة) التي ستبدأ الحياة.

إن (هشامًا) يجلس على أحد المقاهي منتظرًا ظهور (آدم) الذي وعده بإرجاع (أحمد)، وفي المقابل ترك (سارة) وعدم المساس بها أو الارتباط بها.
إن ذلك المجنون (آدم) على أتم الاستعداد لفعل أي شيء من أجلها، ولكنه لا يعلم أن نهايته على يدي.
أين أنت الآن يا (أحمد)؟ لماذا انجرفت وراءه؟ لقد قلت لك: فلتعطله فقط ولا تستفزه، أنت لا تعلم مع من تتعامل.
أين أنت يا ابن الملعونة، لماذا كل هذا التأخير؟ أقسم بالذي خلقني لو حدث شيء لـ(أحمد) أن تدفع الثمن من دمك ودمها.
إن (آدم) يظهر من بعيد، ولكنه بمفرده، أين هو (أحمد) لماذا لم تأتِ به، ماذا فعلت به يا (آدم)؟!
يترك (هشام) مكانه من على المقهى ويركض بسرعة ناحية (آدم)، وقبل أن يتكلم (آدم) عاجله (هشام) بلكمة قوية في وجهه أسقطت (آدم) على الأرض.
لم يتعجب (آدم) مما فعله (هشام) ولكنه لم يكن يتوقعه.
- إن قبضتك قوية، ليس من الغريب أنك أخوه.
وضع (آدم) يده على فمه وجده يسيل من عليه الدماء، فنظر له من مكانه على الأرض وهو يبتسم.
أمسك (هشام) طرف قميص (آدم) وكوم يده استعدادا للكمة أخرى وقال بلغة تهديد:
- لماذا لم تأت بأخي (أحمد) يا (آدم)؟
قال (آدم) وهو ما زال يبتسم:
- لأنك متخلف ودائمًا ما تعتقد أنك الأذكى يا (هشام)، ولكن دائمًا أنا متفوق عليك بخطوة.
- أين (أحمد) يا (آدم) لن أكرر هذا السؤال ثانيًا؟
أمسك (آدم) بيد (هشام) وأنزلها من عليه وقال له:
- إن أخاك في المنزل الآن، فلتذهب لتراه.
بعد أن ترك (هشام) قميص (آدم) أمسك بذراعه وقال له:
- سوف تأتي معي إلى منزلي لترى ذلك.
ضحك (آدم) باستهزاء وقال لهشام:
- ألا تثق بي يا (هشام).
- منذ متى يثق البشر بالشياطين.
- شياطين!!!!!!!!! ذكرني هكذا من قتل (سعيدًا)؟

احمرّ وجه (هشام) وهو ينظر لـ(آدم) إنه الوحيد الذي يعرف أن (هشامًا) هو من قتل (سعيدًا)، إن (آدم) كان يعرف ما يخطط له هشام.

****

- إن (سعيدًا) يحبك يا (آدم)، وسيكون مسرورًا عند سماع صوتك.

- أعلم هذا لذلك من فضلك لا أريد أن يدخل معي أحد، أو أن يدخل علينا.

- حسنًا، ولكن حاول أن تخرجه من حالته تلك، إنه لا يعرف ماذا يفعل.

ثم انهارت والدة (سعيد) من البكاء، إنه ابنها رغم كل ما يفعله من مشاكل وخناقات وذهابه لمركز الشرطة في العديد من المرات، ولكن يظل قلب الأم هو القلب الوحيد الذي يخاف على أولاده، إنه قلب لا يمكن تعويضه.

طَيّب (آدم) بخاطرها وهو يقول لها:

- لا تقلقي فأنت تعلمين أني مثلك أخاف عليه أيضًا، ولم أكن أتمنى أن أراه في مثل تلك الحالة.

- أعلم ذلك يا بني، فأنت مثل (سعيد)، لقد تربيتم مع بعضكما، وأنت ابني كما هو ابني.

- و أنا سأعمل جاهدًا لأخرجه مما هو فيه، والآن سأدخل إليه.

ترك (آدم) والدة (سعيد) تمسح دموعها وطرق على الباب عدة طرقات قبل أن يدخل إلى الغرفة الموجود بها (سعيد).

مشي بخطوات ثابتة إلى حيث ينام سعيد. أقفل (آدم) الباب بهدوء، إن (سعيدًا) مستيقظ، ولكنه لا يعرف من دخل عليه، ينتظر حتى يتكلم هذا الضيف ليعرف من هو.

و لكنه أحس بجلوس أحدهم على السرير، وكان الصمت هو السمة السائدة في الموقف.

- كيف حالك يا (سعيد)؟

لقد جُنّ جنون (سعيد)، لو كان له عينان لقلنا: جحظت عيناه من المفاجأة، ولكن لا يوجد له عينان.

ماذا تفعل هنا ابعد ما فعلت بي تمتلك الجراءة لتأتي إلى هنا.

- اهدأ يا صديقي، أعلم في ماذا تفكر، ولكني جئت لكي أزف لك خبرًا سارًا.

ما هو هذا الخبر السار هل سترجع لي نظري ولساني مرة أخرى بعد أن أخذتهم مني.

- إن ظنك خطأ، فما حدث لا يمكن أن أصلحه، ولكن الطريقة الوحيدة لترتاح هي بالموت.

ألم تقل أنك لن تقتلني وستتركني هكذا معذب إلى الأبد.

- ولكن ليس أنا من سيقتلك، هناك شخص يريد أن يرد انتقامه الشخصي منك، وسوف يستغل ما حدث لك ليقتلك.

الآن الجميع يريدون قتلي، إن الجمل إذا وقع تكثر سكاكينه، ولكن لماذا تخبرني بهذا الأمر.

- الآن أنا سأضع شيئًا صغيرًا في غرفتك لأمسك بهذا الفأر أثناء قتلك.

إن (سعيدًا) الآن يضحك بشدة، هل ستضعني يا (آدم) كطُعْم، سأكون طُعْمًا في المصيدة التي ستمسك هذا الفأر.

- فلتنظر للأمر من ناحية أخرى، هو أنه سيريحك من عذابك، وأنا سوف أريه أنه لا شيء بالنسبة لي.

فقط أرجع لي لساني وسوف أخبره أنه لن يستطيع الوقوف في وجهك، إنك كالنار المشتعلة التي لا يقف في وجهه شيء.

نهض (آدم) من مكانه وبدأ في التجول في الغرفة حتى وجد مكانًا مناسبًا جدًّا، مدَّ يده في حقيبته وأخرج منها شيئًا صغيرًا، إنها كاميرا تعمل بـ(الواي فاي) وخبأها في أحد أركان الغرفة.

ثم ذهب إلى (سعيد) الذي لم يتحرك من مكانه، ولكنه كان يضحك بشدة.

- الآن انتهيت من هنا يا صديقي، سأذهب الآن، ولكن اعلم أننا سنلتقي قريبًا، وسوف يكون في ظروف أحسن من هذه.

ترك (آدم) (سعيدًا) وهو يضحك وخرج من عنده، قابلته في الخارج والدة (سعيد)، إنها فرحة جدًّا لأنها سمعت صوت ضحك ابنها من الداخل، إنه لم يضحك منذ حدثت له تلك المصيبة.

طبطب (آدم) على كتفها وقال لها:

- كل شيء سيكون على ما يرام، إن (سعيدًا) أقوى من أي شيء آخر.

تكمل والدة (سعيد) البكاء ويتركها (آدم) ويرحل.

ألقى نظرة أخيرة على ذلك المخبر الذي تم تخديره ولا يلاحظ أي شيء يحدث حوله، حيلة جيدًا يا (هشام)، ولكنها قديمة جدًّا.

****

- نعم لقد قتلت سعيدًا، ولكن صدقني أنا أرحته من عذابه، ألم ترى ماذا فعل به أصدقاؤه.

ضحك (آدم) بشدة حتى أنه لم يستطع أن يمسك نفسه، فوقع على الأرض ثانيًا بعد أن كان على وشك الوقوف.

- أصدقاؤه، هل تصدق أن هؤلاء المتخلفين يستطيعون أن يفعلوا شيئًا بمثل هذه الدقة؟

(هشام) لم يفكر في الموضوع من قبل، إن كلام (آدم) صحيح، إنهم بالكاد يستطيعون الكلام.

إن آخر شيء يستطيعون فعله هو القتل فقط، فكيف لهم أن يقوموا بتعذيبه بكل تلك الدقة.

- فلتنظر إليّ يا (هشام)، إن الذي حدث لـ(سعيد) قال الأطباء عنه إنه يحتاج إلى خبير جراحة وأدوات مخصوصة لفعل ذلك الأمر.

- ماذا تقول؟

- أقول هل ما زلت تعتقد أن هؤلاء الأغبياء الذين لا يستطيعون كتابة حتى أسمائهم سوف يفعلون هذا بـ(سعيد)؟

- قد يكونون استعانوا بأحدهم ليفعل ذلك معهم.
- هل تصدق نفسك؟ وإذا كانوا استعانوا بأحدهم هل يمكن أن تقول لي أين هم الآن؟ لماذا لم يظهروا حتى الآن؟
- إنهم خائفون من الشرطة؟
- شرطة!!! أنت تضحكني مرة أخرى.
- إذا هل تعرف أنت أين هم؟
ضحك (آدم) ضحكة شيطانية وقال له:
- لقد جعلتهم يسبقون (سعيدًا) إلى الحياة الأخرى.
يا إلهي!!! ما هذا المجنون!!! هل يقول لي أنه قتل أكثر من عشر رجال جميعهم من رجال العصابات.
أعتقد أنه يمزح لكي يخيفني منه، ولكن أين هم حقًّا؟
لماذا لم يعاودوا الظهور مرة أخرى، حتى ولو واحد منهم.
لقد مضت فترة طويلة وأعتقد أن الموضوع تم نسيانه، بالإضافة إلى أنه محق في موضوع قطع اللسان والعين، إنها تحتاج إلى متخصص لفعل هذا الأمر.
لطالما عرفت أن معركتي معك لن تكون سهلة، ولكني لم أتخيل أن تكون بكل تلك الصعوبة.
- هل تقول لي أنك من فعلت بـ(سعيد) هكذا؟
- أنا لم أقل شيئًا.
- وقتلت جميع من معه أيضًا.
- لم أقل هذا أيضًا.
يا إلهي!!! فلترحمني من هذا المخبول، إنه يحيرني، يجعلني أشك في قدرتي الذهنية والعقلية، إنه يمارس ألعاب ذهنية معي ليعمل على تشتيتي.
لن أنساق وراءك يا (آدم) الآن، بمجرد اطمئناني على (أحمد) عنده سوف نلعب مع بعضنا البعض.
- فلتنهض من مكانك يا (آدم) فستأتي معي إلى المنزل.
- هل ما زلت مصرًا على فعل هذا؟
- نعم فلن أتركك حتى أتأكد من عودة (أحمد) إلى البيت.
نهض (آدم) وهو يعرف أن هذا لن ينتهي على خير أبدا، فهي معركة لن تنتهي إلا بانتهاء أحد أطرافها.
إن فم (آدم) ما زال تسيل منه الدماء.
تبًا لك يا (هشام) إن لكمتك قوية، يبدو أنك لست الوحيد الذي تعلم (أحمد)، فهو أيضًا يبدو أنه يعلمك الملاكمة.

جلس (آدم) أمام بيت (هشام) وهو يمسح فمه وينظر إذا كان الدم ما زال يسيل أم لا.
بينما دخل (هشام) منزله وهو قلق يخاف مما ينتظره في الداخل.
فإذا كان (آدم) محقًّا بما حدث مع (سعيد) وعصابته، واستطاع أن يقتلهم ويفعل هذا بـ(سعيد) دون أن يخرج حتى بخدش واحد، فماذا يمكن أن يفعل بـ(أحمد).
إن هناك حركة غير طبيعية في المنزل، الجميع يركض يحضرون أشياء، لا يعرف (هشام) ما هي.
الآن تبين ماذا يحضرون، إنها أغطية، مجرد أغطية كثيرة.
والده يكلم أحدهم يبدو أنه طبيب، إنه يسمع والده يقول له:
- اعتقد أنه بخير، فقط يشعر بالبرد ويريد التدفئة.
لاحظ والده وجوده في المنزل فقال له وهو يبتسم:
- لقد عاد (أحمد) لم نعرف أين كان بعد؟ ولكنه بخير، فلتذهب لتراه.
تركه والده وهو يكمل حديثه على الهاتف.
أما (هشام) فكان يمشي ببطء شديد إلى الغرفة التي يتردد عليها الناس، إنها غرفة الضيوف.
لماذا لم يدخلوه غرفته، هذا لا يهم المهم أن يكون بخير.
وصل إلى الباب ولكنه خائف من أن يلقي نظرة، يخاف أن يجد أخاه في حالة ضعف، ولكن ليس بيده حيلة يجب أن يدخل الآن.
إن (أحمد) بخير، ولكنه يبكي.
يبكي على شيء ما، إنه خائف منه، يقولون إنه سيأتيه من أسفل سريره وفي الصالة والحمام، إنه لن يتركه.
لقد وعده أنه سيبقى معه إلى الأبد حتى يتذكر أن لا يسمع كلام أخيه.
نظر (هشام) بدهشة، ماذا يعني بكلام أخيه، ومن هذا الذي سوف يطارده إلى الأبد ولن يتركه.
اقترب (هشام) من سرير (أحمد) ووضع يده على رأسه وقال له:
- اطمئن يا أخي لا تقلق، أنا هنا، ولن يصيبك مكروه طالما أنا هنا أحميك.
بمجرد سماع (أحمد) صوت (هشام) أخذ يصرخ ويركل كل من حوله، وزاد هياجه وأخذ يصيح:
- أنت السبب، أنت من أوصلتني إلى هذا، لن يتركني مدى الحياة بسببك، ارحل عني سوف أقتلك، ارحل ارحل.
أخذ الجميع في تهدئه (أحمد) لإرجاعه لنومه.
أما (هشام) فقد انسحب ببطء إلى الخارج ودموع الغضب والحزن والقسوة تنزل من عينيه.

ماذا فعلت بك يا (أحمد)؟ أنت من طلبت مني أن أشركك في انتقامي، ولسذاجتي سمحت لك بهذا، ولكن إنه خطئي منذ البداية، أن أجعلك تواجه هذا الأفعى، إنه ليس بالسهل مواجهته، ولكني أقسم لك أني سوف أجعله يدفع ثمن هذا غالياً.

خرج (هشام) إلى الشارع بعد أن أمسك نفسه وخرج في مظهر متماسك لا يبدو عليه شيء. ذهب مباشرة إلى (آدم) دون الالتفات إلى أحد، وكاد أن يلكم (آدم) لكمة أخرى.

إلا أنه فوجئ بـ(آدم) يمسك بيديه وهو يقول له:

- فلتنم.

ثم شعر بوخزة في يده.

- ماذا تقول؟

- أقول لك: إنه حان الوقت لترتاح قليلاً وتنام.

سحب (هشام) يده من بين يدي (آدم)، ولكنه يشعر بدوار خفيف وصداع كبير، إنه يزيد بسرعة رهيبة لا يكاد يشعر بشيء، مجرد ثقل رأسه، إنه لا يقوى على الوقوف، ماذا حدث له؟ ماذا فعلت بي؟ هل لتلك الوخزة في يدي سبب في هذا؟

أجلسه (آدم) على الرصيف المقابل لبيته وسمعه (هشام) يهمس في أذنه:

- لا تقلق سوف تسترجع كل شيء بعد عشر دقائق، لقد وعدتك أن أرجع لك أخاك وها أنا قد وفيت بوعدي، من فضلك يا (هشام) فلتتركني أنا و(سارة) في شأننا الآن، ولا تتدخل مرة أخرى، وإلا سيكون عقابي أشد قسوة، ولن تلوم أحد حينها إلا نفسك.

أنهى (آدم) كلامه وهم بالانصراف، إلا أنه سمع (هشاماً) يتكلم، رجع له (آدم) ليرى ماذا يريد أن يقول، قرب أذنه من فمه ليسمع ما يقول، فوجده يقول:

- لا تعتقد أني سوف أسامحك على ما فعلت بأخي بسهولة، سوف تعاني أشد المعاناة، ولكن أعدك أنك لن تكون بمفردك، فهي ستكون معك، ولكن رحمة بها سوف أنهي معاناتها سريعًا، اما أنت فسنستمتع مع بعضنا قليلاً.

احمرّ وجه (آدم) غضباً أنه يدخلها في الموضوع، إن صراعه مع (هشام) الآن قد دخلت فيه (سارة)، و(هشام) لا ينوي أن يكون رحيمًا، إذًا يجب على (هشام) المعاناة، يجب عليه أن يتعلم الدرس، وأنا من سأعلمك الدرس.

- فلتعلم أن من يقترب من (سارة) سوف تكون نهايته على يدي، أقسم لك أن شعرة منها تسويك أنت وأخاك وكل من يتصل بك من جهة قرابة، فلتحترس مني، ولتبتعد عن (سارة)، هذا لمصلحتك.

ثم تركه (آدم) ورحل، وهو يعرف أن هذا الموضوع لن ينتهي على خير، سوف يخبر (سارة) بكل شيء لتخبره ماذا يفعل، وإلا سيتصرف هو على طريقته.

ظل (هشام) يراقب (آدم) وهو يرحل حتى اختفى عن نظره في أحد الشوارع الجانبية، الآن يعرف ماذا يفعل (آدم)، إنه يستغل ما تعلمه في الصيدلية من علم الأدوية لينفذ جميع مخططاته.

التنويم والتشريح والجراحة، إن (آدم) وصل لمرحلة تنفيذ الجريمة الكاملة، ولكن أنا لست بفأر التجارب يا هذا، وسوف نرى من سيضحك أخيراً.

بشرى حزينة

كان الجو كئيبًا جدًا في منزل (سارة)، فوالدها منذ عاد من الخارج وهو يجلس صامتًا لا يتحدث، ووالدتها لا تعرف ما أصابه، ولكن بدورها هي أيضًا كطبيعة الأم المصرية أخذت دور الحزينة أيضًا، وهي لا تعلم لماذا كل هذا الحزن، هي أيضًا لا تعرف لماذا كل هذا الحزن، ولكنها كانت تعلم أن وراءه شيئًا عظيمًا.

حاولت عدة مرات الاتصال بـ(آدم) لترى ماذا هناك، ولكنه لا يجيب، يبدو أنه مشغول بشيء ما، فقليلاً عندما لا يرد عليّ، ماذا حدث لك يا أبي؟ لقد كنت عازمًا على محادثته، والآن أنت بكل هذا الحزن أو الغضب، حقيقة لا أعرف ما يسيطر عليك الآن من هذين؟!!

سمعت (سارة) من الخارج صوت والدته تقول:

- لا تبكي يا (محمد) أعلم أن الموضوع صعب عليك، ولكن البكاء ليس حل، ولا تجعل أحد من أولادك يراك هكذا فأنت قدوتهم.

والدي يبكي!!!!! إنها المرة الأولى الذي يحدث فيها هذا، ماذا فعلت يا (آدم)، جعلته هكذا، لا أستطيع أن أتحمل كل هذا، لماذا دائمًا أنا الموجودة في المنتصف.

هل من العدل أن يتم تخييري بين قلبي وبين عقلي، إني أحتاجهما الاثنين، ولكن يجب أن أتخلى عن واحد منهما.

- لا أعلم ماذا أفعل؟ هل أستسلم لهما وأتركهما يعيشان حياتهما كما يريدان.

كان هذا رد والد (سارة) على أمها، يبدو أن ظنها في محله، إنه (آدم) الذي جعل والدها يبكي، إن بكاءه يكسر قلبها، فلتتوقف عن البكاء، فأنت تجرحني وتجعلني أشعر بالذنب.

قبل أن تخرج (سارة) له لتقف بجواره وتهدئه قليلاً سمعت صوت هاتفها يرن.

نظرت له من بعيد، وجدت رقم (آدم) يظهر على الشاشة، ركضت سريعًا لتمسك بالهاتف وتفتح قبل أن يغلق وينتهي الرنين.

- الو.

- (آدم) ماذا حدث لوالدي؟

- لا شيء لقد أتى إلى الصيدلية ولم أكن موجودًا، فاتصلت بي دكتورة (عايدة) لتخبرني أنه يريد مقابلتي، فقابلته على المقهى التي أجلس عليها دائمًا.

- ثم ماذا؟

- لا شيء تحدثنا قليلاً وأخبرته أني لن أتركك إلا إذا أردت أنت هذا.
إن (آدم) يرمي الكرة بملعبي الآن (إلا إذا أردت أنت) أنا لا أريد أن أتركك ولن أتركك مهما حييت، إني أشعر بجانبك بأمان كبير، أنت شيطاني الحارس.
- (آدم) إن أبي يبكي بشدة، ماذا فعلت غير هذا؟
أتاها صوته من الناحية الأخرى بكل براءة وهو يقول:
- أقسم لك أن هذا كل ما حدث بيني وبين والدك، لقد هددني بالحرب فقلت له: إني مستعد لها.
لا أعرف من أين تخرج تلك الأفعال الشيطانية من كل هذه البراءة، أنا أكاد أتهم أبي أنه هو الذي جرحك؛ لذلك يبكي لشعوره بالذنب على ما فعله بك.
ثم أكمل (آدم) كلامه:
- حتى أن (هشامًا) قد جاء ونحن جالسان على المقهى.
حسنًا يبدو أني سأعرف الآن ماذا حدث، إن تجمع ثلاثتهم لا يبشر بالخير أبدًا، الثلاثة يتقاتلون من أجلي، أبي و(هشام) من ناحية، و(آدم) من الناحية الأخرى، ولكن ماذا حدث؟
- لماذا أتى (هشام) على المقهى، ألم يكن يبحث عن أخيه المتغيب؟
- معلومة جديدة لك، أخوه كان معي.
لماذا لم أتفاجأ بتلك المعلومة رغم عدم علمي بها، هل لأني كثيرًا ما تفاجأت منه، أم لأنه كان شيئًا متوقعًا بالنسبة لي أنه من الممكن أن يفعل أي شيء.
- ماذا كان يفعل معك؟
- لم يكن بإرادته، إن (هشامًا) أدخله في معركتنا، وأنا كنت أخبره أن يبقى بعيدًا عنا، فتلك معركتي أنا وأخوه.
- لماذا حولت حبنا إلى معركة؟ إننا نحب ولسنا نتعارك.
- هم من فعلوا هذا، فليتركونا لبعضنا، وسنرحل عن المكان كله، سوف نختفي من الوجود كله.
- أنا احبك يا (آدم)، ولكن أرجوك ابتعد عن والدي.
صمت رهيب من الاثنين بعد تلك الجملة، هي لا تعرف فيما يفكر، ولكن معنى هذا الصمت أنه كان ينوي أن يضع والدها في شيء ما، ولكن الآن يعرف أني لن أرضى بأي شيء عن والدي.
إنه يعيد حساباته، ولكنه لا يعرف ماذا يفعل، إنه مشتت التفكير، أنا مشفقة عليه جدًا، إنه بين السندان والمطرقة، ولا يوجد أمامه حل.
سمعت (سارة) صوت غريبًا من الهاتف ما هذا؟ هل يبكي (آدم) أم يتخيل لي!!!

- (سارة) أرجوك أنا لا أعرف ماذا أفعل، أنا تائه، الكثير من الأفكار والكثير من الأسئلة، أنا رأسي تكاد أن تنفجر من الضغوطات، أنا مثل الغريق الذي أمامه الكثير من طرق النجاة، ولكنه يخاف من أن يتمسك في أحدها فتسلبه حياته بطريقة أخرى.

ثم صمت (آدم) مرة أخرى، إنه يبكي بحرقة المرة الأولى الذي يبكي فيها دائمًا، ما كان (آدم) القوي الذي لا يخاف من شيء ولا يبكي أبدًا، كان مقولته الشهيرة: إن الرجال لا تبكي، بل تقف لتواجه ما يؤلمها.

عاد (آدم) ليكمل كلامه وهو يبكي.

- أنا أريدك، لا أتحمل مجرد تخيل أن أفقدك، أنت الوحيدة المتبقية لي التي تستطيع أن تقبل (آدم) كما هو، أنا من دونك كسفينة حربية بلا قائد، كطفل مشاغب بلا أم توجهه إلى الطريق الصائب.

ما هذه القطرات التي أراها واشعر بها، هل أبكي أنا الأخرى، نعم إن دموعي لا أستطيع أن أحبسها أكثر من هذا، أبي و(آدم) أكثر رجلين مهمين لي في هذه الدنيا يبكيان.

ماذا ستفعلين يا (سارة) بعد أن كان هناك شخص واحد فقط يبكي، صارا اثنين وأنت ثالثتهما، هل ستقفين مكتوفة اليدين، أم ماذا، الآن أنت في موقف لا تحسدي عليه.

- (سارة) أرجوك لا تتركيني، لا أريد خسارتك، لا تتركيني هكذا دون كلام، فلتتحدثي إلي، إني أحتاج لصوتك ليطمئنني، وليقول لي أن الحياة ما زالت بخير.

اخذت (سارة) في مسح دموعها ومحاولة جمع شتات نفسها، إن (آدم) يحتاجها الآن، ويجب أن تكون هي القوية في هذه اللحظة، لقد تبادلا الأدوار الآن.

- لا تقلق يا دودي، أنا هنا، أعدك أن لا أتركك مهما حدث، وحتى لو كلفني هذا الوعد حياتي لن أتركك.

سمعت ضحكة (آدم) البريئة من الهاتف، إنه يبتسم الآن، هي تعرف هذا، تستطيع الإحساس بضحكته، ولو كانا في عوالم مختلفة.

قال (آدم) بطريقة مرحة:

- حسنًا ما دمت لن تتركيني أبدًا، سأقول لك ما كنت أخفيه عنك.

ضحكت (سارة) وهي تعرف أن (آدم) خرج مما هو فيه نسبيًا، وسوف يجعلها تلومه على أي شيء الآن حتى يضحكا.

- حسنًا، فلتخبرني ما تخفيه عني.

- هل تعرفين لماذا أخذت أحمد؟

- لا لا أعرف.

- لأن (هشامًا) أرسله لكي يؤخرني عندما كنت قادمًا إليك، وهشام كان موجودًا عندكم يوم الخميس الفائت.

أكمل (آدم) حديثه دون انتظار أي رد منها:
- لكي لا أقوم بأي مشكلة، ولكن (أحمد) تطرق إلى مواضيع أخرى، لقد أثار غضبي، لم أستطع القدوم إليك لتخريب ما يقوم به هشام.
إن (سارة) تستمع وهي تعرف لماذا كان (أحمد) مع (آدم) فعلاً لم يكن بإرادته، ولكنها تريد أن تستمع إلى ذلك من (آدم) فعلى الرغم من معارضتها الشديدة لما يقوم به (آدم) وأنها هي من تمنعه من القيام بذلك، ولكنها تجد المتعة في أفكاره وسماعه، وهو يحكي خططه أو ما كان يقوم به، تشعر أنها تحب عبقريًا لا يوجد شبيه له على وجه الأرض، لكته يوجه ذكاءه في منطقة خطر.
- لقد تركت (أحمد) يفعل ما يحلو له حتى تركني أذهب، وفي اليوم التالي عملت على استفزازه حتى أرسلت له أن (هشامًا) أخاه في خطر لكي يأتي للبحث عنه، وقد كان ما أريد.
****
- ماذا تقول يا أيها الطفل؟
كان (أحمد) يمسك بطرف أحد الأطفال المتشردين وهو يصرخ فيه لكي يتكلم، وكان الطفل خائفًا وأخذ يقسم له وهو يقول:
- اقسم لك هذا ما قاله لي؟
- قال لك ماذا أيها المتشرد؟
- لقد أعطاني نقودًا لكي آتي إليك وأقول لك: إذا أردت أن تنجد أخاك فلتقابله عند الموقع في الجهة الشرقية، إن أخاك معه هناك.
ترك (أحمد) الفتى في الأرض بعنف، وبمجرد أن تركه أخذ الفتى يركض وهو يطلق السباب لأحمد بكل الأشكال والألوان، لو أن (أحمد) متفرغ الآن لكان علقه من رجليه حتى يتبول على نفسه.
(أحمد) حقًا قلق على (هشام)، هل من الممكن أن (آدم) سيفعل به شيئًا، إن به جنون العظمة، يجب أن أذهب لمساعدة (هشام)، ولكن سأتصل به أولاً لأرى إذا كان كلامه صحيحًا أم لا.
حاول (أحمد) الاتصال بـ(هشام) عدة مرات، ولكن هاتفه كان مغلقًا، يبدو أن كلام هذا الفتى كان صحيحًا، فلتصمد يا (هشام)، فأنا قادم إليك.
وصل (أحمد) إلى المكان المطلوب، إن المكان مخيف جدًا، لماذا دائمًا يختارون الأماكن المهجورة التي تبعث في روحك الخوف، لماذا لا نتقابل في أحد الميادين وليفوز الشخص الأقوى.
يتوغل (أحمد) في حقول الذرة، إنه لا يعرف طريقه جيدًا، ولكنه يرى أعلى الموقع، لذلك هو يعرف إلى أين سيتجه ليصل للموقع.

شعر (أحمد) بصاعقة كهربائية كبيرة في ظهره، إن وزنه يختل ليقع على الأرض، حاول المقاومة، ولكن أصابته صاعقة مرة أخرى جعلته غير قادر على الوقوف، إنه على الأرض الآن فعليًا.

يري شخصًا في الظلام يقف فوق رأسه، هل هذا الذي صعقه أم هو موجود لنجدته.

إن هذا الشخص يفرغ شيئًا على وجه (أحمد)، يحاول (أحمد) التحرك، ولكن يبدو أن جسده أصابه شلل من قوة الصاعقة، إنه يشعر بدوار شديد، الآن لقد جئت لأنقذ (هشامًا)، ولكن الآن أنا من أحتاج للإنقاذ.

يقترب هذا الشخص بوجه من (أحمد) يفزع (أحمد)، وأخذ يصرخ، لكن صوته لا يخرج.

يا الله ما هذا الشيطان؟! أريد الخروج من هنا، فلتخرجوني من هنا، إن يده مليئة بالمخالب، وهناك قرون على رأسه ووجه أسود أشد من ظلام الليل.

يشعر (أحمد) بمخالبه توضع على رقبته، يوجد وخزة بسيطة في رقبته، ولكنه يشعر بالهدوء، إنه يشعر بالنوم، يريد أن ينام، لا يستطيع المقاومة، آسف يا (هشام) لن أستطيع أن أقدم شيئًا لك.

إن عيني (أحمد) تفتح لا يري شيئًا، لو لم يكن يري ذلك الضوء البعيد لقال إنه أصبح كفيفًا، لكن أين هو، في الأساس لا يعرف مكانه، إن المكان مظلم لدرجة كبيرة، لا يمكنك أن ترى شيئًا سوى ذلك الضوء.

حاول أن يحرك جسده، لكنه يشعر بثقل كبير في جسده، إن الشيء الوحيد الذي يستطيع التحكم به هو عينيه، أما باقي جسده فهو مشلول، حاول جاهدًا أن يحرك جسده، إنه لا يتحرك، ولكن هناك شيء غريب، إن الضوء الذي في نهاية الممر الذي يراه، إنه يتحرك.

نعم إنه يتحرك ناحيته، إنه يريد النهوض من مكانه، ولكنه لا يستطيع، إن الضوء يقترب بشدة منه.

وعندما كاد يصل له هذا الضوء اختفى، ما هذه اللعنة؟ أين أنا؟ ومن هو صاحب هذا الضوء؟ هل هو نفسه الذي قابلته قبل أن أفقد الوعي أم ماذا؟

- ما الذي أتى بك إلى هنا؟

سمع (أحمد) هذا الصوت من ورائه، إنه خائف يريد الصراخ أو الركض، لكن جسده لا يريد أن يسمع كلامه، إنه ميت.

لم يجد (أحمد) أنه يستطيع فعل شيء سوى الدعاء وقراءة القرآن بسرعة شديدة، وهو يبكي ويتوسل إلى الله لكي يخرج من هذا المكان.

و لكن الصوت أعاد عليه نفس السؤال مرة أخرى.

- ما الذي أتى بك إلى هنا؟

إنه الآن يستجمع قواه للإجابة على الصوت، فقال وهو يرتجف:

- من أجل أخي.
فقال هذا الصوت:
- أخوك (هشام)؟
إنه يعرف (هشامًا)؟؟؟؟ كيف يعرف (هشامًا) من هذا الذي يعرفه؟ سأله (أحمد) بصوته المرتجف:
- من أنت؟
فقال الصوت:
- أنا عدو (هشام)، لقد أرسلت إلى هنا من أجل أن تدفع ثمن ما يفعله، لقد فعل الكثير من الأشياء الخاطئة، وحان وقت رد الدين.
- أرجوك أنا لم أفعل شيئًا؟
- ولكنه فعل، وسوف تنال العقاب بدلاً منه.
إن الضوء عاد مرة أخرى، إنه الآن يرى نفس الشكل الذي رآه قبل أن يفقد الوعي، ولكن هذه المرة عيناه حمراء، ومخالبه طويلة جدًّا.
إن (أحمد) يشعر ببرودة في أطرافه، ماذا يحدث الآن، يبدو أن تلك البرودة تأتي من مخالبه مكان وضعها، يشعر بتلك البرودة، ثم أخرج من أحد الأماكن بجواره سكينًا.
أخذ تلك السكين وأخذ في تشريح جسم (أحمد)، إنه لا يستطيع تحمل الألم، أخذ يصرخ بكل قوة وهو يقول:
- ماذا فعلت يا (هشام) من أجل كل هذا، أرجوك فلترحمني أنا خائف.
وأخذ يصرخ وهو يشعر بذلك الألم، ثم فجأة أحس أنه يفقد الوعي، وفعلاً فقد الوعي.
عيناه تفتحان مرة أخرى، إنه نفس شعور المرة الأولى، لا يري شيئًا سوى هذا الضوء، ولا يستطيع التحرك، ولكنه رأى أن الضوء ينتشر بشدة، وعند كل ضوء يرى شخصًا واقفًا يلبس السواد، وله قرون كقرون الماعز، ما هذا بحق الجحيم، ما الذي أدخلتني فيه يا (هشام)، أنا أكرهك يا أخي أنا أكرهك.

****

قالت (سارة) في نبرة حازمة:
- وبعدين يا أستاذ (آدم) ماذا حدث؟
ضحك (آدم) على طريقتها في الكلام أنها بريئة كما عهدها دائمًا، لم تكن تتصنع في يوم من الأيام، دائمًا ما تكون على طبيعتها.
قال لها (آدم) وهو يضحك:
- لا شيء عندما تفاهمنا أنا و(هشام) أعدت له (أحمد).
- هل أصابه مكروه؟

- لا لم يصبه شيء، لقد كنت أعطيه بعض الحقن المخدرة، وبعض أدوية الهلوثة التي تجعله يري أشياء ليست موجودة على أرض الواقع، وكنت أساعد مفعولها ببعض المؤثرات التي صنعتها خصيصًا له.

سكتت (سارة) قليلاً فسألها (آدم).

- في ماذا تفكرين يا (سارة)؟

- هل تعتقد أن (هشامًا) سيتركنا في حالنا بعدما فعلت في (أحمد)؟

- لا أعتقد ذلك، سوف يحاول الانتقام منا.

- أنا خائفة جدًا يا (آدم)، أخاف أن أفقدك، أو أن أفقد أبي، أو أن أفقد نفسي.

- لا يوجد داعٍ للخوف، فـ(هشام) يعرف الآن ما الذي أستطيع فعله، لقد ذاق سم الثعبان، وسيفكر ألف مرة قبل أن يقترب منه مرة أخرى.

- أتمنى ذلك، يجب أن أذهب الآن لأجلس قليلاً مع والدي، فهو أيضًا يحتاجني.

- فلتذهبي إذًا، ولكن فلتعتني بنفسك من أجلي.

- إلى اللقاء.

أقفلت (سارة) الخط مع (آدم) وهي تعرف أنها أصلحت الأمور مع أحد طرفي المشكلة الموجودة في حياتها الآن، ستخرج لتجلس مع والدها قليلاً لتهدئه هو الآخر.

بمجرد خروج (سارة) من غرفتها ورؤيتها لوالدها، وقبل أن تتحرك خطوة أخرى رآها والدها فترك لها الصالة ودخل إلى غرفته.

تبعته (سارة) إلى الداخل وقبل أن تتكلم قال له:

- أرجوك لا أريد التحدث الآن مع أحد.

- هذه أنا فتاتك المدللة (سارة) ألا تريد التحدث معي.

نظر لها والدها بنظرة حزينة، ثم أشار لها بيده لتجلس أمامه على السرير.

أحست (سارة) أن عليها أن تبدأ في الكلام لتحمل عن والدها عبء البداية، ولكنها لم تكن تعرف كيف تبدأ أو ماذا تقول، ولكنها ابتدأت الكلام قائلة:

- كيف حالك يا أبي أتمنى أن تكون بخير.

هز والدها رأسه أي نعم أنه بخير.

سألته (سارة) مرة أخرى:

- لماذا كل هذا الحزن يا أبي؟ أنا لم أرك حزينة إلى هذه الدرجة أبدًا.

نفس النظرة من والدها دون كلام، أحست باليأس من أي كلام منه، ولكنها صممت على المضي في الكلام والأسئلة فهو والدها.

- هل تحدثت مع (آدم) يا أبي؟

لأول مرة في هذا الحديث أجاب عليها بكلمة واحدة، وقال لها:

- نعم.
فرحت (سارة) لإحراز هذا التقدم، ها قد بدأ يجيب على أسئلتي.
- ما كان الحوار بينكما في ماذا تحدثتما؟
بدأ والدها يخرج من جو الحزن ويأخذ أطراف الحديث معها، وبدأ يجيب عليها، فهو يريد أن يحكي لأحد كل شيء بداخله، ويعتقد أنه لا يوجد أفضل من ابنته الحنونة لهذا الشيء.
- لم يكن حوارًا طويلاً، ولكنه يريدك فعلاً، ولن يتخلى عنك بسهولة، ولن يستطيع أحد الوقوف في وجهه.
فرحت (سارة) جدًا بهذا الكلام، فمن ناحية والدها يتحدث ويتكلم معها بكل صراحة، ومن ناحية أخرى (آدم) لم يتراجع عن كلامه حتى في مواجهة (هشام) وأبي، وأثبت للجميع أنه لن يتخلى عني، لكم أعشقك يا (آدم)، وأعشق تحديك للجميع من أجلي.
- و ماذا ستفعل إذًا يا أبي في كل هذا؟
نظر والدها إليها نظرة فخر، لم تكن لتتوقع أن ينظر إليها هكذا أبدًا في مثل هذا الموقف، إن والدها حدث له شيء جعله هكذا أم ماذا. قال لها والدها بعد أن تبدلت نظرة الحزن أو الانكسار التي كانت في عينيه إلى ابتسامة خفيفة واثقة وقال لها:
- لقد أحسنت اختيار من سيحميك يا بنيتي، أنا فخور جدًا بك يا (سارة).
فرحت (سارة) جدًا من التغير المفاجئ لموقف والدها، ما الذي حدث حقيقة، لم كل هذه الأحداث السعيدة، وهل أحلم أم ماذا؟
قالت (سارة) فرحة وهي يكاد قلبها يقف من الفرحة:
- لماذا كل هذه التغييرات يا أبي، ولماذا أنت فخور بي لكل هذه الدرجة؟
- عندما تحدثت مع (آدم) اليوم ورأيت ما يمكن فعله تأكدت أنه سيستطيع حمايتك.
سكت والدها برهة من الوقت قبل أن يكمل وهو يمانع دموعه من السقوط أمامها.
- أما أنت فإمكانياتك التي حولت هذا الوحش إلى أرنب بريء لا توجد له مخالب من أجل ألا يجرحك أنت قبل أي شيء، إن الشيطان يا ابنتي أول من يوسوس لهم هم أبناؤه وأحباؤه ليسيروا على خطاه، ولكن الشيطان الذي يتخلى عن أفعاله ووسوسته من أجل من يحب يستحق أن نكون بجواره مهما حدث إلى الأبد.
كيف يقول أبي هذا عن (آدم)، إنه أبدًا لم يكن يحبه، كان يكره اليوم الذي تأتي فيه سيرة (آدم) في أي موضوع، هل مجرد نقاش بسيط بينهم يحول أبي كل هذه الدرجة.
- هل أنت واثق مما تقول يا أبي؟
- نعم أنا واثق مما أقول، فلتجعلي (آدم) يتقدم لك، وسوف نتمم كل شيء في الحال، ولكن يجب أن يحصل على موافقة أهله.

أخذت (سارة) تقفز من الفرحة كانت تعتقد أنها ستموت قبل أن تسمع والدها يقول لها هذه الكلمات، حضنت (سارة) والدها بقوة وهي تبكي وتقول له:

- أنا أحبك، أقسم لك أني لم أكن في يوم من الأيام لأفعل أي شيء يغضبك، حتى هذا الأمر أنا أحبك أكثر من أي شيء آخر في هذه الدنيا.

طبطب عليها والدها وقال لها:

- وأنا أيضًا أحبك ومصلحتك عندي دائمًا ما تكون في المقام الأول، وإذا كانت مصلحتك معه إذًا فلا يوجد عندي مشكلة، ولكن أقول لك شيئًا بيني وبينك؟

- نعم فلتقل.

- أنا أحبك أكثر منه، أكثر من أي شيء في حياتي، حتى أكثر من أمك.

ضحكت (سارة) بشدة، وهو ابتسم على ضحكتها، ثم أكمل كلامه وقال لها:

- أما أنت فتحبين (آدم) أكثر مني أليس كذلك؟

قبلته (سارة) على خده وقالت له:

- لا أنتما الاثنان متساويين عندي.

ثم أتبعت كلامها وقالت له:

- هل يمكن أن اذهب لأبلغه الآن بهذا الخبر السعيد؟

ابتسم والدها وقال لها:

- فلتذهبي إليه، فأنا لست خائفًا عليك بعد الآن.

خرجت (سارة) مسرعة من الغرفة وهي تتجه إلى غرفتها، كانت تخبط في أشياء عديدة، ولكنها لم تكن تلقي لها بالاً، المهم الآن الوصول للهاتف للاتصال بـ(آدم) لأخبره بكل ما حدث.

و لكن يبدو أن (آدم) كان يواجه مشاكله الخاصة التي لم يكن يعمل لها حسابًا.

الآن هو مستعد للانتقام، لقد جهز لكل شيء، لم يعد أمامه إلا أن يقودهم إليه، (حسن) وعصابته من أشد مجرمي المنطقة يجلسون في أحد المقاهي يحتسون شيئًا ما، وأمامهم كمية كبيرة من الحشيش والأقراص المخدرة كفيلة بتضييع شباب شعب كامل وليس منطقة واحدة.
يشتد النقاش بينهم ثم يهدأ، هكذا هي نقاشتهم لا يفوز فيها الأذكى ولا الأقوى، ولكن الأشد قسوة، الذي يكون مستعدًا للتضحية بنفسه من أجل قرص واحد مخدر.
يبدوا أنهم يقسمون على أنفسهم الكمية الموجودة أمامهم لتوزيعها على المناطق المختلفة، (حسن) هو من يقسم بينهم، ومن يعترض على تقسيمه يتعرض للسباب أو الضرب.
انتهى (حسن) من التقسيم على الجميع بعضهم راض عن نصيبه، والبعض الآخر يرى أنه يوجد ظلم في هذا التوزيع، ولكنه لا يجرؤ على الاعتراض على (حسن).
أطلق (حسن) سبة لعينة لأحدهم قبل أن يقول له:
- ألا ترانا نعمل؟ لماذا لم تلف لنا سيجارتين حشيش؟
ارتبك هذا الشخص وقال له:
- ماشي يا ريس، ثانية وتكون السيجارتان معك.
أعطاه (حسن) قطعة منه وقال له:
- اعملها من هذه؛ لأنها نوعية أفغانية معتبرة، سوف تحلفون بها.
أخذ منه هذا الشخص قطعة الحشيش ونظر لـ(حسن) فعرف ماذا يريد، قال له حسن:
- افتح فمك.
فرح هذا الفتى كثيراً وبسرعة رهيبة كان يفتح فمه ويقترب به من (حسن) الذي أعطاه إحدى الأقراص التي كانت متواجدة أمامه، ثم أعطى كل الجالسين قرصًا، وكانوا في منتهى السعادة لحصولهم على هذا القرص مجانًا.
كان هناك من يجلس بعيدًا ليتابعهم، لم يكن (حسن) ومن معه يتحرون الدقة فيمن ينظر لهم؛ لأنه لا أحد يستطيع أن يفعل معهم شيئًا.
كانوا مثل الوحوش الإغريق الذي لا يقترب أحد منهم وإلا يكون ميتًا أو معذبًا وهائمًا في الأرض.
إلا هذا الشخص، كان دائمًا يتتبعهم ليعرف اللحظة المناسبة لتجمعهم جميعًا لفعل ما يريد.
يجلس من بعيد ليري ماذا يفعلون، يعرف أن اليوم هو اليوم الأنسب لفعل ما يريد، جميعهم مجتمعون هنا، إذًا جميعهم سوف يخضعون لقانوني الآن.
بعد أن انتهوا من توزيع العمل عليهم قال لهم حسن:

- سنذهب الآن إلى الموقع، إن الفتى زيكو أحضر لنا ثلاث فتيات لم يتعد عمرهن الخامسة عشر بعد، إنهم فاكهة الليلة، سآخذ أنا واحدة، ولتفرحوا أنتم بالباقي.

فرح جميع من معه، إن الليلة وليمة من الفتيات الصغيرات، دائمًا ما يعدها (حسن) ويشاركهم فيها.

و على الرغم أن كلام (حسن) كان على مرأى ومسمع من جميع رواد المقهى، لكن لا أحد يعترض أو يقول شيئًا، الجميع خائف من (حسن) ومن بطشه هو ورجاله.

إلا هذا الشخص، كان يبتسم وهو يقول: (فلتقرأ على زيكو الفاتحة فإنه الآن يسأل).

ترك (حسن) وجميع من معه المقهى ليذهبوا إلى الموقع، حتى إنهم لم يحاسبوا على ما أخذوه، وكان صاحب المقهى والعامل به لا يجرؤ على مطالبتهم بحساب المشروبات.

ذهبوا إلى هناك، وبمجرد دخولهم وجدوا أن هناك شيئًا غريبًا يحدث هناك، إن النار التي يشعلونها ليست موجودة، يبدو أن الغبي زيكو نسي أن يشعلها، هكذا كان يفكر (حسن).

جاء صوت من خلف (حسن) يقول:

- يبدو أن النار لم تشعل هل أنت متأكد أن (زيكو) هنا.

هذا صوت (الدهشوري) إنه ذو بنية قوية، الذراع اليمني لـ(حسن) كما يقولون، يعتبره (حسن) الحارس الخاص به، إنه يتعاطى جميع أنواع المخدرات، يمكن أن تقول عنه أنه مدمن وجد في (حسن) المنقذ له والديلر الخاص به، يبدو سليم جسديًا، ولكن عقلانيًا يشك (حسن) في هذا.

و لكن ما كان يعجب (حسن) فيه أنه ينفذ أوامره دون جدال، حتى لو قال له اقتل نفسك سوف يفعل هذا دون أدنى تردد منه.

نظر له (حسن) بطريقة جدية وقال له:

- لقد اتصل بي وقال أنه هناك منذ ساعة، ويجهز الفتيات لحفلتنا الصغيرة، حتى أني كنت أعد لك مفاجأة يا (دهشوري).

فرح الدهشوري جدًا لكم يحب مفاجآت (حسن)، إنه دائمًا ما تبهجه وتعمل على إسعاده.

- ما هي يا ريس؟

- إن زيكو أحضر لك فتى يمكنك أن تفعل به ما تشاء، سوف نترككم مع بعضكم في غرفة معدة لكم.

طار (الدهشوري) من المفاجأة السعيدة تلك، إنه يشكر (حسن) على تلك المعاملة الحسنة التي يعاملها له.

و لكن سأل (الدهشوري) مرة أخرى (حسنًا):

- إذا كان (زيكو) هنا إذًا لماذا الإضاءة منطفئة؟

قال (حسن) بطريقة غير مبالية:

- لا أعلم ولكننا سندخل ونرى.
أخذ الجميع في الدخول، ولكنهم بمجرد أن وضعوا أرجلهم داخل الموقع وجدوه مليئًا بالمياه.
استغرب الجميع وأولهم (حسن) الذي عرف أن هناك شيئًا غريبًا يحدث في المكان، أولاً النار، ثانيًا المياه، ماذا يحدث هنا!!!
إشارة من (حسن) جعلت الجميع يدخل إلى المياه ما عدا هو و(الدهشوري)، لقد وقفا خارجًا ليروا أين (زيكو)؟ وما سرّ كل تلك المياه التي كانت تصل إلى أسفل الركبة بقليل، هل حدث فيضان هنا أم ماذا؟!
الجميع يبحثون عن (زيكو) وهم ينادون عليه، ولكن بلا إجابة، تذكر أن (حسنًا) يشك في شيء ما سيحدث الآن، ولكنه لا يريد أن يقول هذا لرجاله حتى لا يعودوا أدراجهم.
وفجأة بدون مقدمات اشتعلت لمبة إضاءة في وسط الموقع.
خرج جميع من كان يبحث في الغرف سريعًا إلى وسط الموقع ليجدوا أن هناك إضاءة قوية معلقة في السقف، وهناك شخص يقف أسفلها.
إن ذلك الشخص كان يمسك عصا في يده ويرتدي قناعًا مثل الشيطان، عينان حمراء ووشاح أسود وقناع أسود، يوجد له قرون، كان ينظر إلى (حسن) نظرة ثابتة لم تتغير.
الجميع يتساءل من هذا؟؟
قال أحدهم:
- هل تمزح يا (زيكو) لقد أوقعت قلوبنا.
لم يرد هذا الشخص من الأساس وظلت عينه معلقة على (حسن)، إنه يعرف (حسنًا) جيدًا.
ساد الهرج، والجميع بدأ يخاف من منظر هذا الوحش الصامت الذي لا يتحرك حتى من مكانه.
هنا أسكتهم (حسن) بصوته الرخيم وسأل هذا الشخص:
- من أنت؟ وماذا تريد؟
رفع العصا ووجهه إلى (حسن) الذي عرف أنه يريده هو فقط، ولكن أي غبي هذا الذي يأتي إلى هنا ويعتقد أنه سيؤذيني، ولو كان معه حتى جيش كامل، إنه الآن في معقل الوحش.
صفق له (حسن) وقال له:
- لقد حققت ما تريد وجئت إلى هنا ولفت انتباهي، فلتظهر من أنت الآن وتريني نفسك:
- ألا تتذكرني يا ريس (حسن)؟
نطق بهذه الكلمات التي طمأنت الجميع، إنه ليس وحش ولا شيطان، إنه بشر، ولكن تنكره مرعب.
أما (حسن) فكان يعرف أنه شخص من ضحاياه، ولكنه لا يعرف من هو، ولكن تلك اللدغة في حرف الراء، إن (حسنًا) يعرفها جيدًا أين كان يسمعها؟!

- أنا أتذكر صوتك، ولكن لا أتذكر من أنت، فلننه هذا الأمر سريعًا وتنزل من عندك وتقول لي أين (زيكو)؟

رفع يده إلى وجهه وأخذ في إزالة القناع عن وجهه وهو يقول:

- ألا تتذكر من أنا؟ أنا من كنت تقول عنه أنه خليفتك.

عرف (حسن) من هو؟ وأين سمع تلك اللدغة، إنه (آدم).

رفع القناع عن وجهه ووجده (آدم) فعلاً، أهلا بصغيري.

ضحك (حسن) كثيراً وقال له وهو يستند على (الدهشوري):

- ألم تتعلم الدرس يا (آدم) وأنت صغير، وجئت اليوم لكي أعيد عليك الدرس مرة أخرى.

لكن (آدم) اكتفي بالرد أن قال:

- لا، بل أنا من جئت لأرد الدرس لك، إذا كان لديك ما تفعله لي قبل تلقينك هذا الدرس فلتفعله الآن.

أكمل (حسن) ضحكه وقال له:

- سوف ننهي ما بدأناه هنا الآن يا دودي.

وأمر رجاله بأن يحضروه، ولكن قبل أن يتحركوا من مكانهم وضع (آدم) تلك العصا التي كان يمسكها في الماء، وبمجرد وضعها في الماء وجد (حسن) أن جميع من في الماء أصبحت حركاتهم غريبة، إنهم لا يتحركون، ولكنهم يصعقون!!!

إن الماء يوجد فيه كهرباء، وهو يقف على مكان على لا يلمس الماء، لذلك لن يتأثر، إن الماء يحيط به من كل مكان، ولكن هو لم يعد الحساب أنني لن أدخل إلى الماء وسأنتظره هنا حتى يفرغ.

رفع (آدم) عصاه من الماء، وشاهد رجال (حسن) وهم يسقطون الواحد تلو الآخر، بعضهم أنهك، والبعض الآخر فقد الوعي، فوضع (آدم) العصا مرة أخرى حتى فقد الجميع الوعي في الماء.

إنه يريدهم أحياء ليفعل بهم ما فعلوه به عندما كان صغيراً.

صفق (حسن) بشدة لآدم وقال له:

- لقد كنت ذو نظرة صائبة يا دودي عندما قلت لك: إنك خليفتي، ولكني لم أكن أعتقد أنك ستكون بهذا الذكاء، حسنًا، ولكنك لم تكن تتوقع أن أكون أنا خارج المياه؛ لذلك قد خاب ظنك قليلاً أليس كذلك؟

ابتسم (آدم) ابتسامته المعهودة الهادئة، ونظر له نظرة واثقة وقال له:

- من قال أني لم أعمل حسابًا لهذا، أنا أعرفك جيدًا يا (حسن)، أنت تدفع رجالك في الأمام وتبقى في الخلف حتى إذا أصابتهم مصيبة تنجو أنت منها.

للمرة الثالثة يصفق له حسن وقال له:

- أنا معجب بك جدًا يا دودي، إذا كنت تعرف أني لن أدخل إلى المياه هل فكرت كيف ستتغلب عليّ.

ابتسامة شيطانية تظهر على وجه (آدم) وهو يقول:

- كما تغلبت عليّ بالخيانة.

تفاجأ (حسن) من رد (آدم)، إن علامات الذهول تظهر على وجهه، ماذا يقصد بالخيانة، هل هناك من خانني؟ وقبل أن يكمل (حسن) تفكيره وجد ضربة قاسية على ظهره وقع على إثرها على الأرض، ثم وجد نفسه يرفع في الهواء. نظر للذي يرفعه إنه (دهشوري)، لقد انقلب عليه، كيف هذا؟!!

- ماذا تفعل يا (دهشوري)؟

كان هذا السؤال من (حسن) الذي لا يصدق ما يحدث له حتى تلك اللحظة، إنه لم يكن يتخيل أن يخونه (الدهشوري)، متوقع الخيانة من أي أحد إلا أنت.

رد عليه (الدهشوري):

- لقد وعدني (آدم) أن أكون أنا زعيم المنطقة من بعدك، ثم إنه يوفر لي حبوب الترامادول من الصيدلية التي يعمل بها دون مقابل، ويعاملني معاملة حسنة، وأيضًا سيجلب لي كل يوم طفل لأفعل به ما أشاء.

أخذ (حسن) يصرخ فيه لينزله وهو يقول:

- إنه يكذب عليك، أنزلني يا لعين أنزلني وإلا قتلتك دون رحمة، فلتنزلني.

و لكن (الدهشوري) فعل ما أمره (آدم) به ورماه في المياه، وفي لحظة التقت عينا (آدم) بعيني (حسن) وقال له (آدم) مودعًا:

- لا تقلق يا ريس، أنت لن تموت، ولكني سأجعلك تعيش بعارك إلى الأبد، إن الشيء الوحيد الذي كنت تفرح به وتؤذي الفتيات وتجعلهم لا يعدن إلى بيوتهن من خوفهن بعد أن يفقدن شرفهن بسببه سوف تأخذه.

قبل أن ينطق (حسن) بكلمة وضع (آدم) عصاه في المياه، إن (حسنًا) يرتعش مثله مثل المجموعة الباقية في المياه ثم يغمى عليه هو الآخر، و(آدم) و(الدهشوري) يراقبان.

- فلتساعدني يا (دهشوري) الآن.

أخذ (الدهشوري) في نقل أجسامهم إلى إحدى الغرف الفارغة التي لم يصل إليها الماء، وأشعل فيها إضاءة خفيفة، ثم وضع أجسامهم في شكل متوازي بجوار بعضهم البعض وأعطى كل واحد منهم حقنة بها مخدر حتى لا يستطيعوا المقاومة بعد انتهاء مفعول الصاعق.

جهز (آدم) الغرفة جيدًا، وقبل أن يغلق بابها على الموجودين بالداخل تكلم (الدهشوري) وقال لآدم:

- الآن أعطني ما وعدتني به؛ الأقراص والفتيات اللاتي سأقضي معهن الليلة.

أعطاه (آدم) ثلاثة أقراص وقال له: خذهم دفعة واحدة، وبعد نصف ساعة سوف يأتي احدهم بالفتيات، ولكن علينا الانتظار قليلاً؛ لأنه لا يجب أن يرى أحد ما سيحدث الآن.
إن (آدم) لم يُدخل (حسنًا) الغرفة معهم، بل تركه في الخارج بعد أن أعطاه المخدر هو أيضًا، ولكن بتركيز أكبر، هو يريده بعد أن ينتهي منهم.
بعد مرور نصف ساعة بدأ مَنْ في الغرفة يستيقظون، ولكن أجسادهم كانت ثقيلة، فطلب (آدم) من (الدهشوري) أن يدخل ليرى ماذا يحدث؟
بمجرد دخول (الدهشوري) من الباب أغلق (آدم) عليه الباب من الخارج، ركض الدهشوري ليرى ماذا يحدث؟ حدثه (آدم) من خلف الباب وقال له:
- ألا تتذكرني يا (دهشوري)؟
صرخ (الدهشوري) بشدة يريد أن يخرج ليفتك به، ولكن (آدم) هدأه قليلاً وقال له:
- لا داعي من الصراخ، فأنت لن تستطيع الخروج مهما حدث، كن هادئًا واسمعني.
و لكنه لم يستطع الخروج فهو يعلم أين يقف الآن، إنها بعد دقائق ستكون مقبرة جماعية.
أكمل (آدم) كلامه بكل هدوء وقال:
- منذ عديد من السنين عندما أتيت إلى هنا وكان (حسن) يريد أن يعلمني الدرس، كنت أنت تريد شيئًا آخر، كنت تريداني أنا لتحيي أحد سهراتك الحمراء، (حسن) مع (سارة) في الداخل، وأنا معك في أحد الغرف الأخرى، أنت مثال حي للشخص الشاذ الغبي، لقد خانتك فطرتك، وكنت تعتقد أني سأكون فريسة سهلة، ولكنك لم تكن تعرف مع من تتعامل، هل تتذكر هذا اليوم الذي أحرقتموني فيه يدي وجسدي من الداخل، ما زال أثره موجودًا، وحان الوقت للرد.
لم يسمع (آدم) صوتًا في الداخل، لقد اختفى صوت (الدهشوري) وهو يقف أمام الباب في صدمة من أمره مثل الباقين، إنه لم يتوقع أن ينتهي هكذا.
أخذ مَنْ في الغرفة يستيقظون وبدءوا في محاولة الخروج، دفعوا (الدهشوري) بعيدًا عن الباب لمحاولة كسره، ولكنه مصنوع من حديد، لقد صنعوه وقت الحرب من الفولاذ المقوي حتى لا يستطيع أحد كسره.
ذهب (الدهشوري) إلى أحد أركان الغرف وبدأ في الضحك الهيستيري، الجميع أخذوا يسبونه ويقولون:
- لماذا تضحك ونحن في مثل هذا الموقف؟
نظر لهم وقال:
- ألا تشمون رائحة غريبة في هذا المكان.
سكت الجميع وأخذوا يشمون ما الرائحة التي يتكلم عنها، صرخ أحدهم:
- إنها رائحة بنزين.

صرخوا جميعا وأخذوا يتدافعون على الباب لمحاولة الخروج، وأخذوا يتوسلون لآدم ليخرجهم، إن منهم من يبكي، والآخر يصرخ، أما (الدهشوري) فقد عاد لضحكه الهستيري مرة أخرى.

لحظة وكانت النار تشتعل في الغرفة كلها، إن الغرفة كانت عبارة عن فرن بشري، إنهم يحترقون الآن.

يسمع (آدم) صراخهم، إنه يرقص على صراخهم، نعم نعم، ما أجمل الصراخ الذي يصدر من حثالة مثلكم، لقد استبحتم الدماء وأخذتم عذرية البنات الصغيرة التي لم تكن تدري أن الحياة بكل تلك القسوة، لقد تسببتم في عيش الكثير من الشباب في ذل وعار مما فعلتم فيهم.

فلتصرخوا فإني أستمتع بصراخكم، إنه يزيدني حماسًا، أنا سعيد الآن.

فلتصرخوا، فإنها لن تكون آخر صرخة لكم، فإن صرخات الآخرة ستكون أشد قسوة وعقابًا.

فلتصرخوا لأنكم لمستم أغلى ما عندي في الحياة، جعلتم نور وجهه ينطفئ بعد ما فعلتموه، ولكني سوف آخذ حقه الآن، يا (سارة) يمكنك الخروج من البيت دون الخوف من أحد ودون أن تخافي من أن تنظري في عيون أحد من الناس، فمن كانوا يعرفون القصة قد انتهوا الآن.

أخذ الصراخ في الهدوء تدريجيًا حتى اختفى تمامًا، إن صراخهم كان مزيجًا من موسيقى بيتهوفن وسيمفونية عمر خيرت، لماذا صمتوا الآن! كنت أريد أن أكمل الرقص على صراخهم، لقد كان جميلاً كجمال (سارة) عندما تستيقظ من النوم.

أحضر (آدم) خرطوم الماء الذي ملأ به الموقع، وفتح باب الغرفة، وأخذ في إطفاء المتبقي من النار حتى يستطيع الدخول إلى الغرفة.

بمجرد أن استطاع الدخول إلى هناك أخذ في الدعاء لهم بالرحمة وأن يتغمدهم الله بواسع رحمته ومغفرته، على الرغم من أن دعاءه هذا لا يوجد منه فائدة، ولكن كان يدعو على أي حال.

بعد أن انتهى من الدعاء أخذ يغسلهم بالماء، لقد صاروا متفحمين من النار، ثم أخذ في حفر حفرة كبيرة في وسط الغرفة ووضعهم جميعًا فيها.

ما لفت نظره أثناء وضعهم في الحفرة هو (الدهشوري)، كان من السهل على (آدم) تمييزه من بينهم على الرغم أن جميعهم يشبهون بعضهم بعضًا بسبب الحريق، ولكنه كان الأضخم بينهم، هكذا عرفه (آدم)، يبدو أنه كان يجلس في ركن من أركان الغرفة، وقد احترق أثناء جلوسه، لم يقاوم النار كثيرًا بل استسلم لها.

بعد أن أتم (آدم) عمليات الحفر والدفن أقام صلاة الجنازة عليهم، وأخذ في الدعاء لهم، ثم ترك تلك الغرفة بعد أن أغلقها جيدًا حتى لا تفتح مرة أخرى، وتموت بذكرياتها السيئة.

فتح (حسن) عينه بصعوبة شديدة، إنه يشعر كأنه وقع من السماء إلى الأرض على رأسه، إن بها صداعًا شديدًا يكاد يفتك برأسه.
ولكنه فتح عينيه بكل وسعها ليرى ماذا يحدث، حاول التحرك ولكنه لم يستطع، يبدو أنه مقيد في شيء، نظر جيدًا حوله وجد نفسه مقيدًا على الأرض، إن هناك أوتادًا في الأرض وهو مقيد به.
إن هناك وتدان عند رأسه مقيد فيهما يداه، وعندما نظر عند قدميه وجد وتدان آخران مقيد فيهما رجلاه، ولكنه وجد شيئًا غريبًا جعله يشعر بالصدمة.
إنه من غير بنطال، لا يوجد ما يلبسه في جزئه الأسفل، ظل يصرخ ويحاول فك قيوده، ولكنها كانت بلا فائدة، إنها مربوطة جيدًا، إنه خائف، لا يتخيل ماذا سيفعل به (آدم)، إنه مجنون، هو كان يعرف هذا، ولكنه كان يعتقد أنه لن يفعل شيئًا بعد أن يريه (حسن) ما يستطيع فعله به.
جاء (آدم) من الخارج وجد (حسنًا) مستيقظًا، فرح (آدم) بشدة وقال له:
- لماذا تأخرت كل هذا التأخير في الاستيقاظ، لقد دُفن أصدقاؤك وأنا جففت المياه، وأخرجت السلك الذي كان موصول بالعصا التي كنت أمسكها هل أقول لك شيئًا ولا تخبر به أحدًا؟ لقد كنت أسرق كهرباء من عمود الإنارة بالخارج.
ثم ضحك (آدم) بشدة وقال له:
- أتمنى ألا تخبر أحدًا، فأنت صديقي أليس كذلك؟
صرخ (حسن) فيه وهو منفعل:
- أنت مجنون، ماذا فعلت بالباقي وأين ذلك الخائن؟
وضع (آدم) يده على رأس (حسن) وقال له:
- لا تقل خائن، قل كما تدين تدان، هل تتذكر (سعيد)؟ لقد فعل معي هذا، إنه الآن يجري ويمرح ولا يعرف ما سيصيبه، ولكن إن أيامه قادمة.
ثم ذهب (آدم) إلى إحدى الغرف المجاورة ليحضر شيئًا ما، ولكنه قبل أن يدخل التفت إلى (حسن) وقال له:
- ثم إن (الدهشوري) الآن قد رحل من عالمنا هو ومن كان معك، فلتدع لهم بالرحمة أنت أيضًا.
ثم تركه ودخل إلى الغرفة، إن (حسنًا) لا يعرف كيف يفكر هذا الشيطان، لقد قتل أشد المجرمين وأقساهم قلبًا، لقد استدرجهم بكل سهولة إلى فخه واستطاع إخضاعهم ليقتلهم دون أدنى مقاومة منهم.
ماذا يفكر أن يفعل بي، هل سيفعل مثلما فعل بهم أم ماذا؟ هل سيقتلني مباشرة أم سيكون رحيما بي بعض الشيء، ولكن أشك أن يكون رحيمًا، فأنا من كنت أنوي أن أغتصب (سارة)

وأجعله هو نفسه من نصيب (الدهشوري)، يبدو أنه يخطط لشيء كبير، أرجوك فلتتركني ولن أفعل لأحد آخر أي شيء، سأكون إنسانًا مختلفًا.
خرج (آدم) من الغرفة وهو يحمل مقص، وفي يديه يلبس واقي يدين (جوانتي) وطبق صغير.
يجلس (آدم) بجوار قدم (حسن) ووضع يده على قدمه وقال له:
- منذ أن عرفتك وأنت تتصرف بغريزتك الحيوانية دائمًا، ما كنت تفكر إلا في أربعة أشياء مخدرات... جنس... طعام ... ماء... كانت هذه الأربعة تسيطر عليك، وأنا قد تأذيت من إحداها، والآن سوف أتخلص من الذي كان سيؤذيني أنا ومن أحب.
صرخ (حسن) فيه وهو يحاول أن يدفعه بعيدًا عنه:
- ماذا ستفعل أيها اللعين، أنا لم أفعل بك شيئًا، لم أقترب حتى منك.
- نعم أنت لم تفعل هذا لأن الناس جاءوا قبل أن تفعل شيئًا، ولكن من حظك أن هؤلاء الناس لن يأتوا إلى هنا الآن مرة ثانية.
أخرج (آدم) من جيبه ولاعة وأخذ في إشعال بعض الفحم بجواره، و(حسن) يصرخ فيه لأنه لا يعرف ماذا ينوي أن يفعل، وبعد أن أصبح الفحم مثل الجمر نظر (آدم) لـ(حسن) وقال له:
- حان وقت العمل.
أمسك (آدم) بعضو (حسن) الذكري و(حسن) عرف الآن في ماذا يفكر (آدم)، أخذ (حسن) في الصراخ بشدة، إنه يصرخ صرخات شديدة قبل حتى أن يمسه (آدم) بأي شيء، ولكنه يعرف مصيره ماذا سيكون.
إن (آدم) الآن يفعل ما يريد، أمسك باليد الثانية المقص، ثم في لحظة لم يعد لـ(حسن) أي فائدة من وجوده في الحياة، إن صراخه يهتز له أركان المكان، إنه ينظر لمكان الدم ويكمل صريخه، هو لا يصدق أن هذا حدث، كنت أتمنى أن تقتلني خيراً من أن تفعل هذا يا (آدم).
بعد أن انتهى (آدم) من هذا أحضر ماسك مصنوع من النحاس، وأمسك به الجمرة المشتعلة ووضعه على مكان القطع الذي كان ينزف بشدة، وضعها عليه حتى يوقف النزيف.
من كثرة الصراخ الذي كان يصرخه (حسن) ومن شدة الألم أغمي عليه، وكان هذا من حظه.
نهض (حسن) في اليوم التالي على سريره في منزله لا يعرف من أحضره هنا، ولكنه كان يتألم بشكل لا يوصف، لقد كان يصرخ من الألم، ولكن لم يأت إليه أحد من جيرانه، فهم يعرفون (حسنًا)، من الممكن أن يفعل بهم أشياء لا يتخيلونها إذا اقتربوا من خصوصياته.
لكنهم لا يعلمون أن (حسنًا) وأسطورته قد انتهت إلى الأبد.
أخذ (حسن) يُعالج عند بعض الأطباء لفترة حتى أدرك أنه أصبح معدوم الحيلة، لم يعد يقوى على الوقوف.

اختفى داخل شقته لكثير من الوقت، حتى أن الناس أصبحوا لا يرونه إلا مرات قليلة، ولم يعد أحد يسمع له صوتًا، لقد مات (حسن) إكلينيكيًا.

مرت الأيام وذهب أحدهم إلى القسم ليبلغ عن جريمة، قتل وتعذيب، ولكنه لا يعرف أين الجثث، ولكنه يعرف من تم تعذيبه.

ذهبت الشرطة إلى منزل (حسن) الذي أنكر كل شيء، ولأنه لا يعرف أي شيء عما يقولون، وعندما عرف هوية المبلّغ لم تصبه الصدمة، فهو الطبيب الذي كان يعالج عنده.

و عند سؤاله عن (آدم) أجاب:

- إن (آدم) صديقي منذ أن كان طفلاً، كنت أريده دائمًا بجانبي، ولكنه اختار الطريق الآخر، أو بالمعنى الأصح اختار الطريق الصواب، لكم أتمنى أن يعود بي الزمن لاحتفظ بصداقتي معه.

بعد عدة أيام اختفى (حسن) نهائيًا، وقد أخبر احدهم أنه سيذهب للعيش في إحدى القرى النائية، حيث لا يعرفه أحد، ويعيش في راحة بال حتى يأتيه الموت، أو قد يذهب هو إلى الموت.

من المرجح أن (حسنًا) قد انتحر، فهو لم يكن من النوع المؤمن الذي يخاف من فكرة الانتحار، أو كان يؤمن بأن الانتحار حرام، هو فقط كان يعتقد أنه لا يوجد شيء يدعو للانتحار في تلك الحياة الجميلة، ولكنه الآن وجد سببًا لعدم عيش تلك الحياة لفترة أخرى.

أيهما أفضل؟

تجهز (حياة) نفسها للمقابلة التالية التي سوف تكون فيها مع (آدم) مرة أخرى، لقد التقيا بعد الحفلة عدة مرات في مناسبات مختلفة كان (آدم) يدعوهن إليها.
أما اليوم فهي تتمنى أن تقابله وحده دون أن يكون معها أحد، تريد الجلوس معه بمفردها، لقد وجدت في (آدم) ما كانت تتمناه، ولكنها خائفة أن يكون (آدم) مرتبطًا بأحد ما.
فهي دائمًا ما ترى في عينيه شيئًا غريبًا كأنه تائه مع أحدهم، لا يريد الرجوع إلى أرض الواقع بدونه.
إنها تحسد من يجلسون معه ومن يتعاملون معه باستمرار، يا ليتها كانت منهم، أو يا ليتها كانت (عايدة)، إن (عايدة) صديقة (آدم) جدًا، دائمًا ما يحكي لها كل شيء، هكذا قالت لي.
ولكنها لا تريد إخباري بشيء عنه، وكلما سألتها قالت لي:
- إذا أردت أن تعرفي شيئًا عن (آدم) فاسأليه بنفسك، فأنا لن أقول لك شيئًا مهما حدث.
حتى المرة التي ضغطتُ عليها فيها لتخبرني أي شيء عنه زادتني حيرة:
- إن (آدم) أصيب بصدمة كبيرة في حياته هي ما حولته إلى (آدم) الذي ترين الآن، اقتربي منه واجعليه يشعر بك، وهو سيخبرك بكل ما تريدين.
لم تقل أي شيء أكثر من هذا، ولكن كيف أعرف أنا من هو، وما الصدمة التي تعرض لها، وكيف تعرض لها، إنه لأمر محير أن يكون أول شخص أهتم به وأشعر من ناحيته بشيء بكل هذا التعقيد.
جهزت (حياة) نفسها في انتظار (عايدة) التي ستأتي فقط لتخرجها، فجدتها لن ترضى أن تخرج (حياة) بمفردها، وخصوصًا بعد بعض التفجيرات التي حدثت في مصر وراح ضحيتها العشرات من الأبرياء الذين لا حول لهم ولا قوة.
بمجرد خروجهما ستذهب (حياة) لملاقاة (آدم) وستذهب (عايدة) إلى مشوار خاص بها، وستأتي بعد أن تنتهي منه حتى تأخذ (حياة) وتعيدها إلى البيت.
خرجت (حياة) من غرفتها لتنتظر (عايدة) في الصالون بدل الجلوس في الغرفة بمفردها، لقد قضت معظم حياتها محبوسة داخل أربعة جدران، ولقد اكتفت من كل تلك المدة الآن، تريد الخروج إلى الحياة، لا تريد أن تحبس مجددًا، هي تريد الانطلاق.
خرجت جدتها من غرفتها وهي جالسة، نظرت لها من أعلى إلى أسفل وتركتها ودخلت المطبخ، لا تعلم ماذا تفعل (حياة) جدتها في المطبخ. خرجت جدتها مرة أخرى مسرعة من المطبخ ثم سألتها:
- هل أنت ذاهبة إلى مكان ما؟

استغربت (حياة) من هذا السؤال، فهي قد أخبرتها أنها سوف تخرج هي و(عايدة) وسيذهبان إلى المول لتشتري بعض الملابس من هناك، هل تنسى بهذه السرعة، أم أن الزهايمر قد بدأ في الزحف إلى عقلها اللامع.

- ألم أخبرك أني سأخرج مع (عايدة) إلى المول؟!

نظرت لها جدتها نظرة تشكك إنها تشك في كلامها.

- ومتى ستعودان؟

- لا أعلم ربما سنتأخر قليلاً، ولكن سنكون هنا قبل الثانية عشر بالتمام.

- لا يوجد خروج اليوم يا (حياة).

صدمت (حياة) بتلك الجملة، ماذا يعني هذا؟ ما الذي حدث لتفعلي هذا؟

- لماذا تقولي هذا يا جدتي؟ لقد وافقت بالفعل أمس على خروجنا اليوم؟

- أقول هذا من أجل مصلحتك، فأنت تعرفين أن هناك تفجيرات في البلد في العديد من الأماكن، وأنا لن أخاطر بك.

غضبت (حياة) جدًّا، وكان صوتها عالٍ وهي تتحدث، حتى أن عمتها و(ياسمين) خرجا مسرعين إلى مكانها ليستفسرا عن سببِ هذا الصوت العالي، فوجدا (حياة) تقول:

- لقد كان هناك تفجيرات منذ أن أتينا إلى هنا، وأنت لم تقولي لي شيئًا، ولم تمنعيني من النزول، لماذا الآن؟!

ذهبت (ياسمين) لتهدئة (حياة) التي كانت منفعلة جدًّا، وكادت أن تبكي على ما يحدث لها، قالت جدتها لها وهي تنظر إلى (زينة):

- نعم فلتصرخي علي جيدًا يا (حياة)، وليكن صوتك عاليًا، فأنا المخطئة من البداية أني تركت لك الحرية لتفعلي ما تريدين، والآن أنت تصرخين في وجهي.

أخذت (حياة) في البكاء وهي لا تعلم ماذا تفعل، ستأتي (عايدة) بعد قليل وإذا رأت الوضع هكذا لن تخاطر وتأخذني معها حتى لا تزيد المشاكل، حتى إنها لن تقف في صفي حتى لا تقول لها جدتي شيئًا.

كانت (ياسمين) على وشك الكلام، ولكن أمها (زينة) نظرت لها بحزم أن اسكتي لا تتحدثي، ولكن تحدثت (ياسمين) إلى جدتها وقالت لها:

- ماذا حدث يا جدة، ألم توافقي أمس على أن تذهب (حياة) مع (عايدة) ما الذي غير رأيك الآن؟!

- أولاً: لقد غيرت رأيي وهذا لا يعني أحد، ثانيًا: إنه شيء لا يخصك يا (ياسمين)، وإذا تكلمت مرة أخرى سوف أعاقبك عقابًا شديدًا، فأنت صغيرة لا تفهمين شيئًا.

تعصبت (ياسمين) جدًّا من كلام جدتها فقالت لها:

- لا يمكن لأحد أن يعاقبني إلا أبي، وهو ليس موجود هنا، ولا أنت ولا أي أحد آخر.

نظرت جدتها إلى (زينة) فوجدت (ياسمين) صفعة قوية على وجهها أصابتها بالدهشة وقالت لها (زينة):
- لا تكلمي جدتك هكذا، فهي من ربتك وربتني، وأنا لن أسمح لأحد أن يكلم والدتي هكذا.
(ياسمين) أنت معاقبة، فلتدخلي غرفتك ولا تخرجي منها إلا حينما أقول لك هذا.
ركضت (ياسمين) مسرعة إلى غرفتها وهي منهارة من البكاء، وتركت (حياة) في مواجهة (زينة) وجدتها وحدها، جلست (زينة) على الكرسي وبدأت في إخراج أحد سجائرها من العلبة وأشعلتها، هي لا تحب أن تدخن أمام والدتها، ولكنها الآن في حالة عصبية بسبب ضربها (ياسمين) على وجهه، والاثنان يعلمان أنهما لن يقفا أمام (زينة) الآن، فهي في موقف القوة.
بعدما أشعلت سيجارتها نظرت لـ(حياة) وقالت لها:
- لماذا كان صوتك عالياً على أمي يا (حياة)؟
(حياة) لا تستطيع الرد، إنها تبكي بشدة الآن، تريد أن تتخلص من هذا السجن، تريد الهروب إلى أيّ من العوالم الأخرى إذا وجدت، كانت تفكر في كثير من الأشياء، ولكن ما وقف تفكيرها عنده هو (آدم)، لمَ لا تأتي لتأخذني من هنا يا (آدم)، لقد قابلتك مرات قليلة، ولكن وجدت فيك ما لم أجده فيَ أي شخص عرفته على الإطلاق. تماسكت (حياة) قليلاً وقالت لها:
- لقد جئت إلى مصر من أجل الخروج والحرية التي يقيدوننا بها في المملكة، أريد التحرر والذهاب إلى كل مكان قبل العودة إلى هناك والجلوس بين أربعة جدران مرة أخرى.
ثم أخذت تبكي مرة أخرى، لم تستطع أن تكمل كلامها، يا ليتها كانت أقوى من هذا لكانت وقفت في وجههما.
أخذت زينة نفسًا من السيجارة وأخرجته بطريقة محترفة دون أن تلاحظ نظرة والدتها لها ثم قالت لـ(حياة):
- نستطيع أن نسمح لك بالذهاب إلى أي مكان، ولكن هل تستطيعين أن تعدينا بوعد صغير؟
فرحت (حياة) جدًا وأخذت في مسح دموعها على الرغم من أنها تعرف أن هذا الوعد سيكون عقبة كبيرة، ولكنها تتمسك بأي أمل للخروج من هذا المنزل ومقابلة (آدم).
لم يتحدث أحد حتى أطفأت (زينة) السيجارة ونفخت آخر نفس منها في الهواء، ثم نظرت لـ(حياة) وقالت لها:
- نحن نعرف إلى أين ستذهبين.
حتى الآن (حياة) لا تفهم شيء من عمتها، ولكن جدتها أكملت كلام عمتها.
- أنا لا أعرف من أين ظهر هذا الفتى الذي شغل عقلك بشدة، ولكن نحن سنعمل على إبعاده عنك.
أصابت الدهشة (حياة)، هي كانت تعرف أن الأمر ليس بالهين عندما قالت عمتها إنها ستسمح لها بالخروج بشرط. قالت (حياة) لها:

- من هذا الفتى الذي تتحدثين عنه؟
ردت عليها جدتها بسرعة:
- لقد حكت لي عمتك على كل شيء، ذلك الفتى الذي يتلاعب بك لكي يتزوجك ويأخذ مميزات الجنسية السعودية.
نظرت (حياة) لـ(زينة) وجدتها تبتسم، الآن عرفت كل شيء، ولكنها لم تكن تتوقع أن يصل الأمر إلى هذا الحد أن (زينة) أخبرت والدتها أن (حياة) تخرج مع (آدم) لكي تبعدها عنه، ولكن لماذا فعلت هذا؟ هل وصل بها كرهي إلى كل هذه الدرجة، دائمًا ما كانت تظن أنها المنافسة الوحيدة لي، ولكن على أي شيء تلك المنافسة.
- أنا لا يوجد شيء بيني وبين أي شخص هنا في مصر، وأي شيء يقال لك يا جدتي فهو من وحي خيال صاحبه، ولا يمتّ للواقع بصلة.
إن (زينة) تبتسم، تعرف أن ما قالته لأمها صحيح، وأن (حياة) تريد الارتباط بـ(آدم)، ولكنها لن تترك لها هذه الفرصة، فـ(آدم) من الممكن أن يكون صديقًا لـ(زينة)، وحينها سوف تتمتع بعلاقات قوية في مصر أقوى مما هي عليه.
لكن لو ارتبطت (حياة) بـ(آدم) أول شيء ستفعله هو إبعاده عنها؛ لذلك لن تسمح لها بالارتباط به.
- هل تكذب عمتك إذًا؟
كانت النظرات في هذا الوقت تدور بين (زينة) و(حياة) الاثنتان تعرفان فيما تفكر الأخرى، ولكن الموضوع صعب عليهما، إن (زينة) تبحث عن مصلحتها، أما (حياة) فتبحث عن حياتها.
دق جرس الباب، ذهبت (حياة) وفتحت الباب، كانت (عايدة) هي من تقف على الباب، ابتسمت (عايدة) بشدة وقالت لحياة:
- يبدو أنك مستعدة جيدًا للخروج.
فجأة بكت (حياة) وارتمت في أحضان (عايدة) وهي تبكي أنهارًا من الدموع، حتى أن (عايدة) تفاجأت من الذي يحدث، كانت تتساءل: ماذا فعلت لك جدتك وعمتك الآن؟!!
سألتها (عايدة):
- ماذا حدث؟ ولماذا كل هذا البكاء؟
لم تستطع (حياة) أن تخبرها بشيء من شدة البكاء، ولكن زادت دموعها في الانهيار، إنها تحتضنها بشدة، لقد وجدت فيها الملاذ الآمن لها من بين كل أقربائها، ولكن بنت خالها (عايدة) هي الأقرب إلى قلبها، إنها تعتبرها جزءًا لا يتجزأ منها.
حاولت (عايدة) أن تهدئ (حياة) وقالت لها:
- أعرف ما بك، إن من يعيش مع هؤلاء القوم المجانين من الصعب أن يحتفظ بعقله وقلبه كل تلك المدة بحالة سليمة، ولكنك قاومت ولم تكوني مثلهم، والآن يجب أن تستمري على

مبادئك التي اتخذتها من يوم أن وجدت نفسك على هذه الدنيا من غير أب يقف بجانبك، أو أم تهتم بك، إنك أقوى منهم جميعًا مجتمعين، وإن اليوم الذي ستستقلين فيها بعيدًا عنهم قادم لا محالة، وسيكون قريبًا جدًا، فقط اصبري قليلاً من الوقت وأنا أعدك أن كل شيء سيصبح على ما يرام.

يبدو أن كلامات (عايدة) قد أصابت قلب (حياة)، فوجدتها تنهي بكاءها وتبتسم، وما زالت دموعها تنهمر، فهي لها قدرة عجيبة على تغيير معالم وجهها في أقل من جزء من الثانية من الحزن إلى الفرح.

هدأت (حياة) وقالت لـ(عايدة):

- أنت الوحيدة التي تعنيني في هذه الدنيا، غير ذلك فهم مجرد شكل عام أمام الناس.

أثناء وقوفهما على الباب سمعا صوت جدتهم وهي تنادي عليهما.

- (حياة) هل ستقفان كثيرًا عند الباب، فلتغلقي الباب وتأتي إلى هنا.

أشارت لها (عايدة) لكي يدخلا؛ حتى لا يعرفا أنه يوجد شيء بيني وبينك، ثم ندخل غرفتك لنتحدث على انفراد.

دخلت (عايدة) و(حياة) إلى الصالة، وسلمت (عايدة) على الموجودين بها، وقبل أن تنطق بجملة أخرى وجدت (هناء) جدة (حياة) تبدأ بالكلام وتقول لها:

- (عايدة) إن (حياة) ابنة ابني، وأنا من ربيتها، وأنا من علمتها كل شيء تعرفه عن الحياة، لم أتهاون يوما معها في أي شيء، ولن يأتي اليوم الذي سأتهاون فيه معها، إن كل شيء يخصها هو يخصني، أنا أولاً وآخرًا لا يوجد كلمة تستطيع (حياة) تنفيذها إلا عندما أكون أنا من وافقت عليها في الأول.

كانت (عايدة) تفهم هذا الكلام جيدًا، وتعرف أن (هناء) تظن أنها هكذا تحمي حفيدتها من العالم، ولكنها لا تعلم أنها هكذا تدمرها داخليًا.

ردت عليها (عايدة) وقالت:

- بغض النظر عما تقولينه، ولكننا لا نفعل أي شيء خطأ، إن والدي جعلني أفرق بين الصواب والخطأ، وزوجي (هشام) لم ولن يرضى بأي شيء يضرني، أو أي شيء أفعله خطأ، هذا أولاً. ثانيًا: إذا كان هناك شيء خطأ نفعله أنا و(حياة) فلتخبريني به الآن لأصحح منه ولا أفعله مرة أخرى، فربما أكون فعلاً مخطئة.

نظرت (هناء) إلى ابنتها (زينة) لتجد عندها البداية في الكلام، ولم تتأخر (زينة) حيث بدأت في الكلام فقالت:

- (عايدة) أنت من رتبت للقاء الحفلة الأولى لكي يلتقي (آدم) بـ(حياة) أليس كذلك؟

ضحكت (عايدة) وقالت لها:

- وما الذي جعلك تظنين هذا، لقد ذهبنا جميعًا مع بعضنا البعض، أنا و(حياة) و(ياسمين) و(إيمان) والدة (حياة)، حتى أنت بنفسك جئت معنا أليس كذلك؟
- بلى، لقد جئت معكن وذهبنا كلنا، ولكن إن الحفلة كانت مقامة خصيصًا لها.
كيف عرفت هذا؟ إن هذا الأمر لا يعرفه سوى أنا وآدم فقط لا غير، هناك شيء غريب في الموضوع، ويجب أن أعرفه.
- من قال هذا؟؟ إن الحفلة مقامة من أجل إحدى القرى السياحية التي افتتحها (آدم) منذ وقت قليل، وكان هذا احتفالاً بها، وليس لشيء آخر، أرجو لمن أعطاك مثل هذه المعلومة أن يتوب إلى الله، فإن ما يفعله هو إيذاء أناس لم يفعلوا له شيئًا.
ضحكت (زينة) ضحكة صفراء والتقطت سيجارة أخرى من علبتها وأخذت في إشعالها في ضيق وقالت لـ(حياة) و(عايدة):
- لا يهم من قال هذا، ولكن ما نريد إيصاله لكما الآن أنه لن ترى (حياة) (آدم) مرة أخرى أبدًا، ويجب أن تنساه إلى الأبد، وإلا لن تعود إلى مصر مرة أخرى.
هل الآن يتم تخييري بين حريتي وبين البقاء في مصر، هل هم مجانين بالعظمة لكل هذه الدرجة، خوفهم من أن آخذ بعضًا من حقي المشروع يجعلهم يصلون إلى هذه الدرجة من الجنون.
إن (حياة) تريد أن تتكلم، ولكنها لا تعرف ماذا تريد أن تقول، لو تكلمت الآن، فإن ما ستقوله سيؤدي بها إلى السجن.
أشارت لها (عايدة) بيدها أن لا بأس سأتكلم أنا:
- حسنًا أنتم الآن تخيرونها بين شيئين لا علاقة لها بها، إن (آدم) صديقي أنا وليس هي، أنا من أعرفه جيدًا، وأنتم لا تريدون الخوض معه في أي مشكلة، أما مسألة نزولها مصر فهي في الأول والآخر مرتبطة بكم أنتم.
قالت (هناء) جدة (حياة):
- ماذا تقصدين بهذا الكلام يا فتاة؟
- أقصد أن (حياة) الآن في العشرين من عمرها، بضع سنين أخرى ولن يكون لكم تحكم فيها، وعندها ستفعل ما تريد، وصدقوني لو هي اختارت شخصًا مثل (آدم) ستتمنون لو أنكم لم تقفوا في وجهه إطلاقا، فأعتقد أن العمة (زينة) تعرف ما يمكن لـ(آدم) أن يفعله جيدًا، أليس كذلك يا عمة؟
وجه غاضب كان يظهر على (زينة) التي تعرف هذا الأمر جيدًا، لقد رأت في الحفلة ما يستطيع (آدم) فعله، فقد عرفت فيما بعد أن مَنْ كان يضايق (ياسمين) هو أحد أبناء القادة الحكوميين في مصر ممن لا يقدر أحد على الوقوف في وجههم، ولكنه أنزل رأسه أمام (آدم)، ولم يستطع حتى النطق بكلمة، يبدو أنه كان خائفًا من شيء ما.

ليس هو وحده، بل جميع الموجودين، إنهم كانوا من صفوة المجتمع والمتحكمين فيها، برغم ذلك لم يجرؤ أحد على أن يواجهه، وكلام (عايدة) يثبت وجهة نظري، إنه إذا تمكنت من جعله معي سأتمتع بقوة كبيرة.

تكلمت (زينة) وقالت لـ(عايدة):

- وماذا في هذا!! أجل أعرف ماذا يقدر (آدم) على فعله، ولكن ما أعرفه جيدًا أيضًا أنه لن يصل إلى (حياة) بدون موافقتنا، ولو حتى أتى بنجم من السماء لها.

ضحكت (عايدة) بشدة وقالت لها:

- من قال لك أنه يريد (حياة)، إن أمامه فتيات من جميع الجنسيات، لو يريد التعرف على أحد فلن يجد صعوبة في ذلك، ولكني آسفة لتخيب ظنك، إن (آدم) خاطب إحدى الفتيات، وهو يحبها بشدة ولن يتركها مهما حدث، وزفافهم سيكون قريبًا، و(حياة) لا تعني له شيئًا، إنها مجرد صديقة له، وإذا وجد أن ذلك سيدخل أحدًا في مشاكل فهو لن يعرفها مجددًا.

إن الجميع مصدوم، ولكن الصدمة الأكبر كانت لـ(حياة)، لم تكن تعرف أن (آدم) مرتبط، كانت تظن أنها الأولى في حياته، أو حتى إن لم تكن الأولى، ولكن ستكون هي الوحيدة الآن في حياته، ولكن جاءت (عايدة) لتقلب كل شيء رأسًا على عقب.

قالت (هناء) جدة (حياة):

- إذًا هو لا يفكر في (حياة) كما قالت ابنتي (زينة)؟

- صدقيني يا جدة، هو لا يفكر في أحد إلا خطيبته فقط، فهو يحبها حبًا شديدًا.

نظرة ارتياح بدت على وجه الجدة (هناء)، وأيضًا على وجه (زينة) اللتين كانتا راضيتين تمامًا عما حدث الآن، هما ليستا قلقتين على شيء.

أما (حياة) فقد زاد تجهم وجهها، وقد لاحظت (عايدة) ذلك فبادرت وقالت:

- هل يمكننا الخروج الآن، أم عندكم ما يمنع؟

نظرة الجدة (هناء) إلى ابنتها (زينة) والتي أشارت لها فليذهبا إلى أي مكان يريدون.

فقالت الجدة (هناء):

- حسنًا يمكنكما الذهاب إلى أي مكان تريدان، فأنا لم أعد خائفة على (حياة) من شيء.

قالت (حياة) بصوت منخفض:

- أنت لا تخافين على (حياة)، أنت تخافين على نفسك وعلي غضب ابنتك.

قامت (عايدة) من مكانها واتجهت إلى (حياة) ثم أمسكت بيدها وقالت لها:

- هيا بنا، سوف يفوتنا موعد السينما، فلنسرع.

ثم نظرت لهما وقالت:

- هل تريدان شيئًا؟

لم يردا فأخذت (عايدة) (حياة) من يدها وخرجتا إلى الخارج، وأثناء سيرهما إلى حيث سيارة (عايدة) قالت حياة التي كانت شاردة الذهن:

- لماذا لم تقولي لي إن (آدم) مرتبط، وهناك من تتواجد في حياته.

ضحكت (عايدة) وقالت لها:

- لم أقل لك هذا؛ لأنه لم يحدث قط.

شدت (حياة) يدها من يد (عايدة) وقالت لها:

- ماذا تقصدين؟ لماذا لا توضحين كلامك ولا تتكلمي بالألغاز.

أكملت (عايدة) ضحكها وقالت لها:

- أنا اقصد بكلامي أنه لا يوجد أحد في حياته الآن.

- إذًا لماذا قلت هذا في الأعلى.

- حتى تتركنا عمتك تذهب، فهي كانت العائق أمامنا للخروج ومقابلته، فهي تريده لنفسها فقط لا غير.

- ولكن عمتي لن تتزوج ثانية، وهذا أعرفه حق المعرفة، فبعد فشل زواجها الأول لم تفكر في هذا الأمر أبدًا.

- أنت غبية لا تفهمين، هي لا تريده كزوج، ولكنها تريده كصديق مقرب.

وأخذت (عايدة) في تكملة الضحك وتركت (حياة) في تخيلاتها وأفكارها التي لا تنتهي، بل زادت.

زادت العلاقات بين (آدم) و(حياة)، فقد وجد فيها دنيا مختلفة تخرجه من جميع همومه ومن جميع مشاكله، وكانت أيضًا تعويضًا لما حدث له في الماضي، أحس أنه وجد نصفه الآخر بعد أن اعتقد أنه لا أمل في هذا مرة أخرى.

أما بالنسبة لـ(حياة) فكانت متأكدة من أنها وجدت فارس أحلامها الذي سيخرجها من كل ظلمات حياتها، وسيجعل حياتها نورًا على الرغم من أنها تعرف كل المعوقات التي ستقابلها من أهلها، وأولها أنه ليس سعوديًا وأنت يجب أن تتزوجي من سعودي؛ لأن ذلك المصري سيكون طامعًا في الامتيازات التي سيحصل عليها إذا تزوج سعودية.

حتى لو كان هذا الشخص (آدم سليم) بنفسه، ولكن بالنسبة لهم لا يهم من يكون فهو ليس من جنسيتي.

الآن كل منهما يعرف شعوره نحو الآخر، ولكنهما منتظران من سيبدأ في الاعتراف، إن (آدم) خائف من الاعتراف، إذا صدمته في هذا الموضوع فستجعله يخسر حياته سابقًا والآن هو خائف أن يخسرها مرة أخرى، أما (حياة) فكانت خائفة من رد فعله أن لا يكون يحبها، أو يكون فقط مجرد إعجاب بها كأصدقاء.

قبل سفر (حياة) بأسبوع اتصل بها (آدم)، وكان يبدو على صوته التوتر وقال لها:

- هل نحن على موعدنا المتفق عليه اليوم؟

ابتسمت (حياة) خجلاً وقالت له:

- أعتقد ذلك إلا لو غيرت أنت رأيك.

- لا تقلقي، أنا لا أغير رأيي بسهولة أبدًا، يجب أن يحدث شيء كبير ليحدث هذا الأمر.

لاحظت (حياة) نبرة التوتر في صوت (آدم) فقالت له:

- يبدو أن هناك أمرًا ما يحدث معك، ماذا هناك يا (آدم) أخبرني.

أحس (آدم) أنه يشعر بالارتباك فعلاً، فجمع شتات نفسه وقال بثقة:

- لا تشغلي بالك، إنه شيء بسيط في العمل، فأنت تعرفين أني أعاني ضغوطات كبيرة في القرية السياحية الأخيرة.

لم تقتنع (حياة) بكلامه، فبالرغم أنها لا تعرفه من فترة طويلة، ولكن قربها منه وكثرة كلامهما وجلوسهما مع بعض أصبحت تعرفه جيدًا.

- رغم أني غير مقتنعة بكلامك هذا، ولكن سأتركك على راحتك حتى أقابلك اليوم.

- إني انتظر ميعادنا اليوم.

قلقت (حياة) من كلامه، ولكنها قالت بلهجة كمن لم يسمع شيئًا:

- إلى أين ستأخذني اليوم؟

أخذ (آدم) يفكر قليلاً ثم قال لها:
- سوف نذهب إلى مدينة الملاهي، إنه شيء للترفيه عنا قليلاً.
فرحت (حياة) لأنها كانت تريد أن تذهب لها منذ جاءت إلى مصر، ولكن الوقت لم يكن يسمح لها بهذا.
- أنا موافقة، وسوف نركب جميع الألعاب الخطيرة في المدينة، أتمنى ألا تكون تخاف منها.
- لا تقلقي أظن أني لا أخاف.
ثم ضحك هو وهي معًا، ثم ساد لحظة صمت، إن الاثنين يشعران بأنهما وجدا بعضهما لينتشلا أنفسهما من تلك الدنيا الكئيبة التي كانا يعيشان بها.
أتى (آدم) بسيارته التي لا تعبر أبدًا عن حالته المادية كما كانت تقول له (حياة)، إنها سيارة من موديل قديم، لكنه كان يحبها لسبب ما تجهله هي، حتى أنه كان يهتم بها أكثر من أي شيء آخر.
ركبت (حياة) بجواره وقالت له:
- هل تستطيع هذه السيارة أن توصلنا إلى حيث نحن ذاهبون، أم سنضطر إلى دفعها في الشارع أو أخذ تاكسي.
نظر لها (آدم) وضحك وقال لها:
- لا تقلقي فإن هذه السيارة يمكنها أن تأخذنا إلى أي مكان نريده، فهي لم تخذلني في يوم من الأيام حتى عندما أحتاجها أجدها جاهزة تلبي النداء.
ضحكت هي الأخرى وقالت:
- أنا أثق بك، هيا لننطلق إلى حيث نحن ذاهبان.
أدار (آدم) سيارته وانطلق في طريقه وهو يفكر في شيء واحد فقط.
عندما وصلوا إلى المدينة كان كل شيء جاهزًا كما أراده (آدم)، بمجرد دخولهم إلى المدينة وجدت (عايدة) و(ياسمين) منتظرين بالداخل.
كانت مفاجأة لها، ولكنها أحست بشيء غريب للغاية، إن المدينة خالية لا يوجد أحد بها.
عندما سألت عن سبب عدم وجود ناس بها أجابتها ياسمين:
- لقد استأجرها (آدم) لنا فقط هذا اليوم.
كانت صدمة المفاجأة ظاهرة على وجه (حياة)، هل يفعل كل هذا من أجلي فقط، هل فعلاً بدأت أحلامي تتحقق الآن، قد تأكدت أن (آدم) هو من أريده من كل هذه الدنيا.
لم تكد (حياة) تنتهي من تفكيره حتى وجدت الكثير من البالونات تسقط من فوقها، وهناك العديد من الرسائل عليها، لا لا إنها رسالتان فقط وهما:
- أنا احبك كما أحببت من قبل.
- هل تقبلين أن تكوني معي إلى الأبد.

كانت (حياة) تبكي بشدة من فرحها يا الله، هل كانت كل تلك السنين البائسة من أجل أن تفرحني في هذه اللحظة، إني أحبك وأحب عطاياك عندما أفقد الأمل.
و لكن (آدم) ليس موجوداً أين هو؟ لتجيب عليه، كل ما تراه هو (عايدة) و(ياسمين) وهما يصفقان بشدة على ما يحدث، ولكن أين هذا المجنون (آدم)، أريد أن أقول له ما أخبئه له في قلبي وما كنت خائفة منه.
في تلك اللحظة ظهر (آدم) وهو يلبس إحدى بدلة من بدل ملوك ديزني، كان شكله كأمير خرج من إحدى أفلام ديزني.
غطت (حياة) عينيها بيدها وهي ما تزال تبكي، لا تصدق ما يحدث لها، تتمنى أن تفهم مما يتكون هذا الشخص الواقف أمامها، إن كل أحلامها تتحقق على أرض الواقع.
وقف أمامها (آدم) وأزاح يدها من على عينها وقال لها:
- انظري لي وأخبريني أنك تحبيني كما أحببتك.
إنها لا تستطيع الكلام، هي فقط تنظر إلى عينيه، إن به بحراً كان هائجًا منذ أن رأته، ولكنه الآن هادئ ينطق بشيء واحد فقط، وهو (حياة).
نظر (آدم) وقال لها بخفة:
- يبدو أنك لا تريديني، حسنًا يبدو أننا قد أقمنا كل تلك الأشياء من أجل لا شيء، هيا بنا نذهب يا (عايدة) أنت و(ياسمين).
فجاة قفزت (حياة) إلى حضن (آدم) واحتضنته بشدة وهي تبكي وتقول له:
- نعم نعم، إنه أنت من انتظرته كل تلك السنين لكي يأتي ويأخذني لكي يخرجني من جحيمي، إنك أنت جنتي، أنا لا أريد شيئًا من هذه الدنيا إلا البقاء في حضنك فقط لا غير، أرجوك لا تتركني مرة أخرى، فأنا أنت ولا أستطيع التخلي عنك بعد الآن.
لا تتركني مرة أخرى!!! أنا آسف حبيبتي، لم أستطع أن أحافظ عليك في المرة الأولى، أنا آسف لك، لقد تركتك في المرة الأولى مرغماً، أقسم لك أنني لم أكن أنوي أو أريد أن أتركك من بين يدي مهما حدث، ولكنهم أخذوك مني بالقوة، وأنا اعتقد أنك ذهبتِ إلى الأبد، ولكن لم أكن أعلم أن الأقدار من الممكن أن تجمعنا مع بعض مرة أخرى.
كان (آدم) في دنيا أخرى عندما جاءت (عايدة) من ورائه وقالت له:
- الآن يا (آدم) فلنكمل يومنا أم سنقضيه كله ونحن واقفون هنا.
استعاد (آدم) وعيه ونظر فوجد (حياة) مازالت بين يديه، ابتسم (آدم)، ولكن كانت ابتسامة راحة وقال:
- هل ستظلين هكذا طوال اليوم يا حبيبتي.
كان أثر إلقاء كلمة حبيبتي على (حياة) كأثر نقطة المياه عندما تسقط في بحيرة تقوم بعمل تردد لتحرك البحيرة بأكملها.

إنها المرة الأولى التي تسمعها من أحد ليس فقط تسمعها، ولكن تحبها، إنها تعشقها، تريده أن يقولها مرة أخرى، ازدادت في احتضانه وقالت له:

- قلها مرة أخرى حتى أتركك.

ضحك (آدم) وأعطاها قبلة صغيرة على رأسها وقال لها:

- حياتي حبيبتي، هيا لنكمل اليوم، فهناك المزيد من المفاجآت.

ابتعدت عن جسمه قليلاً ونظرت له من أسفل وقالت له:

- لا أريد مفاجآت أخرى، هذه تكفي جدًا مدى الحياة.

ضحكوا جميعًا وجاءت (ياسمين) و(عايدة) واحتضنوا (حياة) وقالت ياسمين:

- لقد كنت أعرف أن هذا اليوم سيأتي، إني سعيدة جدًا لما حدث لك اليوم، أنا أعتقد أنك تستحقين هذا، إنك دائمًا ما تستحقين الأفضل يا (حياة).

أما (عايدة) فقالت:

- أنا سعيدة جدًا لوجدوك بجوار (آدم) وارتباطه بك، لكم أتمنى أن يدوم هذا إلى الأبد.

ثم تركاها في يد (آدم) الذي أخذها من يدها ليكملا يومهما الأول بعد أن اعترف كل منهما بحبه للآخر، ولكن كان هناك خيط بداخل (حياة) تريد أن تعرف إذا كان هناك أحد آخر كان في حياة (آدم)؛ لأن البحر الهائج الذي كان في عينيه كان يقول الكثير من الكلام.

أفاق (آدم) على عدة طرقات خفيفة على باب مكتبه كانت أسماء تقول له:

- مستر (آدم) الوفد الكرواتي هل نسيته أم ماذا؟

ضحك (آدم) وقال لها:

- لا لم أنسه، ولكن بعض الذكريات كانت تتدفق في رأسي قليلاً.

- هل هذا كله بسبب تلك المفاجأة التي كنت تعدها في مدينة الألعاب للآنسة (حياة).

ضحك (آدم) وقال لها:

- نعم أود أن أشكرك، لقد أحسنت الإعداد لذلك، أنا أعتمد عليك في كل شيء.

- إنه لمن دواعي فخري يا مستر (آدم) أن أنال كل تلك الثقة منك.

- حسنًا حسنًا، فلنسرع للوفد الكرواتي قبل أن يقتلونا بسبب التأخير.

ضحكت أسماء وقالت له:

- إنهم ينتظرون في قاعة الاجتماعات كما قلت.

كان (آدم) يلملم بعض الأوراق وذهب مسرعًا لمقابلة ذلك الوفد، ولكن بعد خروجه رجع (آدم) إلى الغرفة مرة أخرى ليرى لماذا لم تأت أسماء وراءه، فوجدها تحضر المزيد من الأوراق وهي تقول له:

- ستحتاج هذه أيضًا.

ضرب (آدم) يده على رأسه وقال لها:

- نعم لقد نسيتها، وقد نسيت أمرًا آخر أريدك أن تفعليه.
فقالت له:
- ما هو يا مستر (آدم).
- إن (حياة) ستسافر اليوم وأريد أن أذهب لوداعها وأتكلم مع جدتها أنني سأذهب لهم إلى المملكة لكي أتقدم لخطبتها.
فرحت أسماء وقالت له:
- مبارك لك مستر (آدم)، الآن ستعود للحياة مرة أخرى بعد أن كنت ترفضها.
- نعم إن العودة للحياة له طعم آخر.
- إذًا في ماذا كنت تريدني.
- أريدك أن تذهبي لشراء بدلة، ولكن ليس مثل بدلة ديزني، أريدها بدلة رسمية.
انفجرت أسماء من الضحك وقالت له وهي تتمالك نفسها حتى تستطيع التحدث:
- ألم تعجبك بدلة ديزني؟
- لا لقد أعجبتني كثيرًا وأعجبتها أيضًا، ولكن هذه ستكون مقابلة رسمية، ولا يمكن أن اذهب ببدلة كرتون يا أسماء.
ضحكت أسماء بشدة مرة أخرى قبل أن يشير لها (آدم) أنه ذاهب، وتركها في موجة ضحكها التي لم تكن تنوي أن تنتهي.

ذهب (آدم) إلى المكان الذي من المفترض أن يقابل به (حياة) لتأخذه إلى جدتها وعمتها ليتحدث معهم بخصوصها.
جلس (آدم) وهو ينتظر، ولكن مر كثير من الوقت و(حياة) لم تأت، حاول (آدم) الاتصال بها كثيراً ولكنها لم تكن ترد على هاتفها الخاص، بالمعنى الأصح لم يستطع (آدم) الوصول إلى (حياة).
حاول (آدم) الاتصال بـ(عايدة)، لكنها أيضًا لا تجيب، إن (آدم) بدأ في التوتر، ماذا يحدث هنا؟ ما هذا الجحيم الذي أنا فيه؟ إذا لم يستطع (آدم) الوصول لها سيذهب إلى منزلها ليطمئن عليها.
خطرت في رأس (آدم) (ياسمين)، لماذا لا يتصل بها ليرى أين (حياة).
اتصل (آدم) بـ(ياسمين) بعد أن رن الهاتف عدة مرات، وجد (آدم) صوت (ياسمين) يأتيه من الطرف الآخر، ولكنه لم يكن بخير أبدًا.
سأل (آدم) (ياسمين) عن (حياة):
- هل هي بخير؟ هل حدث لها مكروه؟
أتاه صوت (ياسمين) خائفًا يكاد تبكي وقالت له:
- إن (حياة) مختفية من البارحة، لا نعلم عنها شيئًا.
إن صاعقة من السماء أصابت (آدم)، لم يكن يستطيع التحدث، كيف هذا؟ هل هذا الكلام صحيح؟ وإذا كان صحيحًا أين هي الآن؟!
أكملت (ياسمين) كلامها:
- أرجوك يا (آدم) فلترجعها لي، فأنا أحبها كثيراً، وأخشى أن يكون أصابها مكروه.
وبدأت (ياسمين) في البكاء، تدخل (آدم) هنا وقال:
- هل أنت واثقة مما تقولين يا (ياسمين) (حياة) مختفية؟!!!
أجابت (ياسمين):
- نعم.
تمالك (آدم) نفسه وسألها.
- أين ذهبت آخر مرة؟ أو أين قالت أنها ذاهبة؟
- لم تقل شيئًا، إنها كانت جالسة معي، ثم جاءها اتصال من رقم غريب أجابت عليه (حياة)، وبدت في قمة السعادة، ثم قالت لنا: إنها ستذهب لمشوار قريب من المنزل وستعود حالاً، ولكنها لم تعد من حينها.
- هل تحدثت إلى (عايدة)؟

- نعم كانت موجودة هنا منذ قليل، ولكنها رحلت للبحث عنها.
أين ذهبتِ يا (حياة)، أين يمكن أن أجدك، فلتخبريني بأي شيء أبدأ به، أي شيء.
- (آدم).
جاء صوت (ياسمين) وهي تكاد تبكي، أجابها (آدم):
- لا تقلقي يا (ياسمين)، سوف أعيدها اليوم، سأبدأ البحث من الآن، سأكون عند البيت بعد خمس دقائق، لا تقلقي كل شيء سيكون بخير.
- أنا أثق بك يا (آدم)، فلترجعها لي بخير.
أغلق (آدم) المكالمة مع (ياسمين) وهو يحارب نفسه، يقاوم أن يعود لتلك الطريق، أقسم (آدم) على نفسه أنه لن يرجع لهذا الطريق، ماذا سيفعل الآن؟! يبدو أن (حياة) تحتاجه.
ذهب (آدم) إلى منزل (حياة)، وجد الدنيا مشتعلة عندهم، الجميع يبحث عنها، الكل قلق، لم يختلط (آدم) بأحد إلا (ياسمين) التي بمجرد أن رأته ركضت عليه وأمسكت بيده وقالت له:
- هل سترجعها؟
- نعم ستعود اليوم أعدك.
كان (آدم) يقف في الشارع خارج بيتهم، أخذ ينظر بعناية في كل مكان، لم تكن (ياسمين) تعلم إلى ماذا ينظر، لكنه كان يريد شيئًا محددًا، أخذ ينظر يمينًا وشمالاً، ولكنه كان ينظر إلى الأعلى حتى وجد ما يريد.
ذهب (آدم) ووجد (ياسمين) قادمة معه، سألها (آدم):
- إلى أين تذهبين؟
- سوف آتي معك، فإذا كنت بحاجة للكلام مع أي أحد هنا فلن تستطيع إلا إذا كنت أنا معك، إنها ليست مثل منطقتكم، إنها الزمالك يا (آدم)، لا أحد يتكلم أو يساعد أحد بسهولة.
- لا تقلقي، إذا لم يتكلم عندي طرقي التي ستجعله يساعدني رغمًا عنه.
- سأذهب معك أيضًا.
لم يجد (آدم) مفرًا منها، وبالفعل ذهبت معه إلى ذلك المحل المعلق به كاميرتان تغطيان الشارع بأكمله.
بمجرد دخول (آدم) إلى المحل ومعه ياسمين سأله البائع الموجودة به:
- ماذا تريد يا سيدي؟
أجابه (آدم) بتلك الابتسامة الواثقة والوجه الهادي:
- أريد أن أرى ماذا سجلت الكاميرا الموجودة خارج المحل البارحة في تمام الساعة الثالثة والنصف من فضلك.
كما كان متوقعًا أشاح الرجل نظره عن (آدم) وقال له:

- إذا أردت أن تشتري شيئًا فأهلا بك، أما إذا لم ترد فلا يوجد عندي وقت لك.
تدخلت (ياسمين) في الكلام وقالت له:
- من فضلك يا سيدي، إن ابنة خالي متغيبة منذ البارحة، ونريد أن نرى في أي اتجاه ذهبت فقط.
أجابها الرجل بنفس البرود:
- لقد قلت مع عندي، من فضلكم اخرجوا من المكان.
كان (آدم) يتجول في المكان وأمسك سكينًا من الموجودة في المحلل، نظر له الرجل وكان على وشك أن يخرج شيئًا من الدرج الموجود أمامه، إلا أن (آدم) كان أسرع منه وعاجله بطعنة في كف يده قبل أن يفعل شيئًا.
إن الرجل يصرخ وياسمين تمسك في (آدم) خائفة، ولكن هذا لا يهم ما يهم هو الكاميرا التي تصور (آدم) الآن وهو يطعن الرجل.
سأله (آدم) مرة أخرى، ولكن هذه المرة كانت السكين على رقبته وقال له:
- هل يمكننا النظر إلى الكاميرا الآن؟
هز الرجل رأسه بالإيجاب وذهب إلى المكان المخصص له، وفتح الكاميرا في الوقت الذي قاله (آدم) وياسمين.
ها هي (حياة) تمشي بسرعة يبدو أن احدهم كان ينتظرها، لنرى أين ستذهب وماذا ستركب؟
كانت (حياة) تمشي حتى وصلت عند سيارة ثم فتحت الباب وركبت إلى السيارة، إن نظرة صدمة اعتلت وجه (آدم) و(ياسمين)، نظرت (ياسمين) إلى (آدم) وجدته غير مصدق كيف هذا؟ من المستحيل أن يكون ما يفكر فيه (آدم) صحيحًا.
(ياسمين) تمسك يد (آدم) وتقول له:
- هيا بنا لنغادر من هنا.
غادر (آدم) و(ياسمين) المحل، قال لها (آدم):
- لا تخبري أحدًا عما رأيناه هنا، ليظل سرًا بيني وبينك حتى تعود (حياة)، لو انتشر ما رأيناه سوف تكون (حياة) في خطر، ومن الممكن أن لا تعود مرة أخرى.
كانت (ياسمين) تبكي من الصدمة.
- ما الذي يجعلها تفعل هذا، أنا لا أصدق شيئًا، أعتقد أني في حلم وسأستيقظ منه قريبًا.
قبلها (آدم) من رأسها وقال لها:
- أريدك متماسكة، الآن سوف تعود (حياة)، اليوم كما وعدتك، وأنتِ أريدك أن تساعديني.
- كيف أساعدك؟
- هل تستطيعين العودة إلى البيت والتظاهر بالطبيعية حتى أعود مرة أخرى؟
- نعم أستطيع ذلك.

- إذًا فلتذهبي وسأراك قريبًا يا أميرتي الصغيرة (ياسمين).
ابتسمت (ياسمين) وأخذت طريق الرجوع إلى البيت، الذي بمجرد أن وصلت إليه سمعت تهزيق من والدتها وجدتها، فهم يبحثون عن واحدة، ولا يريدون البحث عن اثنين.
أما (آدم) فكان يعرف إلى أين سيذهب، إن مكان (حياة) أصبح سهلاً جدًا بالنسبة له، سوف تعودين يا (حياة) وأنا سوف أتخلص من بعض المشاكل العالقة من الماضي.
يطرق (آدم) الباب عدة طرقات، تفتح له (عايدة) وهي تبكي على اختفاء (حياة) التي لا يوجد تفسير له.
- أهلاً يا (آدم) هل عرفت بما حدث لـ(حياة) لقد اختفت منذ البارحة.
- أعرف هذا، لذلك أنا هنا أين هشام؟
- لقد خرج منذ ساعة ولا أعرف إلى أين ذهب؟
دفع (آدم) (عايدة) إلى الداخل دفعة قوية أطاحت بها أرضا ثم دخل (آدم) الشقة وأغلقها بالمفتاح من الداخل.
نظرت له (عايدة) باستنكار وقالت له:
- ماذا تفعل يا (آدم)؟
- يبدو أن (هشامًا) لم ينس ماضينا مع بعض على الرغم من أنه جعلني أفقد حياتي وأعيش بشعور الذنب طوال حياتي، إلا أن هذا لم يكفه ويريد أن يؤذيني في (حياة) وأنا لن اسمح له بذلك.
نظرة دهشة على وجه (عايدة) التي لم تكن تستوعب ما يقال، نهضت (عايدة) من مكانها وهي تقول لـ(آدم).
- هل أنت متأكد مما تقول؟
أعطاها (آدم) ظهره وهو ينظر إلى صورة (هشام) الذي لم يتغير كثيرًا، إنه يذكره بالماضي الأليم.
قال (آدم) لها:
- نعم متأكد فأنت من أخذت (حياة) من أمام الشارع بسيارتك قبل اختفائها، وعلى الرغم من ذلك قلت إنك لم تريها وأيضًا كنت تبحثين عنها.
ضربة قوية جاءت على قدم (آدم) جعلته يركع على الأرض، كان يعرف أن هذا الأمر لن يمر مرور الكرام.
ينظر (آدم) بسرعة خلفه ليتفادى ضربة أخرى من تلك المطرقة التي كادت أن تهشم رأسه.
- لماذا فعلت ذلك يا (عايدة)؟ دائمًا ما كنت أعتبرك أختي، كانت أسراري كلها معك، لماذا فعلتِ هذا؟

أخذت (عايدة) تضحك وهي تسير في شقتها حتى دخلت المطبخ وأحضرت سكينًا وخرجت إلى (آدم) وهي تقول له:

- منذ أن رأيت (هشامًا) وأنا أحبه، كل تفاصيله، لقد كان فتى أحلامي، ولكن كان هناك عقبة تقف في طريقي، أنت و(سارة)، إن (هشامًا) كان يسعى للانتقام دائمًا منك ومنها، ولكن بعد ما حدث ذلك اليوم أصبح (هشام) انطوائيًا على نفسه، لا يريد التحدث مع أحد، حتى تحدثت أنا معه وأخبرته أني أحبه، بدأ (هشام) يتكلم معي ويحكي لي كل شيء حدث بينه وبينك، لقد نقل كرهه وكراهيته إليّ.

ضحكت (عايدة) مرة أخرى ثم أكملت كلامها:

- منذ ذلك الحين وأنا وهو نخطط للانتقام منك، ولكن كيف يكون الانتقام من (آدم) وقد أصبح من كبار رجال الأعمال، ولا أحد يستطيع الاقتراب منه، إنه الحب يا دودي، إنه الحب، كنت أعرف أن (حياة) تشبه (سارة) كثيرًا، ولكن أنت لم تكن لتتقبل وجود أحد في حياتك بعد فترة قصيرة من فقدانك لـ(سارة)؛ لذلك تركتك حتى تكون مستعدًا ثم أدخلت (حياة) في حياتك.

نظر لها (آدم) وقال لها:

- أنت مثل الشيطان، ما ذنب المسكينة غير أنها وثقت بك.

- أنا شيطان!!!! ماذا تكون أنت، إذًا الجحيم بعينه.

- علي الأقل لم أغدر أو أخون أحد أعطاني ثقته.

ضحكت (عايدة) وقالت:

- إن عباءة الأخلاق لا تليق بك يا (آدم)، ثم إني لا أحب (حياة) على الإطلاق، إنها الفتاة المدللة التي تكره حياتها لأنه لا أحد يحبها، ماذا في ذلك، على الأقل يسمحون لك بفعل الكثير من الأشياء التي لا أحد يحلم بها دائمًا، ما كانت تشتكي لي وأنا أحقد عليها، دائمًا ما تسافر إلى كل مكان، وتفعل ما يحلو لها، يأتون إليها بكل ما تريد، لقد كنت أغار منها يا (آدم) بشدة، لذلك لا بأس إذا ما ماتت (حياة)، فعلى الأقل سأستريح من تلك الغيرة، (حياة) الآن مع (هشام) في الموقع.

كل هذا بداخلك يا (عايدة) وأنا مثل المغفل، لم أكن متوقعًا منك كل هذا، وكنت أعطيك كل تلك الثقة، أنا أيضًا ثم إن (حياة) في الموقع!!! اعتلت الدهشة وجه (آدم)، هو لم يذهب إلى هناك منذ فترة طويلة، منذ ذلك اليوم المشئوم، لم يتجرأ ليذهب إلى هناك، أصبح يخاف من الذهاب إلى هناك.

أكملت (عايدة) كلامها.

- و(هشام) يريد أن يقتلك داخليًا قبل أن يفعلها خارجيًا، ولكن أنا سأكون رحيمة بك لأنك كنت في يوم من الأيام صديقًا وفيًا لي، وسأقتلك الآن وأترك لهشام قتل (حياة).

اقتربت (عايدة) من (آدم) وقبل أن تقوم بفعل شيء قذفها (آدم) بكوب من الماء كان موجودًا على طاولة بجواره، وبمجرد ما وضعت يدها على وجهها لتحميه كان (آدم) منقض عليها وهو يقف لها وجهًا لوجه، ولكن كان وجهها تعتليه صدمة وخوف، إنها تنظر لـ(آدم) وهي تفتح فمها وتقول له:

- أنا آسفة يا (آدم)، ولكنه الحب والغيرة هما اللذان جعلاني أشترك في مثل هذا الأمر، إن الكره والغضب ينتقل أيضًا بالحب، فأنت تأخذ ممن تحبه كل شيء حتى هذين الشيئين.

ابتسم (آدم) وقال لها:

- أنا أعلم هذا يا (عايدة)، ولذلك أنا أسامحك، فأنت في يوم من الأيام كنت خير سند لي، لقد أحببتك مثل أخت لي، وأنا آسف على ما حدث.

ابتسمت (عايدة) قبل أن يخرج (آدم) السكين من بطنها لتسقط على الأرض وهي تبتسم للمرة الأخيرة.

سيذهب (آدم) الآن إلى الموقع، إنه يكرهه بشدة لا يحبه، يتمنى لو أنه يختفي من على وجه الكرة الأرضية، إن للموقع ذكرى أليمة في قلب (آدم)

****

تتصل (سارة) بـ(آدم) كثيرًا لتخبره عن موافقة والدها لخطوبتهم، ولكنه لا يرد، ولكن في أحد المرات يفتح الهاتف وعندما قالت (سارة): (الو) لم يرد عليها أحد، يبدو أنه رد عليها بالخطأ وهو لا يعلم، ولكنها سمعت جملة واحدة قبل أن يغلق الهاتف مرة أخرى جعلت الهاتف يقع من يدها، وتقع هي بجواره وتبكي.

إن (آدم) ينزف دمًا من فمه، إنه يتعرض للضرب المبرح، وهشام يقف ليتفرج عليه، هناك شابان وثالثهما (أحمد) يتقاذفون (آدم) فيما بينهم بالضرب.

كيف أفاق (أحمد) من أثر الهلوسة بكل تلك السرعة، إن ضرباته موجعة بحق أكثر من هذين الشخصين.

يضحك (هشام) بشدة وهو يقول لـ(آدم):

- أعرف فيما تفكر، تفكر في كيف رددنا انتقامنا بهذه السرعة، بل في نفس اليوم، أنا لست بكل تلك السهولة التي تعتقدها يا (آدم)، أنا المهندس (هشام راضي)، ومن يعتقد أنه أذكى مني سيرى الجحيم على الأرض.

ضحك (آدم) هو أيضًا وقال له:

- ولكن ما لا تعرفه أنني من هذا الجحيم.

لقد خطف (هشام) و(أحمد) (آدم) وذهبا به إلى الموقع وأحضرا معهما اثنين من أصدقائهما ليلقنوا (آدم) درسًا لن ينساه في حياته، وربما ينتهي بمقتله.

أثناء قذف (آدم) فيما بينهم وقع (آدم) على الأرض وأخذ يسعل دمًا من فمه، ولكنه أثناء ذلك أخذ ينبش في الأرض، يبدو أنه يحضر شيئًا ما، وعندما اقترب منه أحد الشابين نهض (آدم) بسرعة وطعنه طعنة نافذة في رقبته.

الجميع ينظر في ذهول، لقد قتله (آدم) بكل سهولة دون حتى أن يفكر، الآن هم خائفون منه، إن في يده خنجر صغير، يبدو أنه كان قد دفنه هنا منذ فترة.

نظر لهم (آدم) وهو يفرد يديه بشدة وينظر إلى الأعلى ويصرخ ويقول بطريقة دراماتيكية:

- مرحبًا بكم في الجحيم نفسه، ومع ابن الجحيم يا ملائكة الأرض.

لقد هرب الشخص الآخر، أخذ في الركض، ولكنه وجد أن هذا الطريق مغلق، وأن الطريق الوحيد للخروج هو وراء (آدم).

رجع مرة أخرى وحاول الركض بجوار (آدم) ليهرب من الباب خلفه، ولكن (آدم) بحركة واحدة نحر رقبته وأخذت الدماء تسيل من رقبته حتى وقع على الأرض والدماء تسيل منه.

إن (هشامًا) مختبئ خلف أخيه احمد، ولكن يبدو أن (أحمد) ليس خائفًا، أخذ هو و(آدم) في الاقتراب من بعضهما، حاول (آدم) أن يسدد له طعنات، ولكن (أحمد) كان يتفادها بسرعة، إن (آدم) يعرف أن (أحمد) صعب المراس، ولكنه يعرف كيف سينتهي الأمر، أخذ (أحمد) يرجع إلى الخلف حتى تعثرت قدمه، وقبل أن يسقط ضربه (آدم) بطعنة في بطنه، احمر وجه (أحمد) الذي كان يظن أنه متفوق على (آدم).

هشام يصرخ بشدة، لقد قُتل أخوه أمامه، إن (آدم) أخذ في تسديد العديد من الضربات في بطن (أحمد)، إنه غاضب الآن، (هشام) واقع على الأرض لا يستطيع فعل شيء سوى الصراخ.

انتهى (آدم) من تسديد الطعنات في بطن (أحمد) ثم قبله على خده وقال له:

- لترسل تحياتي إلى (سعيد) وقل له (آدم) يحبك وسيأتي إليك قريبًا أعدك.

(أحمد) الذي لم يكن في عالمنا، بل كان ذهب للعالم الآخر، وفجأة وضع شخص آخر يده على كتف (آدم)، ترك (أحمد) يسقط ثم التفت بسرعة خلفه وسدد طعنة نافذة أخرى لذلك الشخص.

إن (آدم) يصرخ بشدة، كان صراخه تهتز له جدران الموقع لو لم يكن مدعم بأكمله من الفولاذ كان سيسقط من صراخ (آدم).

لقد قتل (آدم) (سارة) كانت هي من تضع يدها على كتفه ليهدأ، ولكنه لم يكن يعرف، كان يظن أنه أحد أولئك الأوغاد، لقد قتل حياته، إنه يصرخ هو و(هشام) مع بعضهما البعض، ولكن صراخ (آدم) كان يغطي على كل شيء.

قال لها (آدم) وهو يبكي:

- ما الذي جعلك تأتين إلى هنا، ماذا يفعل ملاك مثلك في مثل هذه القذارة هنا؟!!

ردت (سارة) بصوت واهن:

- لقد سمعت (هشام) وهو يقول: إن الموقع سيكون مقبرتك يا (آدم) فجئت لأنقذك.
- (سارة سارة) لا تذهبي إلى أي مكان، كوني معي، أقسم لك أني لم أكن أقصد هذا.
كان (آدم) يحدث (سارة) التي بدأت في الغياب عن الوعي وهو يبكي بكاءً لا نهاية له، لقد قتلها، ماذا فعلت يا ابن الجحيم إنها (سارة).
- هل تعرف كنت أريد أن أحدثك وأقول لك أني والدي وافق على خطوبتنا.
إن بكاء (آدم) يشتد، اليوم الذي يأتيه فيه مثل هذا الخبر يحدث به كل هذا، يكاد يجن، إنه يصرخ صرخات متتالية، لقد ذهبت (سارة) بغير رجعة، إن (آدم) يصرخ ويصرخ لدرجة أن مجموعة من الناس كانوا بعيدًا عن الموقع سمعوا صراخه فهربوا جميعًا لاعتقادهم أنه صراخ من السماء.
انظروا لها وهي نائمة إنها مثل الملائكة، هل أستطيع تقبيلك قبلة الوداع أم لا، على العموم فأنا قادم إليك الآن يا ملائكي، أنا قادم الآن.
أخذ (آدم) الخنجر الذي ألقاه بجواره وأمسكه ووضعه على رقبته مستعدًا وجاهزًا للانتحار.
و فجأة ارتطم شيء ما برأس (آدم) أفقده الوعي.
عندما أفاق (آدم) وجد نفسه في بيته والجميع لا يريد أن يقول له شيئًا، ولكنه كان يعرف كل شيء، أخذ (آدم) في البكاء والصراخ، لماذا لم أذهب معها ماذا حدث؟
أخبره أخوه أنهم وجدوهم هو وبعض الشباب الآخرين، ولكن كان الجميع مقتولين إلا هو، ومن بين المقتولين كانت (سارة).
إن (آدم) يعرف هذا جيدًا، لم يستطع النوم ولا فعل شيء سوى البكاء، إن البصمات التي كانت موجودة على الخنجر المستخدم للقتل لم يتعرفوا على صاحبها، ولكن (آدم) يعرف ماذا حدث؟ ويعرف أن الماضي سيطارده إلى الأبد، ولكن لماذا أيها الغبي لم تتركني أقتل نفسي في لحظة الانهيار تلك وكنت سأستريح من كل شيء في هذه الدنيا.
****
إن (آدم) يرجع للموقع مرة أخرى على الرغم من وجود كسر في قدمه، ولكن لا يهم فربما هي المرة الأخيرة التي سيذهب فيها إلى هذا الموقع الملعون.

وصل (آدم) إلى الموقع، وبمجرد وصوله عند الحدود الخارجية ركع (آدم) على ركبتيه وأمسك بعضًا من ترابه وقال له:

- ماذا تخبئ لي في الزيارة الأخيرة لك أيها الموقع، أرجوك فلتخرج (حياة) سليمة فقط، هذا ما أريده وأنا سأظل هنا إلى الأبد.

كان (آدم) يحدث الموقع كأنه يسمعه، أو كأنه شخص عاقل وهو يتحدث معه، أخذ (آدم) يدور حول الموقع ليتفقد أحواله قبل الدخول إليه، وبالفعل بعد دقائق كان (آدم) يدخل الموقع.

بمجرد دخول (آدم) الموقع وجد (هشامًا) جالسًا في وجهه، وكان يضع الهاتف على أذنه، نظر له (هشام) وقال له:

- يبدو أنك أتيت مبكرًا عن موعدك يا دودي.

- نعم أتيت مبكرًا عن موعدي، ولكن أنت لا فائدة من رنينك المتوالي على (عايدة)، فهي الآن عند أخيك (أحمد) تسلم عليه.

صدم (هشام) من تلك الإجابة التي لم يكن يتوقعها، هل ماتت (عايدة) هي الأخرى، لا هذا ليس بصحيح، ينزل الهاتف من على أذنه ليتصل مرة أخرى بها ليجد (آدم) يخرج شيئًا من جيبه ويلقيه أمامه.

إنه هاتف (عايدة) وهو ملوث بالدماء الكثيرة منها، إذًا ما قاله (آدم) صحيح.

أخذ (هشام) في البكاء، فهو قد أحبها بشدة، لقد كانت من تساعده على كل شيء، من أخرجته من محنته، من كانت تساعده للانتقام من (آدم) على الرغم من عدم موافقتها على ما يفعلان، ولكنها تفعل كل هذا من أجله هو، والآن قد قُتلت.

صرخ (هشام) في (آدم) وقال له:

- لقد قتلت اثنين من أقرب الناس لي أخي وزوجتي.

قال (آدم) بكل هدوء وثقة:

- أنت من أوصلتنا إلى هذا، لقد قلت لك: إن كل شيء انتهى، ولكنك من تماديت وصممت أن تشن حربًا لن تخرج منها فائزًا أبدًا.

تحول بكاء (هشام) إلى ضحك وقال:

- هل سمعت لتعرفي أن كل ما قلته صحيح، وأني لم أكن أكذب.

نظر (آدم) إلى المكان الذي كان موجهًا له الكلام من (هشام)، وجدها إحدى الغرف المقفلة، وكانت عينا (حياة) تظهران منها من إحدى الفتحات التي توجد بالباب.

سمع (آدم) صوت (حياة) وهي تقول:

- هل صحيح يا (آدم) أنك قتلت (سارة)؟
- نعم لقد قتلتها.
- لماذا علقتني بك؟ هل كنت تريدني أن أحبك حتى تقتلني أنا الأخرى هل تقتل من تحب؟
صمت (آدم) لبضع من الوقت ثم قال:
- لقد ماتت (سارة) لأنها كانت تحاول أن تسيطر على الوحش بداخلي، لقد قتلتها أثناء اندفاعي، وكنت أنت مثلها، كانت مجرد رؤيتك تجعل الوحش بداخلي غير موجود، لقد تربيت في المناطق التي جعلت هذا الوحش يكبر مع الوقت، ولكن معها كان لا وجود له، كنت كالطفل البريء بين يديها، لم تكن تنتظر مني شيئًا سوى الزواج، إن اليوم الذي قتلت فيه (سارة) كان اليوم الذي كنا ننتظره منذ أن عرفتها، لقد جاءت إلى هنا لتحميني من نفسي، كانت تعرف أنهم ليس لهم القدرة على إيقافي، ولكن أنا لي القدرة على قتلهم، لم تكن أبدًا تبحث عن حب في داخلي، بل كانت تبحث عن (آدم) الذي لم يتركها في يوم من الأيام.
كانت (حياة) تبكي بشدة في الوقت الذي كان (هشام) يصفق فيه لـ(آدم) على هذا الأداء التراجيدي المبدع الذي أذهله به شخصيًا ثم نظر لـ(حياة) وقال لها:
- هل رأيت من منا الشيطان يا عزيزتي (حياة)؟ لقد قلت لك: سوف تغيرين نظرتك في ذلك المجنون عندما تعرفين حقيقته المريرة ما رأيك الآن؟
صوت نحيب (حياة) يأتي من الغرفة، ولحظة صمت بين (آدم) و(هشام) كلاهما ينتظران ردها.
نطقت (حياة) أخيرًا بعد أن ظنا أنها لن تتكلم مرة أخرى وقالت:
- أصدقك يا (آدم)، لقد كنت أعرف هذا من البداية، أن تلك السيارة كان يوجد بها الرسالة الأخيرة من (سارة) لذلك كنت أنت تحبها لقد قرأتها.
صمتت (حياة) مرة أخرى ثم قالت:
- أنا أحبك يا (آدم) وإذا كان آخر صوت سأسمعه هو صوتك فأنا سعيدة بذلك، فأنا الآن أرى ما كانت (سارة) تراه فيك وجعلتها تضحي بحياتها من أجلك.
كان الغضب على وجه (هشام) مثل نار جهنم، أما (آدم) فكان العكس تمامًا، فقد استعاد ابتسامته الواثقة المعهودة وقال لها:
- لا تقلقي سوف تخرجين من هنا أنا أعدك.
كانت (حياة) تعرف أن وعد (آدم) لا يخلف أبدا مهما حدث أو جرى لذلك، كانت تعرف أنها ستخرج، ولكن ماذا سيكلف خروجها هذا ما كان يقلقها.
صفق (هشام) بشدة وقال له:
- أخبرني كيف ستخرجها؟ انظر.
أخرج (هشام) من جانبه مسدسًا وصوبه نحو الباب الذي توجد به (حياة) وقال له:

- إذا تحركت أو فتح الباب ستموت (حياة)، إلا إذا قتلتني أنت أولا يا دودي، ولكن أخبرني كيف ستقتلني وأنا معي سلاحي ورجال أيضًا.

بمجرد أن قال (هشام) تلك الجملة خرج من الغرف الموجودة في الموقع رجال كثير، أحاطوا بـ(آدم) من كل اتجاه.

قال (هشام) لـ(آدم) وهو ما زال يجلس على ذلك الكرسي الموجود في منتصف الموقع:

- لقد نبشت في كل مكان في الموقع لكي أخرج جميع ما قد تخبئه فيه يا (آدم)، وبالفعل لقد أخرجت العديد من الأشياء، إن فرصتك في النجاة قليلة جدًا، تكاد تكون معدومة، ولكني أعدك قبل أن أقتلك سأقتلها أمامك لتشعر ما أشعر به الآن.

انطلق الرجال الذين كانوا مع (هشام) بضرب (آدم) حتى بدا ينزف من كل مكان، إنه يعرف أنها النهاية، ولكن (حياة) تلك التي وجدت معه الحياة وهو وجد معها الدنيا وما فيها لا يمكن أن يموت ويتركها لمصيرها الغامض مع ذلك المجنون.

أوقف (هشام) الضرب على (آدم) بإشارة منه، ثم قام من مكانه وقال لـ(آدم):

- الآن سأذهب لأحضر حياتك لتموت أمامك هنا.

وقبل أن يذهب (هشام) نادى عليه (آدم) وقال له:

- هل تظن أني أتيت إلى هنا دون أن أعد حسابي أنك ستفعل كل هذا؟

نظر له (هشام) نظرة تعجب وقال له:

- ماذا تقصد؟ ماذا فعلت هذه المرة؟ هيا أرني كيف ستخرج سليمًا هذه المرة، أرني خدعك الآن.

ضحك (آدم) بشدة ومد يده في جيبه وقال له:

- هل تعرف ماذا يوجد في جيبي يا هشام؟

أجابه (هشام) بفضول:

- لا لا أعرف، هل يمكن أن تريني ما الشيء الخارق الذي سيخرجك من هذا المكان.

أخرج (آدم) قداحة من جيبه وقال له:

- الآن هل عرفت ما هذا الشيء الخارق؟

نظر (هشام) بتعجب إليها ثم في لحظات كان الذهول على وجه (هشام) الذي قبل أن يأمر رجاله بأخذها منه كان (آدم) قد أشعلها.

قبل دخول (آدم) إلى الموقع أحضر ثلاث اسطوانات من الغاز ووزعها على الأبواب الخلفية المؤدية إلى الموقع، التي لم يكن يعلم بأمرها إلا (آدم) وفتحها وتركها، ودخل ليشغل (هشامًا) لكي يكون الهواء ممتلئًا بالغاز، وعندها يستطيع أن يساوم هشامًا، ولكن بعد أن رأى كل من معه عرف أنه لن يستطيع أن يفعل شيئًا سوى التضحية، لقد اشتم (هشام) رائحة الغاز في الهواء، لكنه كان متأخرًا جدًا.

إن الغرفة الموجودة بها (حياة) محصنة من الفولاذ، لن يصيبها شيء، و(آدم) يعرف هذا جيدًا، إنه يعرف الموقع، لقد قضي حياته كلها فيه، والآن سيموت فيه، نهاية ليست بالتي يتمناها (آدم)، ولكنه كان يعرفها وكان مستعدًا لها.

سمعت (حياة) وهي بالداخل من يصرخ ليقول لها:

- فلتسامحيني إني أحبك يا (حياة) مثلما أحببت (سارة).

ثم صوت انفجار كبير حدث في الخارج من قوته جعلها تطير في الهواء لترتطم بالحائط وتفقد الوعي.

أفاقت (حياة) في المستشفى، وعندما أخذت تسال ماذا حدث؟ أجابتها (ياسمين):

- لقد جاءني اتصال من (آدم) ليخبرني بمكانك، وعندما ذهبنا إلى هناك قبل أن نصل إلى المكان ببضع أمتار كان المكان قد انفجر، وعندما دخلنا لنرى وجدنا الكثير من الناس ميتون، ولكن كان هناك غرفتان مغلقتان أنت كنت في واحدة منها.

سألت (حياة) دون مبالاة من تلك الأخبار.

- أين (آدم)؟

وجدت (حياة) (ياسمين) تبكي وتخبرها أنه كان من ضمن الذين ماتوا، وقد ترك لها رسالة.

أخذت (حياة) الرسالة وبدأت في فتحها وقراءتها:

حبيبتي (حياة)، لم يطل الوقت التي قلت لك فيه تلك الجملة، ولكن لتعلمي أني أحبك بشدة، لقد أحببتك مثلما أحببت (سارة)، إن (سارة) كانت جزءًا من روحي، وأنتِ كنتِ الجزء الذي يكمله، لم يمهلني القدر لأخبرك الكثير عنها، ولكن إذا نظرت لنفسك في المرآة سوف ترين (سارة)، هي كانت أنت، وأنتِ هي، عندما أكون معك لا أعرف أنا مع مَنْ؟ (حياة) أم (سارة)، لقد كنت أنوي أن أسافر معك إلى السعودية لأقابل والدك هناك وآخذك ونعود إلى مصر، لقد كنت أنوي أن أتنازل عن كل أملاكي له مقابل أن يسمح لي بالزواج منك، ولكن كما قلت الوقت لم يمهلني لأفعل كل هذا، لقد وضعتك من ضمن الورثة الشرعيين لممتلكاتي، لم أكن لأسمح لأي شيء سيء يحدث لك، فأنتِ كنتِ الشيء الوحيد المتبقي الذي أعيش من أجله، إني أحبك، أرجو أن تسامحيني يا حبيبتي عن أي شيء سيء سببته لك، فأنا لم أكن أنوي أبدًا أن أدخلك في صراعاتي، ولكن هذا ما حدث، لقد رحلت وتركت لك جرحًا وأنا أعرف هذا، ولكن أنا أطمع في حبك ومسامحتك، وأن تأتي لقراءة الفاتحة على قبري في أحد الأيام. أحبك يا حياتي

(آدم سليم).

تقف (حياة) أمام قبر (آدم) تقرأ له الفاتحة، وهي تتمنى أن يعود من الموت مرة أخرى:

حبيبي (آدم)، لطالما عشتَ بشعور الذنب لاعتقادك بوجود ذلك الوحش داخلك، في الحقيقة كلنا وحوش، وما كنت إلا ملاكًا نزل في الأرض خصيصًا لي، على الرغم من قصر المدة التي

عشناها سويًا إلا إنك حرصت على تعويضي بالكثير من الأشياء التي افتقدتها في ماض قد عشته، كنت السند والحنون والحبيب المخلص، ولدت باسم (حياة)، ولكن دونها فعليًا، لتأت أنت وتعلمني معني هذه الكلمة، لن توفيك كلماتي حقك، فلا داعي للإطالة، وليس لي إلا الدعاء لك بالرحمة والسكينة، يا أطهر آدمي في حياتي. لطالما أحببتك.

(حياة).

تمت بحمد الله

رسالة ..

إلى كل إنسان على هذا الكوكب الافتراضى .. كن فى الحياة إنسان ..وصل رسالة طيبة للناس وانشر بينهما الخير والحب والسلام ..كن أنت فقط ولا تحاول أن تكون غيرك ..اصنع لنفسك عالم يليق بك .. إزرع داخلك الثقه والطموح والتفاؤل والرضا وحب الله والذات والوطن .

" الناشر "

للتواصل مع الدار :

www.facebook.com/dar.cleopatra

Gmail : dar.cleopatra@gmail.com

للاتصال:

01019983371/01125574129/0225244534